

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي
في مصر وبلاد الشام ؛ دراسة موضوعية فنية

عماد مصطفى أحمد زغل

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1428هـ - 2007م

شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي
في مصر وبلاد الشام؛ دراسة موضوعية فنية

عماد مصطفى أحمد زغل

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها - جامعة بيت لحم - فلسطين

إشراف: د. مشهور الحبّازي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من
عمادة الدراسات العليا / كلية الآداب / جامعة القدس

1428هـ - 2007م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

ماجستير اللغة العربية

شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي
في مصر وبلاد الشام؛ دراسة موضوعية فنية

الطالب: عماد مصطفى أحمد الزغل
9810456

المشرف: د. مشهور الحبّازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ / / من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1- رئيس لجنة المناقشة التوقيع

2- ممتحناً داخلياً: التوقيع

3- ممتحناً خارجياً: التوقيع

القدس - فلسطين

1428هـ - 2007م

الإهداء

إلى والديّ العزيزين اللّذين أدين لهما بالفضل بعد الله.

وإلى زوجتي التي هيأت لي الظروف المناسبة للدراسة والبحث.

وإلى أخي الذي شدّ الله به عضدي.

وإلى كل من أسدى إلي نصيحةً أو مشورة أو رأياً... أهدي هذا البحث المتواضع.

الإقرار

أقرُّ أنا مقدِّم الرسالة أنها قدِّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما وجد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدِّم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

عماد مصطفى أحمد زغل

التاريخ / /

شكر وعرفان

أُتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من أسهم في مساعدتي على إخراج هذه الرسالة، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور مشهور الحبازي.

كما أشكر القيمين على المكتبة الختنية في رحاب المسجد الأقصى المبارك الذين ساهموا في تزويدي بالمصادر والمراجع التي أسهمت في إثراء هذا البحث ولا أنسى شكر جامعة القدس بكل طواقمها، سائلاً الله تبارك وتعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء.

الملخص

تبحث هذه الرسالة في شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي، أي في الفترة ما بين (358هـ / 967م - 567هـ / 1171م) خلال حكم الفاطميين لمصر وبلاد الشام، وبذلك فإنّ الحدود المكانية لهذه الدراسة تنحصر في شعراء هاتين المنطقتين الذين عاشوا خلال فترة الحكم الفاطمي.

وقد قامت هذه الدراسة على جمع شعر الوصف الذي اختص بالطعام والشراب باستثناء شعر الخمر وشعر الحشيشة، ثم دراسة هذا الشعر موضوعياً وفنياً من حيث المستويات البلاغية والتركيبية والدلالية والنحوية والموسيقية، ورصد أهم الظواهر الفنية التي امتاز بها هذا الفن الشعري.

إن ما دفعني للبحث في هذا الموضوع، هو ملاحظتي لكثرة هذا النوع من الوصف في ذلك العصر خلال قراءتي الاستطلاعية، ويقيني في حدود ما توصلت إليه من بحث بأن هذا النوع من الدراسة لم يسبق أن قام به أحد، وقد تأكدت من ذلك من خلال سؤال المختصين في مضمار الأدب في ذلك العصر، حيث تشكل هذه الدراسة سبقاً لم يتطرق إليه أحد من قبل.

لقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصف التحليلي في البحث، حيث قمت بقراءة المصادر الأدبية التي رصدت الحركة الأدبية في ذلك العصر كدواوين شعراء العصر الفاطمي مثل ديوان كشاجم، والشريف العقيلي، وظافر الحداد، وابن الخياط، والوأواء الدمشقي وغيرهم من الشعراء، كما تصفحت كتب التشبيه التي تناولت شعر تلك الفترة ككتاب "الكشف والتنبية" للصفدي، و "غرائب التنبهات" لعلي بن ظافر الأزدي فوجدت فيها الكثير من الشعر الذي يصف الطعام والشراب، كما عدت لأهم مصدرين يتحدثان عن أدب تلك الفترة، وهما كتابا "يتيمة الدهر" للثعالبي المتوفى عام 430هـ/1038م و"خريدة القصر" للعماد الأصفهاني المتوفى عام 589هـ/1193م.

وبعد أن اتبعت المنهج الوصفي في جمع مادة البحث من الشعر، اتبعت المنهج التحليلي في استنتاج أهم الظواهر الفنية التي احتواها هذا النوع من الوصف، ثم استخدمت المنهج الجمالي في الدراسة الفنية.

وقد توصلت في نهاية الدراسة إلى نتيجة مفادها أن شعر وصف الطعام والشراب قد احتل جزءا غير يسير من شعر الوصف بعامة، ومن شعر الطبيعة بخاصة، ومرد ذلك أسباب كثيرة ذكرتها في بداية البحث ومنها جمال بيئتي مصر والشام، واهتمام الفاطميين بالمظاهر الاحتفالية كالموائد الضخمة التي كانت تقام في أعيادهم السنوية التي تزيد على عشرين عيداً، بالإضافة إلى عنايتهم بتطوير الزراعة، وانفتاحهم على التجارة مع كل بلاد العالم بما فيها أوروبا، حيث جلبوا إلى مصر والشام أنواعاً شتى من الثمار والأطعمة لم تكن معروفة من قبل فيهما.

كما توصلت إلى نتائج تتعلق بالجانب الفني لهذا الغرض من الشعر، حيث حفل بالفنون البلاغية كالتشبيهات والبديع، بالإضافة إلى أنه قد أثرى اللغة بقاموس معجمي خاص بألفاظ الطعام والشراب التي كانت معظمها من أصول غير عربية، بالإضافة إلى إعطاء فهم جديد لتقاليد المائدة في ذلك العصر وكيفية تقديم الطعام والشراب خلال تلك الفترة.

وفي ختام هذا البحث أوصي بدراسة شعر تلك الفترة بخاصة، وشعر الفترات المتأخرة من العصور الأدبية بعامة دراسة موضوعية تهدف إلى معرفة خصائص المجتمع العربي الإسلامي من خلال رصد موضوعات شعر الوصف في تلك الفترات، لأن الشعر هو ديوان العرب، وهو مرآة للسلوك الاجتماعي للمجتمعات العربية الإسلامية في عصور قد لا نعرف عنها الكثير.

Abstract

This thesis discusses in the poetry which describes food and drink in the Fatimid era. Egypt and Syria were under the Fatimids rule Between (967AD – 1171AD) Therefore, the spatial bounds of this study only limits on the poets of these two areas who lived during the fatimid's rule.

This study is based on gathering and collecting the descriptive poetry which deals with food and drink except the poetry of wine and drugs. This kind of poetry is artistically studied rhetorically, syntactically, semantically, and grammatically. Then, I marked down the most important artistic images which this kind of poetry distinguished in.

What motivated me to choose this subject in my study is that, during my explorative reading, I found out that the descriptive poetry was very common and popular during that period of time, especially the poetry which described food and drink in detailed ways. Also, I found out that this kind of study was not discussed before by anyone. When I asked those who are qualified and specialized in "literature field during that time", they emphasized for me that my study will be the first one in this aspect.

In my study, I used the inquisitive method. For example, I read the most important literary resources which concentrated on the literary movement at that time like the divans of the Fatimid era poets. For instance, Kashajem's divan, Al-O'qaili Sharif's divan, Thafer Al-Haddad's divan, Ibn-Al-Khayyat's divan, Al-Wae Wae Al-Dimushqi's divan and -----etc.

Moreover, I elaboratorily read the books of smile which studied the poetry of that time; like: "Al-Wasf & Al-Tashbih" Safadi "Ghraeb Al-Tanbihat" for Ali Ibn Thafer. So, I found many of these books which talked about the poetry of describing food and drink but I depended on the two main resources which focused on the literature of that period. They are; "Yatimat Al-Duhr" for Al-Tharalibi & "Kharidat Al-Qusr" for, Al-Imad Al-Asfahani".

After I used the inquisitive methods in collecting the study material from poetry, then I used the inductive method to conclude the most important artistic images which this kind of description contained and dealt with.

At the end of my study, I concluded that the poetry of describing food and drink generally controlled a big part at this kind of poetry. However, we cant ignor that this kind of poetry was particularly found in the poetry of nature. This due to different reasons I mentioned them at the beginning of my study but we can also add that the beauty of nature for both Syria & Egypt, the Fatimid's interests in Cermonial outwards like great & big meals which were celebrated in their annual feasts which-are more than 20 ones-, their developing agriculture, and enlarging their trade to include all the countries all over the world – are some of these reasons. because of their openness on the world, Fatimids were also able to bring with them different kinds of food and fruit which were unknown before in Syria and Egypt.

Finally, I recommend studying the poetry of that period carefully. Also, the poetry of the latest periods from literary era must be studied objectively in order to know more about the Arabic and Islamic society's characteristics, by collecting, gathering, and registering the main subjects of the descriptive poetry on that time. Because poetry is considered the Arab's divan, so it will be the mirror of the social behaviour's for the Arabic & Islamic societies in some eras and ages that little information is available about.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛
فإن الله تبارك وتعالى قد أسبغ على الإنسان نعمتيّ الطعام والشراب ليقوم بهما أوده، وقد لفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى هذه النعمة في عشرات الآيات، ثم دعا الله عز وجل الإنسان للتفكر في هذه النعمة، فقال ♥ **فليَنظر الإنسانُ إلى طعامه** ♦ (1).
وما دام الطعام والشراب شأنًا دنيويًا يحتل جانبًا هامًا من حياة الإنسان، فقد تناوله غرض الوصف في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا، مبرزًا الجانب الجمالي في طعام الإنسان كجزءٍ من خلق الله البديع في هذا الكون ♥ **انظروا إلى ثمره إذا أُثمرَ وينعه** ♦ (2).

وهذا البحث يسلّط الضوء على عصر احتل فيه شعر وصف الطعام والشراب جانبًا كبيرًا من غرض الوصف لظروف موضوعية وتاريخية وسياسية، وهو العصر الفاطمي في مصر وبلاد الشام، هذين البلدين اللذين أصبحا مجلب كل لون من ألوان الثمار والطعام، فازدانت أسواقهما ورياضهما بالعشرات من أصناف الثمر، الأمر الذي أغرى بوصفها عددًا من شعراء ذلك العصر.

وقد استهللتُ هذا البحث بتمهيد جعلته مدخلًا للغرض المنشود، إذ سلّطت الضوء على نشأة الدولة الفاطمية وقيامها في مصر وبلاد الشام، ثم كتبت سردًا للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العصر الفاطمي لفهم أسباب شيوع شعر وصف الطعام والشراب في شعر أدباء تلك الفترة. ثم جعلت البحث في ثلاثة فصول؛ في الفصل الأول رصدت ظاهرة وصف الطعام والشراب في العصور ما قبل الفاطمي، حيث تطرقت للظاهرة في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف، ثم في شعر الجاهلية، والعصر الأموي والعباسي والأندلسي، مؤصلاً لجذور هذه الظاهرة في شعر العرب وأدبهم، وقد كان قصيرا لأنه ليس لب الموضوع الذي نحن بصددده. وفي الفصل الثاني جمعت شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي من دواوين شعراء ذلك العصر، ومن مصادر شعرهم، ثم رتبته وفق موضوع الوصف بدءًا بالثمار ودرستها مرتبةً وفق الترتيب الهجائي، ثم الأطعمة المطبوخة

(1) عيس؛ 80 / 24.

(2) الأنعام؛ 6 / 99.

والموائد بأنواعها، يليها وصف الحلويات، ثم وصف الشراب ما خلا الخمر التي تجنبتها لأسباب سأفصلها في حينه إن شاء الله. وفي الفصل الثالث درست هذا اللون من الوصف دراسة فنية، حيث تعرضت في هذه الدراسة إلى الجوانب الفنية التي مثلها هذا الوصف، وقد جعلتها في خمسة مستويات هي: المستوى الموسيقي، والبلاغي، والتركيبى، والنحوي والدلالي.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي في جمع المادة من مصادرها، ثم المنهج التحليلي والجمالي في استنباط الجوانب الفنية في هذا الغرض.

وإنني وإن وجدت هذا البحث ميسراً بفضل الله تعالى، إلا أنني عانيتُ من قلة المصادر التي تتناول أدب الفترة الفاطمية كدواوين الشعراء المحققة، والمصادر التي جمعت أدب تلك الفترة، وأهم المصادر التي اعتمدت عليها في دراستي هي: دواوين عدد من الشعراء وهم: كشاجم وظافر الحداد والشريف العقيلي وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي وابن الخياط وابن وكيع التنيسي وغيرهم بالإضافة إلى كتابي يتيمة الدهر للثعالبي، وخريدة القصر للعماد الأصفهاني، وغرائب التنبيهات لعلي بن ظافر الأزدي، ونهاية الأرب للنويري، وهذه أفادتي في جمع الشعر الذي قيل في وصف الطعام والشراب، وكتاب المعرب للجواليقي وأفادني في معرفة معاني أسماء الأطعمة والأشربة. وكتاب أخبار الدول المنقطعة لعلي بن ظافر الأزدي والخطط المقرزية وأفادني في معرفة تاريخ الدولة الفاطمية وأحوالها الاجتماعية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنني أفدت من دراسة حديثة للدكتور علي شلق بعنوان "الطعم في الشعر العربي" ولذلك فإنني أوصي بضرورة الكشف عن مكونات ذلك العصر والحياة الاجتماعية فيه، بتحقيق دواوين شعراء تلك الفترة، ورصد الظواهر الاجتماعية من خلالها، فالشعر ديوان العرب، وهو المرأة الصادقة التي مثلت دقائق حياتهم وعكستها بكل وضوح وجلاء، كما أوصي بضرورة أن تركز الدراسات والرسائل الجامعية على أدب تلك الفترة، لأنه يعترينا الكثير من الغموض وسوء الفهم.

وفي الختام فإنني أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في اختيار موضوع هذه الرسالة ثم أن أكون قد أجدت في الدراسة والبحث، فإن أصبت فذلك الفضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي، ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر أستاذي الذي أيدني الله به في هذا البحث فصوبني وأرشدني وأخذ بي إلى الجادة، كما أشكره على صبره وحلمه وحسن أخلاقه، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

- 1 -خسب الفاطميين.
- 2 -قيام دولة الفاطميين.
- 3 -الأحوال السياسية في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي.
- 4 -الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي.
- 5 -الحياة الاقتصادية في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي.
- 6 -الحياة الثقافية.
- 7 -الشعر في العصر الفاطمي.

1- نسب الفاطميين:

الفاطميون هم شعبة يعظمون أهل بيت النبوة، وينتسبون إليهم، ويغالون في تعظيمهم، إلى درجة لا يقرها أهل السنة، وقد تأسست دولتهم في شمال إفريقيا "الجزائر"، سنة 296هـ/908م. ومؤسسها هو أبو محمد عبيد الله ⁽¹⁾ بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر "الصادق" بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ⁽²⁾. دامت دولتهم في شمال إفريقيا أربعاً وستين سنة، وفي مصر قرنين من الزمان، وبلغ حكمهم 269 سنة، وثمانية أشهر، وأحد عشر يوماً، حيث دالت دولتهم في المحرم، من عام 567هـ/1171م. وأما تسميتهم "العبيديون" فنسبة إلى عبيد الله المهدي، أول خلفائهم. وينكر معظم المؤرخين والعلماء من أهل السنة نسبة هؤلاء إلى أهل بيت النبوة، يقول علي بن ظافر "هذه دولة عظم خطب الاختلاف في أحوال أربابها، وقويت بإبطال ما ادّعت من انتمائها إلى العترة النبوية وأبنائها. أما مذهب ملوكها فالكفر الصريح والنفاق الذي خالف الباطن فيه التصريح" ⁽³⁾. وأورد ابن تغري بردي قول الباقلاني فيهم "القّدّاح هو جد عبيد الله وكان مجوسياً، ودخل المغرب وادّعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام" ⁽⁴⁾ ويقول المقرئ في خطه "اعلم أن القوم كانوا ينسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب والناس فريقان في أمرهم: فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله ﷺ ويزعم أنهم أدعياء من ولد ديصان النوبي الذي ينسب إلى النبوة وإن ديصان كان له ابن اسمه: ميمون القداح كان له مذهب في الغلو" ⁽⁵⁾. وهذا ما أكدّه أيضاً أبو شامة إذ يقول (كان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل كان والد عبيد هذا يهودياً من أهل سلمية من بلاد الشام فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم أنه علوي فاطمي) ⁽⁶⁾. ولاشك في أن العباسيين كانوا أول من شكّ في نسب الفاطميين وزعموا أنهم ينتسبون إلى ميمون القداح بن ديصان المجوسي، لأن قصد الفاطميين من إثبات نسبهم إلى آل البيت هو تولي الخلافة بدل العباسيين، حيث شكلوا خطراً داهماً على ملكهم فأخذوا منهم مصر والشام والمغرب واليمن والحجاز وديار بكر.

(1) عراقي الأصل، ولد في الكوفة سنة 260هـ واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الإسماعيلية في شمال الشام. قال عنه الذهبي (افتري إنه ولد جعفر الصادق)، الذهبي، العبر في خبر من غير، 199/2. وانظر ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان، 118/3. والسيوطي، تاريخ الخلفاء، 526/1.

(2) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، 89/1.

(3) ابن ظافر الأزدي، م، ن، 90/1.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 80/4.

(5) المقرئ، الخطط المقرئية، 180/1.

(6) أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، 200/1.

ومن ذلك التشكيك محضراً كتب في بغداد بأمر الخليفة
402هـ/1011م يتضمن القدر في نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه جماعة من العلويين
الموالين لبني العباس قضاة وفضلاء وعلى رأسهم أبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة،
والمحضر أثبت ابن كثير وهو "هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن
سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية، وإن هذا الناجم بمصر هو
منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبد
الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس"⁽¹⁾.

وأما من خالف هؤلاء المؤرخين من أهل السنة فهما اثنان ابن خلكان ت
1282/681 وابن خلدون ت 1405/808 فابن خلدون يذهب صراحة إلى تصديق نسب الفاطميين ويقول:
"ولا يلتفت إلى من ينكر هذا النسب، وله على صحته حجج، ويجرح في رواية من ينكره أو
يقدر فيه"⁽²⁾.

وأما ابن خلكان فيورد أنساب الفاطميين التي تؤكد نسبتهم إلى آل البيت تحت عبارة
"اختلف في نسبهم" ثم يقول "والذي ينكر نسبه" أي عبيد الله يقول اسمه سعيد ولقبه عبيد الله،
وزوج أمه الحسين بن أحمد القداح".

ولكن ابن خلكان في روايته الشهيرة يقول في نسب المعز لدين الله الفاطمي:
"ولما دخل المعز لدين الله الفاطمي مصر ولقيه أشرافها، خاطبه من بينهم الشريف عبد الله بن
أحمد بن طباطبا الحسيني، وقال له: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال: سنعقد مجلساً ونجمعكم فيه
ونسرد لكم نسبنا. ولما استقر بالقصر جمعهم في مجلس وجلس لهم وقال: هل بقي من
رؤسائكم أحد؟ قالوا: لم يبق معتبر، فسلّ عند ذلك لهم نصف سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر
عليهم ذهباً كثيراً وقال: هذا حسبي. فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا وانصرفوا من عنده"⁽³⁾.

ومن الطبيعي أن يشكّ أهل السنة في نسب الفاطميين الشيعة، لما اكتنف نسب عبيد الله من
الغموض، ولما بين الفريقين من عداوة مستحكم، وقد روى ابن خلكان أيضاً أن العزيز بالله ابن
المعز لدين الله الفاطمي صعد المنبر، فوجد فيه ورقة كتب عليها هذه الأبيات:

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 142/12.

(2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، 360/3.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 82/3، (ترجمة ابن طباطبا).

إنّا سمعنا نسباً منكراً
إن كنت فيما تدعى صادقاً
أو فدح الأنساب مستورة
يُتلى على المنبر في الجامع
فاذكر أباً بعد الأب الرابع
يقصر عنها طمع الطامع
(1)

والخلاصة أنّ التشكيك في نسب الفاطميين من قبل أهل السنة في مصر وغيرها هو من الأسباب التي دفعت الخلفاء الفاطميين إلى استمالة الناس بمظاهر الأبهة والفخامة والكرم الزائد ولاسيما في أعيادهم؛ الأمر الذي أدى إلى شيوع الموائد والأطعمة والأرزاق الوفيرة التي أثرت غرض وصف الطعام والشراب، وهو ميداننا في هذا البحث.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 373/5.

2- قيام دولة الفاطميين

قامت دولة الفاطميين في شمال إفريقية سنة 296هـ / 908م بعد نشاط مكثف بذله دعائهم السريون فيما سمي " تنظيم الدعاة " وازدهرت دولتهم في الجزائر على الرغم مما واجهته من صعوبات كبيرة في بسط نفوذها المذهبي على المجتمع الأفريقي السني، وتقلد عبيد الله المهدي أول خلفائهم الحكم في شهر ربيع الآخر سنة 297هـ/909م "وأمر بذكر اسمه في الخطبة من منابر البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين" ⁽¹⁾ وبذلك قامت الخلافة الفاطمية في شمال إفريقية على أنقاض دولة الأغالبة، وامتد نفوذهم إلى معظم شمال إفريقيا.

وفي عام 341هـ/952 آلت الخلافة إلى المعز لدين الله الفاطمي، قال ابن خلكان.. "وكان المعز قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل، ثم جددت له البيعة في يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة" ⁽²⁾ وقد كان قوي البأس، ناهض العزيمة فمضى يوطد أركان مملكته مستعيناً على ذلك بالقوة، قال ابن تغري بردي "وسار في نواحي إفريقية ليمهد ملكه، فأذل العصاة واستعمل على المدن غلماناً واستخدم الجنود. ثم جهز مولاه جوهرًا القائد في جيش كثيف، فسار فافتتح سجلماسة" ⁽³⁾، وسار حتى وصل البحر المحيط وصيد له من سمكه، وافتتح مدينة فاس وأرسل بصاحبها وصاحب سبته أسيرين إلى المعز؛ ووطأ له جوهر من إفريقية إلى البحر سوى مدينة سبته فإنها لبني أمية أصحاب الأندلس" ⁽⁴⁾.

أما مصر فقد كانت حلم الفاطميين وهاجسهم الدائم، وقد حاولوا دخولها منذ عهد مبكر في عهد أول خلفائهم أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، ولكن محاولتهم الأولى عام 306هـ/918م باءت بالفشل عندما بعث الخليفة العباسي المقتدر بالله جيشاً أحرق سفن الفاطميين على شواطئ الإسكندرية، ثم توالى الحملات العبيدية على مصر عام 321هـ/933م عندما أرسل عبيد الله المهدي حملة أخرى بقيادة حبشي بن أحمد المغربي انتهت بهزيمة الفاطميين على يد محمد بن طغج الإخشيدي، وخلال تلك الحملة توفي عبيد الله المهدي فأرسل ابنه أبو القاسم حملة أخرى انتهت بهزيمتهم مرة أخرى وعاد خائباً إلى المغرب.

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 75/4.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 224/5.

(3) مدينة مغربية بنيت عام 140هـ، تقع جنوب جبال أطلس. ابن خرداذبة، المسالك والممالك 241/1.

(4) ابن تغري بردي، م.س، 75/4.

وقد توجّ المعز حملات الدولة العبيدية إلى مصر بحملة ناجحة استغل فيها وفاة محمد ابن طغج الإخشيدي واضطراب الحالة السياسية في مصر بعد أن تولى الحُكم أحمد بن علي الإخشيدي ولم يبلغ الحلم، واستطاع قائده جوهر الصقلي دخولها في السابع عشر من شعبان سنة 358هـ / 968م، يقول علي بن ظافر "وأرسل جوهرًا إلى بلاد المغرب فجمع الرجال لما عزم على إرساله إلى مصر في سنة سبع وخمسين وثلاثمئة. ثم وجهه بعد ذلك إلى مصر، فلقي الإخشيدية، والمقدم عليهم أحمد بن علي بن الإخشيد وهو صغير لم يبلغ الحلم، ومدير الجيوش تحرير الإخشيدي فهزمهم ودخلها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة وبنى القاهر جوهر القاهرة للمعز. ثم سار إلى الشام فلقي الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيدي فهزمه وهو يومئذ بالرملة حتى وصل دمشق فملكها وملك ساحل الشام بأكمله"⁽¹⁾.

أما دخول المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر بشخصه فكان بعد أن استقر الحكم في مصر سنة 362هـ/972م، قال ابن تغري بردي "وجدّ المعز في سيره في خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمئة.. ثم نزل بالجيزة وأخذ جيشه في التغذية إلى مصر ثم ركب هو ودخل القاهرة، وقد بنيت له بها دور الإمارة، وكانوا قد اختلفوا وزينوا مصر بأحسن زينة، فلما دخل القصر خرّ ساجداً وصلى ركعتين"⁽²⁾.

ومن الغريب ما رواه ابن تغري بردي في دخول المعز إلى القاهرة قال: "ولما دخل المعز إلى القاهرة احتجب في القصر، فبعث عيونه إلى الناس ينقلون إليه الأخبار وهو متوفر في النعم والأغذية المسمنة والأطلية التي تنقي البشرة وتحسّن اللون. ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحرير الأخضر وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب. وزعم أنه كان غائباً في السماء وأن الله رفعه إليه، فامتألت قلوب العامة والجّاهل منه رعباً وخوفاً"⁽³⁾.

نورد هذا الاقتباس ليتبين عناية أمراء الفاطميين بالمظهر وما كانوا يعتقدونه أن الغذاء هو سبب النضارة في الوجه كما سيظهر في هذا البحث. وقد استمر حكم الفاطميين كما ذكرنا آنفاً في مصر حتى بداية عام 567هـ/1171م.

(1) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، 103/1.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 76/4.

(3) ابن تغري بردي، م.ن، 78/4.

3- الأحوال السياسية في مصر وبلاد الشام في العهد الفاطمي

يصعب تناول الحالة السياسية بتفاصيلها في مصر وبلاد الشام خلال قرنين من الزمان في سطور قليلة، ولكننا نرسم ملامح الأوضاع السياسية كما رسمها المؤرخون لتلك الفترة. كان دخول الفاطميين إلى مصر دخول أقلية غريبة عن البلاد مذهباً وانتماءً لذلك البلد فالفاطميون شيعة مذهباً ومغاربة بلداً، وأما المصريون فمن أهل السنة مذهباً، وهم على ولاء للخليفة العباسي في بغداد؛ فهو الذي يدعى له في خطبة الجمعة في مساجد مصر، ولذلك فقد جاء الفاطميون ليغيروا هذه الأوضاع تغييراً جذرياً، لأنهم جاءوا أصلاً للقضاء على الخلافة العباسية فغيروا ضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلاً من اسم الخليفة العباسي، قال المقرئ: "وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلاً من اسم الخليفة العباسي وعلى أحد وجهيها "دعا الإمام معدّ بتوحيد الإله الصمد" وفي السطر الثاني: "المعز لدين الله أمير المؤمنين" وفي السطر الثالث "ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة" وعلى الوجه الآخر "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين"⁽¹⁾.

كما منع جوهر الصقلي الناس من لبس السواد شعار العباسيين، وزيد في الخطبة "اللهم صلّ على محمد النبيّ المصطفى، وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً، اللهم صلّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين"⁽²⁾.

كما دعا جوهر إلى تغيير صيغة الأذان فأضاف عليها عبارة "حي على خير العمل" وهي عبارة خاصة بالشيعة.

وأصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية بعد أن كانت ولاية تابعة للعباسيين، مما يعزز القول إن الفاطميين أرادوا مصر شيعية في كل شيء لأنها وجه الخلافة الفاطمية. وقد وضحت الأحوال السياسية في مصر ضمن المحاور الآتية:

(أ) موقف الفاطميين من أهل السنة في مصر

كان أهل مصر في غالبيتهم من أهل السنة على المذهبين المالكي والشافعي وقد بث الفاطميون كعادتهم دعائهم السريين في مصر لتحويلها إلى المذهب الشيعي قبل دخول جوهر

(1) المقرئ، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، ص 164.

(2) المقرئ، م.ن، ص 165.

إليها، إلا أن أهل مصر بقوا على مذهب أهل السنة، فعمد الفاطميون إلى معالجة الأمر بإغراء المصريين بالمنصب، حيث جعلوا المناصب العليا ولاسيما القضاء للشيعة، وجعلوا إمام دعوتهم المذهبية لكبار متفقي الشيعة وكان هذا المنصب يعرف بـ "داعي الدعاة" قال القلقشندي "وكانت منزلة هذا الداعي الكبي تلي قاضي القضاة"⁽¹⁾، ولكن إسناد هذه المناصب للشيعة لم يغر أحداً من قضاة السنة بالتحول إلى المذهب الشيعي فأسند القضاء في معظمه إلى الشيعة، وحارب المذهب المالكي محاربة شديدة حتى روى المقرئزي "أن رجلاً ضرب بمصر، وطيف به في المدينة سنة 381هـ/ 989م لأنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك ابن أنس"⁽²⁾.

وكذلك فقد أمعن الفاطميون في إظهار شعائرهم الدينية المخالفة لأهل السنة كاحتفال بيوم عاشوراء، وعيد الغدير المعروف بغدير خم (وهو اليوم الثامن من ذي الحجة) وأداء صلاة الجنازة بخمس تكبيرات، وسب الصحابة على المنابر، والاحتفال بمولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة، ومولد الخليفة القائم بأمر الله، وليلة أول رجب، ونصف رجب، ونصف شعبان وغيرها.⁽³⁾

وعلى الرغم من ذلك فقد بقي أهل السنة محتفظين بمذهبهم السني إلى أن جاءهم الفرج بعد قرنين من الزمان على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(ب) الاستعانة بالعناصر الأجنبية (غير المصرية) على حكم البلاد

دخل الفاطميون مصر بجيش مكون من عناصر دخيلة على المجتمع المصري كالمغاربة وهم غالبية الجند، والأتراك، والأكراد والديلم، والسودان، ولأن المصريين ظلوا ينظرون إلى الفاطميين باعتبارهم غرباء، ورفضوا التعاون معهم فقد استعان الفاطميون بالعناصر الأجنبية هذه على حكم مصر، وقد نسب بعض هذه العناصر إلى الخلفاء كالحافظية نسبة إلى الحافظ والامرية نسبة إلى الأمر، وبعضهم نسب إلى الأمراء كالحوشية والأفضلية.

وقد احتفظ المغاربة بالوظائف الحكومية الكبرى، فيما سيطر البربر على الجيش، وأما السودانيون فقد كانوا يجلبون جنوداً مرتزقة وقد جلبهم الحاكم بأمر الله للاستعانة بهم على المصريين بالفسطاط، فهاجموا أرجاء المدينة، واقتحموا بيوتها، وحماماتها ونهبوا أسواقها⁽⁴⁾.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 3/ 483.

(2) المقرئزي، الخطط 341/2.

(3) القلقشندي، م.س، 3/ 511-513.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 4/ 181. 182.

وأما الأتراك فقد ظهر أمرهم في عهد العزيز بالله حيث استكثر منهم، وقربهم إليه، وأصبحوا عنصراً هاماً في الجيش الفاطمي.

ولا شك في أن كثرة هذه العناصر وتنوعها في قيادة الجيش ونظام الحكم قد أدى إلى تنافسها واقتتالها أحياناً وتمردتها على الحُكم أحياناً أخرى كثورة جند الأتراك في عهد المستنصر على قلة رواتبهم⁽¹⁾ والمعارك العنيفة التي شهدتها مصر بين السودانيين والأتراك في عهد أيضاً.

(جـ) موقف الفاطميين من اليهود والنصارى

نظراً للموقف العدائي الذي أظهره أهل السنة في مصر للفاطميين، فقد لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بالأقليات من أهل الذمة على حكم مصر فقربوا إليهم أهل الذمة وأظهروا لهم كثيراً من التسامح واستخدموهم في أهم شؤون الدولة، إلى درجة دفعت ابن البواب إلى أن يقول:

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا	غاية آمالهم وقد ملكوا
العزُّ فيهم والمال عندهم	ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني قد نصحت لكم	تهودوا، قد تهود الفلأُك ⁽²⁾

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن فترة النفوذ الذهبي لليهود والنصارى كانت في عهد العزيز بالله الذي حكم الدولة الفاطمية من عام 365هـ/975م - 386هـ/996م ويعود ذلك إلى زواجه من نصرانية وتعيين أخويها بطيركين ملكيين وجعل أحدهما في الإسكندرية والآخر في بيت المقدس⁽³⁾، كما عيّن الوزير منشأ بن إبراهيم الفرّار اليهودي والياً على بلاد الشام، وولى عيسى بن نسطورس كاتباً خاصاً له، ولا عجب بعد ذلك أن نجد الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي يقول مزيهاً بهذه الحالة⁽⁴⁾:

تنصّر فالتنصر دين حـق	عليه زماننا هذا يدلُّ
وقل بثلاثة عزّوا وحلّوا	وعطلّ ما سواهم فهو عطلُّ
فيعقوب الوزير أبّ وهذا الـ	عزيز ابنّ وروح القدس فضلُّ

"ويعقوب الذي يشير إليه الشاعر هو يعقوب بن كلّس الوزير اليهودي الذي ادّعى الإسلام فقرّبه المعز لدين الله وجعله من أخصّ خاصّته.

(1) ابن ميسر، تاريخ مصر، ص17.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، 2/116. وابن البواب هو أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز (ت 413هـ - 1022م)، وهو الخطاط الشهير والكاتب البار ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدياء، وأثنى ابن الفوطي على أدبه وقال "ورزق على ملاحه الكتاب محاسن الآداب من الفضل الظاهر والنظم الباهر" أنظر ترجمته في وفيات الأعيان، 3/342.

(3) ابن الأنطاك، تاريخ ابن الأنطاك، 144-145.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/82.

وكذلك في عهد المستنصر فقد ارتفع شأن الوزير اليهودي إبراهيم بن سهل التستري وأخيه هارون حيث تولى إبراهيم نظارة الخاصة (منصب رفيع) لكن الأمر انتهى بقتله⁽¹⁾. وقبل وفاة الحاكم بأمر الله أصدر عدة مراسم لإطلاق حرية شعائر النصارى واليهود وسمح للنصارى بتجديد كنائسهم وردّ ما أخذ من أوقاف الكنائس والأديرة في بداية عهده⁽²⁾. ولم يكن اليهود والنصارى يعيشون في مناطق منعزلة أو مغلقة وإنما كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين في الفسطاط وغيرها من أقاليم ومدن مصر المختلفة.

(د) سقوط الشام في أيدي الصليبيين أواخر العهد الفاطمي:

ويسجل التاريخ أن ضعف الخلفاء الفاطميين في أواخر العهد الفاطمي وسوء إدارتهم قد أدى إلى سقوط الشام لقمة سائغة بيد الصليبيين، وفي هذا يقول ابن خلكان عن الخليفة الأمر وهو من أضعف الخلفاء الفاطميين امتد حكمه من 495هـ/1101م - 524هـ/1129م "وكان الأمر سيء الرأي، جائر السيرة، مستهتراً، فتظاهر باللهو واللعب. وفي أيامه أخذ الفرنج عكا وطرابلس الشام وعرة وبانياس وصور وببروت وصيدا ووصل بردويل الفرنجي إلى الفرما⁽³⁾ من الديار المصرية، وأحرقها، وأحرق جامعها ومساجدها، ورحل عنها وهو مريض، فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش"⁽⁴⁾.

4- الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام:

(أ) الطبقات الاجتماعية:

قسّم المقرئزي المجتمع المصري في العهد الفاطمي إلى سبع طبقات اجتماعية بحسب أحوالهم المعيشية وهم بالترتيب من الأعلى إلى الأدنى: "طبقة أهل الدولة، ثم أهل اليسار من التجار، وأولي النعمة، وأهل الرفاهية، ثم الباعة وهم متوسطو الحال من التجار ويقال لهم (أصحاب البز)، ثم أصحاب المعاش والعمال وهم السوق وعامة الناس، ثم أهل الفلح والزراعة والحراث وهم أهل سكان القرى والأرياف، ثم الفقراء وهم الفقهاء وطلاب العلم والأجراء وأصحاب المهن، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة يتكفون الناس"⁽⁵⁾.

(1) تاريخ ابن الأنطكي، ص 232.

(2) ابن الأنطكي، م، ن، ص 194.

(3) الفرما: بلد على الشاطئ الشرقي لبور سعيد، (الموسوعة العربية 246/3).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان 300/5.

(5) انظر المقرئزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 72-73.

(ب) أجناس وأعراق المجتمع المصري:

ويقسّم بعض المؤرخين المجتمع المصري في ذلك العهد بحسب أعراقهم، فقد أدخل الفاطميون عناصر مختلفة من أعراق متعددة على أهل مصر، فقد أصبح المجتمع المصري خليطاً من أعراق هي المصريون (سنة وأقباط) والمغاربة والسودانيون والأتراك والأرمن. ولا شك في أن هذا الاختلاط قد أثر على التجانس الذي كان سائداً بين أبناء المجتمع المصري والشامي قبل دخول الفاطميين، فدخلت عليه الكثير من العناصر الاجتماعية الجديدة بالإضافة إلى المذهب الشيعي الذي أصبح المذهب السائد بالإكراه على المصريين الذين يشكلون الغالبية المتمسكة بمذهبها السني على الرغم من كل المظاهر الاجتماعية التي سادت المجتمع كالاحتفال بمناسبات الشيعة وأعيادهم، ومواكب الخلفاء وموآئدهم، ومظاهر الأبهة والفخامة في رسوم الخلافة الفاطمية، التي بقي الشعب المصري ينظر إليها بعين الغرابة لأنها لا تنتمي إلى حاضره وماضيه، فالمصريون كان ولاؤهم القلبي والمذهبي لدولة بني العباس في بغداد، مما يفسر فرحة المصريين بزوال حكم الفاطميين الذي دام أكثر من قرنين من الزمان.

(ج) شيوع مظاهر الفخامة والعظمة:

إن السمة الغالبة على الحياة الاجتماعية في مصر وتابعها الشام هي شيوع مظاهر الفخامة والأبهة والعظمة عند الخلفاء والأمراء والوزراء، وازدهار العمارة ونظم الحضارة والمدنية وكثرة الأعياد والموائد والأسمطة العامة؛ لما تضيفه تلك المشاهد من فرحة الناس، ورضاهم بحكم الفاطميين، فالخلفاء كانوا يلجؤون لمثل هذه المظاهر لنيل رضا العامة الذين ينظرون إلى الفاطميين كغرباء عنصرياً ومذهباً.

كان الخليفة الفاطمي يحاط بمظاهر من العظمة إلى درجة ترفعه إلى مقام القداسة، ناهيك عما ادّعاه الحاكم بأمر الله من الألوهية، الأمر الذي أشار إليه ابن هانئ الأندلسي بقوله: ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد
وكأنما أنصارك الأنصار (1)

بل إن الخليفة الفاطمي كان يسجد له من دون الله، وفي هذا يقول الكندي: "قريء سجل أحد القضاة في الجامع الأزهر وهو قائم على قدميه، فكلما مرّ ذكر المعزّ أو أحد من أهله أو ما بالسجود" (2).

(1) ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 96.
(2) الكندي، ملحق أخبار الولاة والقضاة، 589/3.

وحتى يحاط الخليفة وموكبه بما يليق به من التعظيم فقد امتازت احتفالات الخلفاء ومواكبهم بالبذخ والروعة وقد كانت قصورهم تملأ البصر، وقاعاتها من الذهب الخالص وقد وصف المقرئ قصر الخليفة⁽¹⁾ العزيز كما وصفه ابن خلكان فقال "إنه لا يوجد شبيه له في الشرق ولا في الغرب"⁽²⁾.

وامتازت احتفالات الخلفاء بالأسمطة التي كان يقدم فيها الكثير من أنواع الأطعمة والحلوى وكانت الاحتفالات مناسبة لتفريق الخلع والكسوات على رجال الدولة حتى إن عيد الفطر عند الفاطميين كان يسمى " عيد الحُلل "، لأن الحُلل تعم فيه على جميع الناس⁽³⁾.

(د) الموائد والأسمطة

وأما الأسمطة " الموائد " فقد أسهب المؤرخون في وصفها وفي وصف ما تحتويه من أطعمة ومشروبات وهو لبُّ بحثنا بالإضافة إلى ما وصفه أولئك المؤرخون من الدور التي كانت تصنع فيها تلك الأطعمة: "فجعل يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي في قصره مطابخ خاصة له ولأضيافه، وأخرى لغلمانها، وحاشيته، وأتباعه، كما اتخذ لقصره طائفة من الحجاب يرتدون الملابس الحريرية ويتقلدون السيوف ويتمنطقون بالمناطق"⁽⁴⁾. وتكثر المصادر التاريخية من ذكر مكان يسمى .. دار الفطرة .. وهي دار كبيرة كانت تصنع فيها الحلوى الخاصة بالاحتفالات يقول ابن المأمون: "وفي الموائد الستة كان يعمل بدار الفطرة ما يقرب من خمسة قناطير من الحلوى تفرق على المتصدرين والقراء والفقراء بالمشاهد والمساجد الستة. أما عدد الصواني التي كانت تقدم على سباط الخليفة في هذه المناسبات فكانت ما يقرب من أربعين صينية خشكانج"⁽⁵⁾.

(هـ) كثرة الأعياد

وقد كان للفاطميين في كل عام عشرون عيداً دينياً نذكر منها عيد الفطر، وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي عليه الصلاة والسلام، ومولد أمير المؤمنين علي

(1) انظر وصف هذا القصر في المقرئ ، الخطط ، 485/1 والمقرئ ، نفع الطيب ، 234/1.

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 152/2.

(3) أنظر ، ابن المأمون ، أخبار مصر ، ص 38-48.

(4) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 441/2.

(5) ابن المأمون ، م، 35، والخشكانج : نوع من الحلوى المصنوعة من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفتق ، (الجواليقي، المغرب، ص38).

بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ويوم عاشوراء،
وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه⁽¹⁾.

ومن المشاهد الفخمة في تلك الأعياد، ما وصفه القلقشندي بقوله: "وإذا عاد الخليفة من
الصلاة، أقيم سماط آخر أروع وأبهى، فيجلس الخليفة وأمامه مائدة من فضة يقال لها
(المدورة) عليها أواني الذهب والفضة، ملأى بأفخم ألوان الطعام وأشهاها، وقبالتها سماط
ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو نثرت عليه الأزهار والرياحين، وصفت على جانبيه الأطباق
الملأى بصنوف الشواء والطيور والحلوى البديعة ويجلس إليه رجال الدولة وعظمائها⁽²⁾.

وكانت كل الأعياد تتخللها الأسمة إلا يوم عاشوراء فقد كان يعتبر يوم حزن شامل
تعطل فيه الأسواق، وتنشد فيه الأناشيد المحزنة في رثاء الحسين، ويقدم عليه سماط يسمى
سماط الحزن عليه خبز الشعير والعدس والجبن ويحضره الخليفة ملثماً مرتدياً ثياباً قاتمة⁽³⁾.
وفي وصف طريف للأسمة في أحد الأعياد، يقول المقرئزي: "وكان يوضع على السماط
أواني الفضة والذهب والصيني وطوله بطول القاعة وعرضه عشرة أذرع ويوضع في وسطه
واحد وعشرون طبقاً في كل طبق واحد وعشرون خروفاً، ومن الدجاج ثلاثمائة وخمسون
طائراً ومن الفرايج مثلها وكذلك من الحمام .."⁽⁴⁾.

ويذكر ناصر خسرو أن راتب السكر في اليوم الذي تنصب فيه مائدة السلطان هو
خمسون ألف من وأنه شاهد على المائدة شجرة أعدت للزينة - تشبه شجرة النارج - كل
غصونها وأشجارها وثمارها مصنوعة من السكر، وعليها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها
من السكر أيضاً⁽⁵⁾.

(و) المرأة في العصر الفاطمي:

كان للمرأة في العصر الفاطمي تدخل في شؤون الحكم والسياسة، واشتهرت كثيرات*
منهن بالثراء والبذخ حيث ذكر المقرئزي أن ابنتين للمعز تركتا ما يقرب من مليون ونصف
من العملة الذهبية،⁽⁶⁾ فيما كانت نساء الخلفاء الأخريات ومنهم زوجة المعز تنفق أموالاً على
بناء المساجد كمسجد القرافة، وأما زوجة العزيز بالله فكانت نصرانية أسهمت في زيادة نفوذ
النصارى في الدولة وكذلك فعلت ابنتها (ست الملك) التي كانت تعطف على النصارى وكان

(1) انظر: المقرئزي، الخطط، 388/1.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 515/3.

(3) القلقشندي، م.ن، 517/3.

(4) المقرئزي، الخطط المقرئزية، 213/1.

(5) ناصر خسرو، سفرنامه، ص108، وهو رحالة قام برحلته إلى الشام ومصر بين عامي 1045/437 - 1052/444، والمن: مكيال

يوزن به وهو رطلان، والجمع أمان لسان العرب 13/199.

(6) المقرئزي، الخطط، 415/1.

لها ثمانمائة جارية وقطعة من الياقوت تزن ثمانية مثاقيل وكانت مخصصاتها السنوية خمسين ألف دينار⁽¹⁾.

على أنّ الدور الأكبر الذي لعبته المرأة في الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي كان الانغماس في حياة الرذيلة والملاهي والخروج ليلاً وارتياح الحمامات العامة، ولذلك فقد أصدر الحاكم بأمر الله قانوناً يمنع فيه النساء من الظهور سافرات⁽²⁾، وألا يتبعن الجنائز مطلقاً أو يظهرن للناس في حالة منافية للأدب والحشمة، كما حرّم أيضاً أن يدخل أحد مطلقاً الحمامات دون إزار⁽³⁾، كما يحدثنا ابن خلكان أن النساء قبعن في بيوتهن سبع سنوات حتى توفي الحاكم بأمر الله وتولى ابنه الظاهر عام 411هـ/1020⁽⁴⁾.

وخلاصة القول إن مصر في العصر الفاطمي كانت حياتها الاجتماعية صاخبة عامرة بكل ملذات الدنيا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. وهي السمة العامة لذلك العصر، الذي اختلطت فيه الأعراق والأجناس والملل والمذاهب وفتحت فيه على مصر أبواب كل شيء.

5- الحياة الاقتصادية في العصر الفاطمي

دخل الفاطميون مصر سنة 358هـ/968م والبلاد تمر بأزمة اقتصادية خانقة داهمتها في السنوات الأخيرة من حكم الدولة الإخشيدية، وكان سبب هذه الأزمة انخفاض مياه النيل في أواخر عهد الدولة انخفاضاً دام تسع سنين (351هـ / 962م - 360هـ/970م) وقد أصاب البلاد قحطٌ ووباء، واشتد الغلاء ونذر وجود القمح وقاست البلاد الأمرين، وربما كان هذا عاملاً هاماً أسهم في مساعدة الفاطميين على دخول مصر وقبول المصريين لحكم الفاطميين علّ هذا يحدث انفراجاً اقتصادياً، وقد جلب جوهر الصقلي معه من المغرب كميات هائلة من الذهب؛ ليتمكن من التغلب على الأزمة الاقتصادية آنذاك، وفي هذا يقول ابن تغري بردي "سافر جوهر القائد من إفريقية ومعه أكثر من مئة ألف فارس، ومعه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال"⁽⁵⁾ وقد وصلت مصر آنذاك إلى أزمة مالية عجز فيها الإخشيديون عن دفع

(1) المقرئزي، الخطط، 415/1. 415/1.

(2) أنظر، ابن الأنطاكى، تاريخ ابن الأنطاكى، ص208.

(3) المقرئزي، م.س، 285/2.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 166/2.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 29/4.

رواتب الجند وجمع الضرائب حتى كتب بعض أولي الرأي في مصر إلى المعز لدين الله الفاطمي يطلبون إليه القدوم إلى مصر لإنقاذها من تلك الفوضى السياسية والاقتصادية.⁽¹⁾ ولا شك في أن الفاطميين قد أدخلوا تغييرات على النظام الاقتصادي في مصر آنذاك، ومن أهم تلك التغييرات تحسين البنية التحتية في مجالي الزراعة والصناعة والعناية بالأسواق وقوافل التجارة، حيث ازدهرت الحياة الاقتصادية وغدت قوافل التجارة تروح وتجيء حاملة منتجات الشرق والغرب "فأقيمت الأسواق العامرة بمختلف السلع وأنشئت القياسر والخانات والوكالات واهتم الخلفاء بالزراعة حيث تنوعت المحاصيل الزراعية، وأسهم ذلك في تطور الصناعة وازدهار الحركة التجارية الداخلية والخارجية، وأسهم ذلك في الثراء الذي تمتعت به شريحة كبيرة من أبناء الشعب المصري والقادمين الجدد من الفاطميين"⁽²⁾.

أحسن الفاطميون استغلال فيضان مياه النيل؛ فقسّم الفلاحون المصريون الأراضي الزراعية إلى حياض يصل إليها الماء زمن الفيضان بوساطة شبكة واسعة من الترع والقنوات، وقاموا بصيانة الجسور المقامة على النيل؛ ولذلك فقد تنوعت المحاصيل الزراعية الصيفية والشتوية، وكان من أهم المحاصيل الزراعية الشتوية: القمح والشعير والبرسيم والكتّان والجلبان. وأما المحاصيل الصيفية فتمثلت في قصب السكر والأرز والسمسم والفواكه كالكرام والرمان والخوخ والنارنج والبطيخ والأترج والسفرجل والليمون، وقد تعجّب ناصر خسرو الذي زار مصر في العصر الفاطمي مما شاهده من أنواع الفواكه والخضروات والرياحين في يوم واحد فقال:

"وكل من يفكر كيف تجتمع هذه الأشياء التي بعضها خريفي وبعضها ربيعي وبعضها صيفي وبعضها شتوي لا يصدق هذا.. وولاية مصر عظيمة الاتساع بها من كل أنواع الجو من حار وبارد وتجلّب هذه الحاجيات لمدينة مصر من جميع البلاد ويباع بعضها في الأسواق"⁽³⁾.

أما في مجال الصناعة فقد ازدهرت الصناعات المرتبطة بالزراعة كصناعة السكر التي مثّلت جانباً هاماً في الاقتصاد المصري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وقد تحسنت طرق تكرير عصير قصب السكر في مصانع كان يطلق عليها اسم "مطابخ السكر"، كما ازدهرت صناعة النسيج والمنسوجات الكتانية، حيث كانت القاهرة مركزاً هاماً لصناعة المنسوجات الحريرية، وتذكر المصادر التاريخية⁽⁴⁾ إن المعز لدين الله

(1) سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، 147.

(2) عبد المنعم سلطان، الأسواق في العصر الفاطمي، ص5.

(3) ناصر خسرو، سفرنامه، 43.

(4) انظر، المقرئ، الخطط، 409/1.

الفاطمي أنشأ في القاهرة داراً سماها (دار الكسوة) حيث كانت تفصل الثياب لموظفي الدولة على اختلاف درجاتهم، وكان يصنع بهذه الدار أيضاً كسوة الكعبة والخلع التي يمنحها للوزراء والأمراء والأشراف ورجال الدولة في عيد الفطر حتى سمي عيد الفطر " بعيد الخُلل "، وكانت هناك دار لصناعة الأقمشة الفاخرة تدعى "دار الديباج" أنشأها الوزير الفاطمي الأفضل ابن بدر الجمالي حيث كانت مخصصة لإنتاج " حرير الديباج"(1) .

كذلك فقد تقدّمت صناعة الزجاج والخزف وكانت الفسطاط من أكبر مراكز صناعة الزجاج وبلغ من انتشار الخزف أن البقالين في مصر وغيرهم من التجار كانوا يضعون ما يبيعونه في أوانٍ من الخزف بدل الورق.

ومن الصناعات التي ازدهرت في مصر أيام الفاطميين صناعة الورق، فأصبحت " مطابخ الورق " في الفسطاط تنتج الورق المعروف " بالورق الطلحي " نسبة إلى طلحة بن طاهر والي خراسان المتوفى عام 123هـ/740م أحد أول من أدخل " مطابخ الورق " في الإسلام(2).

ويعزو المؤرخون ازدهار الصناعة في مصر أيام الفاطميين إلى سياسة الفاطميين الاقتصادية التي تبنت حرية الاستثمار وإقامة المشاريع، فقد كانت سياسة التسامح التي اتبعتها أغلب الفاطميين من خلفاء وساسة مع الأقباط ذات أثر كبير في أن يجد الأقباط أنفسهم آمنين على أموالهم وكانوا ذوي مهارة في الإنتاج الصناعي ما أدى إلى ازدهار الكثير من الصناعات ولاسيما أن مصر أصبحت محطة لاجتذاب العمال المهرة من كل مكان في العالم(3).

وأما التجارة فكانت أبرز مظاهر النشاط الاقتصادي في مصر، فقد انتشرت الأسواق انتشاراً واسعاً جداً حتى قال ناصر خسرو "وإنه كان بالفسطاط وحدها في العصر الفاطمي حوالي مئتي سوق"(4) وهذا يدل على ازدهار النشاط الاقتصادي وكثافته، وهو أمر طبيعي لما تمتعت به مصر آنذاك من وفرة الإنتاج وتنوعه في الزراعة والصناعة بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني وصيد البر والبحر والإنتاج المعدني وخلاف ذلك مما تجود به الغابات والثروة الحرجية، وفي هذا يقول المقدسي عن الفسطاط: "إن الفسطاط هو مصر في كل قول، اشتهر اسمه وجلّ قدره، كثير الأجلّة والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص، حسن الأسواق

(1) أنظر، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر والمغرب وسوريا وبلاد العرب، ص583.

(2) أنظر، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص384.

(3) م.س، ص296.

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص63.

والمعاش، ولقياسرته⁽¹⁾ لياقة وبهاء، ليس في الإسلام أكبر مجلساً من جامعته، ولا أحسن تجملاً من أهله، ولا أكثر من مراكب ساحله به أطعمة لطيفة وحلاوات رخيصة، كثير الموز والرطب، غزير البقول والحب، خفيف الماء صحيح الهواء، معدن العلماء، طيب الشتاء...⁽²⁾

وقد قامت بين مصر والمدن الإيطالية وبخاصة جنوة والبندقية علاقات تجارية، حيث كانت سفن البندقية تنقل الخشب والحديد إلى الموانئ المصرية، وكان البيزنطيون يستوردون المنسوجات من مصانع تيس ودمياط، وهذا ما ذكره ناصر خسرو أيضاً حيث ذكر أن كثيراً من السلع التي رآها وأعجب بها في أسواق مصر كانت من واردات بلاد الروم⁽³⁾.

ونظراً لكثرة التجار القادمين إلى مصر فقد أنشئت الوكالات وهي كالفنادق اليوم ينزل بها التجار القادمون من بلاد المشرق الإسلامي، وكانت هناك أبنية أخرى أعدت للتجار تسمى "القياسر" ومفردها "قيسارية" وهي مجموعة من المباني العامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن، وكان في بعضها مساجد لتجار المسلمين وكانت تنتشر في الفسطاط والإسكندرية.

وأما العملة الرسمية في مصر أيام الفاطميين فقد كانت "الدنانير المعزّية" بالإضافة إلى دنانير الخلافة العباسية.

وقد تمتعت الفسطاط برخاء عظيم وكثرت فيها الأسواق الكبيرة كسوق القصبه وسوق الحدادين وسوق السراجين وسوق الحريريين وسوق الشوايين ومن الأسواق أيضاً "سوق المتعيشين" يقول عنه المقرئزي :
"وقد أدركته سوقاً عظيماً لا يكاد يعدم فيه شيء مما يُحتاج إليه من المأكولات وغيرها في ليلٍ أو نهار"⁽⁴⁾.

ومن مراكز التجارة الداخلية مدينة دمياط التي تميزت عن غيرها بازدهار التجارة والصناعة، حيث كانت الميناء المصري الوحيد على الجزء الشرقي من المتوسط، وكذلك قوص وأسوان التي كانت ترد إليها تجارة النوبة والسودان.

(1) القياسر هي جمع قيسارية وهي مجموعة من المباني العامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن ومساجد لتجار المسلمين وكانت تنتشر في الفسطاط والإسكندرية، وهي أشبه ما تكون بالمجمعات التجارية اليوم. أنظر، عبد المنعم سلطان، الأسواق في العصر الفاطمي، ص 6.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 197-198.

(3) أنظر، ناصر خسرو، سفرنامه، ص 43.

(4) المقرئزي، الخطط، 375/1.

ومما زاد في النشاط التجاري في مصر في عهد الفاطميين استقرار الحياة والأمن فيها بعد الاضطرابات السياسية التي شهدتها العراق. وقد عمل الفاطميون على إضعاف الحياة الاقتصادية لدى الدولة العباسية فأحكموا سيطرتهم على طريق التجارة المؤدية إلى الهند، بالإضافة إلى تجارتهم مع أوروبا وشمال إفريقيا وصقلية وبيزنطة. إلا أن هذا الرخاء الاقتصادي أيام الفاطميين قد سادته بعض أيام الشدة فيما سماه المؤرخون بالشدة العظمى. وامتدت ثماني سنوات أيام حكم الخليفة المستنصر الفاطمي في الفترة ما بين (446هـ/1054م - 454هـ/1062م) وهي شدة لم تقتصر على مصر، وإنما نكبت فيها جميع الأمة الإسلامية من مصر إلى سمرقند وفيها يقول ابن ميسر: "وكان يموت بمصر كل يوم عشرة آلاف نفس، وعمدت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب والقطط، ثم أكل بعضهم بعضاً"⁽¹⁾.

6- الحياة الثقافية في العصر الفاطمي

كان الفاطميون على جانب كبير من الاهتمام بنشر الثقافة العلمية، وحاولوا منافسة بغداد حاضرة الخلافة العباسية، ولقد نجحوا في جعل مصر قبلة العلم الأولى في العالم الإسلامي أواسط القرن الخامس الهجري، لكن اهتمامهم الأبرز ولاسيما في أوائل حكمهم كان في نشر الثقافة المذهبية، حيث اجتهدوا كثيراً في غزو أهل مصر من السنة بثقافة المذهب الشيعي المتصل بالدعوة الإسماعيلية كالفقه والتفسير، وهذا ما يفسر إقامة الجامع الأزهر لهذه الغاية⁽²⁾.

كان الجامع الأزهر - كما أراد له الفاطميون - مركز إشعاع مذهبي لفكر الشيعة في مصر، وقد بدأت مسيرته عندما قام قاضي القضاة أبو الحسن علي بن نعمان المغربي بشرح كتاب "الاقتصار" ويشتمل على مسائل فقهية استمدها من فتاوى آل البيت. وقد عيّن الفاطميون للتدريس في الجامع الأزهر فقهاء شيعة وأوقفوا عليهم أرزاقاً شهرية، وأنشأوا لهم دوراً للسكن. ثم تفرّع عن ذلك أن توسعت العلوم المدرّسة في الجامع الأزهر كعلم التوحيد والفقه واللغة والرياضة والمنطق والنحو والبيان والطب وغيرها من العلوم. كذلك اهتم الفاطميون بإقامة المكتبات، فقد خصص المعز لدين الله الفاطمي مكتبة في القصر الشرقي جمع فيها آلاف النسخ من أشهر الكتب آنذاك حتى تميزت على غيرها من

(1) ابن ميسر، تاريخ مصر، 23، 13.
(2) أنظر، حسن إبراهيم حسن، م.ن، ص 427.

مكتبات العالم الإسلامي بما فيها من خزائن تحوي أندر النسخ وأنفسها. وقد روى المقرئزي "أن رجلاً أحضر إلى الخليفة العزيز بالله نسخة من كتاب الطبري اشتراها بمائة دينار" (1) كما يحدث عن ضخامة تلك المكتبة أنها قد اشتملت على أكثر من مئة ألف كتاب (2) ومن الشواهد على حرص خلفاء الفاطميين على اقتناء نسخ من نفائس الكتب مما ليس له وجود في المكتبات الأخرى ما نقله المقرئزي عن المسبحي أن كتاب العين للخليل بن أحمد ذكر عند الخليفة العزيز بالله فأمر خازن مكتبته فأخرج من مكتبته نيفاً وثلاثين نسخة من هذا الكتاب منها نسخة الخليل نفسه بخط يده (3).

ولأن الفاطميين حرصوا على منافسة الحضارة العباسية فقد أنشأوا داراً أسموها "دار الحكمة" أسوة بدار الحكمة التي أنشأها المأمون في بغداد، حيث أقامها الحاكم بأمر الله عام 395هـ وأطلق عليها هذه التسمية لأن مجالس الدعوة الشيعية كانت تعرف بمجالس الحكمة.

وقد غلب على دار الحكمة الطابع العلمي البحت بعكس الطابع الديني الذي كان في المساجد، فقد كان العلماء يدرسون فيها إلى جانب علوم آل البيت وفقه الشيعة الكثير من العلوم الطبيعية كالطب والفلك واللغة والرياضة والفلسفة والمنطق والتنجيم، وممن ارتادها من العلماء: الحسن بن الهيثم (4) وابن يونس المنجم (5) وعلي بن رضوان (6)، كما اجتذبت عدداً من الزوار كالرحالة الفارسي ناصر خسرو (7)، والداعي الحسن بن الصباح (8) الذي وفد إلى مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي، وقد دامت دار الحكمة 172 عاماً أدت فيها دوراً علمياً بارزاً في ذلك العصر، إضافة إلى كونها المقر الرسمي للدعوة الإسماعيلية.

أما عن المدارس فقد أنشئت في أواخر العصر الفاطمي على يد وزير سني هو رضوان بن ولخش وكان يدرس فيها الفقه المالكي عام 532هـ/1137م ومن هذه المدارس "المدرسة الحافظية" و "المدرسة العوفية"، وقد أنشأ وزير سني آخر هو العادل بن السلار

(1) المقرئزي، الخطط، 408/1.

(2) المقرئزي، م.ن، 366/2..

(3) م.ن، 458/1.

(4) هو العالم الشهير صاحب كتاب (المناظر) برع في علوم الطبيعة والبصريات توفي عام 430هـ/1038م، ترجمته في: ابن أبي أصيبعة، عيون الأطباء، ص 550.

(5) أبو الحسن علي بن يونس المنجم المصري، توفي 399هـ وله كتاب (الزيج الحاكمي)، ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان 375/1.

(6) رياضي اتصل بالحاكم وطبيب كان رأس الأطباء في عصره، وهو من كبار فلاسفة الإسلام ت 453، ترجمته في: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 69/5 و الزركلي، الأعلام 289/4.

(7) رحالة فارسي، زار بيت المقدس وبلاد الشام ومصر، ودون رحلته في كتابه الشهير "سفرنامه".

(8) الحسن بن الصباح (428هـ - 518) عالم بالهندسة والنجوم وهو من أعيان الباطنية في عهد ملكشاه السلجوقي دخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمي، الزركلي، الأعلام، 194/2.

مدرسة لتدريس الفقه الشافعي في الإسكندرية 546هـ/1151، على أن المدارس كمؤسسات رسمية لم تعرف انتشاراً واسعاً إلا في ولاية صلاح الدين لوزارة الخليفة العاضد بالله آخر الخلفاء الفاطميين.

ومن العلماء الذين برزوا في العصر الفاطمي عالم المالكية أبو بكر محمد النعالي المتوفى سنة 380هـ/990م وكانت حلقة بجامع عمرو بن العاص تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة روادها.

كذلك فقد نبغ في العصر الفاطمي العالم الشهير الحسن بن الهيثم وأصله من البصرة وكان قد أتى إلى مصر بدعوة من الحاكم بأمر الله لما بلغه من أن له نظرية هامة في توزيع مياه النيل وقد برع في الطبيعيات والرياضيات والبصريات وألف نحو مئتي كتاب وتوفي عام 430هـ/1038م واشتهر من الأطباء والفلاسفة أبو الحسن علي بن رضوان وهو مصري شغل منصب رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي.

أما من المؤرخين فبرز عدد كبير منهم علي بن منجب الصيرفي⁽¹⁾ وكان شاعراً أيضاً، ومنهم أبو عبد الله القضاعي⁽²⁾، ومنهم عز الملك المعروف بالمسبحي (366هـ/976م - 420هـ/1029م) صاحب كتاب تاريخ مصر.

7- الشعر في العصر الفاطمي

بلغت القاهرة المعزية في أواسط القرن الخامس الهجري أوج حضارتها وتألقها الأدبي، وقد بالغ الخلفاء الفاطميون في إكرام الشعراء والأدباء لما يضيفه الشعر من شرعية على حكمهم الذي كان ينظر إليه بعين الريبة والشك ولاسيما في أصلهم ونسبهم.

ويرتبط اسم الفاطميين دائماً بشاعرهم الشهير ابن هانئ الأندلسي (320هـ-362هـ)⁽³⁾ الذي كان شاعراً لصاحب اشبيلية جعفر ابن علي ثم اتصل بجوهر الصقلي ومدحه فسمى خبره إلى المعز فطلبه وبالع في الإنعام عليه وذلك في بلاد المغرب قبل أن

⁽¹⁾ (542-463) مؤرخ، ولي ديوان الإنشاء بمصر في أيام الأمر الفاطمي ياقوت الحموي، معجم الأدباء 79/5 و الزركلي، الاعلام 24/5.

⁽²⁾ هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري الشافعي توفي (454هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان 212/4 والصفي، الوافي بالوفيات 116/3 و الزركلي، الاعلام 146/6.

⁽³⁾ هو أبو الحسن محمد بن هانئ يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة، كان في عقيدته كثير من الاضطراب، ابن خلكان، وفيات الأعيان 421/4، وياقوت الحموي، معجم الأدباء 92/19، و محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين 88/12.

يذهب إلى مصر، حيث شيّعه ابن هانئ وعزم على اللحاق به إلى مصر ولكنه وجد في الصّباح ميتاً ولم يعرف سبب وفاته، حيث أسف عليه المعز أسفاً شديداً وقال: " وهذا الرجل كنّا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا ذلك " (1)

ويظهر شعره تشيعه واتباعه المذهب الشيعي وفي هذا يقول:

لي صارمٌ وهو شيعيٌّ كحامله
إذا المعزُّ معزُّ الدين سلَّطه
يكاد يسبق كرّاتي إلى البطل
لم يرتقب بالمنايا مدة الأجل (2)

ومن شعره المبالغ فيه بنسب المعز لدين الله الفاطمي ومنزلته عند الله:

هذا ابن وحي الله تأخذ هديها
ذعرت مواكبه الجبال فأعلنت
عنه الملائكُ بكراً وأصيلا
هضباتها التكبير والتهايلا
وعلمت من مكنون سرّ الله ما
لو كان أتى الخلق ما أوتيته
لم يؤت في الملكوت ميكائلا
لم يخلق التشبيه والتمثيلا (3)

ومن النابغين في الشعر أيضاً أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الفاطمي وله ديوان محقق مطبوع وقد اشتهر بشعره الغزلي ونسجه الدقيق، ولم يتولّ الخلافة لمجونه وانشغاله باللهو.

ومنهم أبو الرقعمق الشاعر المشهور المتوفى 399هـ/1008م الذي يقول في مدح أبي علي تميم بن المعز لدين الله

لا والذي نطق النبـي
ما للإمام أبي علي
يُفضله يوم الغديـر
ي في البرية من نظير (4)

وقد شهدت القاهرة قدوم عددٍ من الشعراء إليها من بغداد عندما ضاقت الحال بهم هناك ومن هؤلاء الشاعر الفقيه عبد الوهاب بن نصر المالكي (5) الذي قال يوم فارق بغداد "لو وجدت بين ظهرائكم رغيّفين كل غداة وعشية، ما عدلت عن بلدكم لبلوغ أمنية" وهو القائل يهجو في بغداد :

بغداد دارٌ لأهل المال طيبةٌ
أصبحتُ فيها مضاعاً بين أظهرهم
وللمفاليـس دار الضنك والضيق
كأنني مصحفٌ في بيت زنديق

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، 5/2.

(2) ابن هانئ، الديوان، ص182.

(3) ابن هانئ، م.ن، ص144.

(4) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي 3/140، وأبو الرقعمق هو أحمد بن محمد، الأنطاكي الشافعي توفي 399، قال عنه الثعالبي في اليتيمة "هو نادرة الزمان وجملة الاحسان"، وهو أحد الشعراء المجيدين الثعالبي، يتيمة الدهر 238/1.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 382/1.

ومن غريب المفارقات في حياة هذا الشاعر أنه بعد أن وصل مصر مات من أكلةٍ اشتهاها فقال وهو على فراش الموت : لا إله إلا الله، إذا عشنا متنا " (1)

ومنهم ابن وكيع التنيسي الملقب بالعاطس توفي عام 394هـ/1003م وقد عرف بابتكاره وحسن تصرفه في المعاني. ومنهم أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الاسكندري الملقب بالقاضي الأعز وقد توفي عام 567هـ/1171م، ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي الجوع وقد نبغ في عصر العزيز بالله الفاطمي، وله قصيدة شهيرة في حزنه لمرض الوزير ابن كلس الذي كان يغدق الأموال عليه وفيها يقول :

يُدُّ الوزير هي الدنيا فإن الميتُ رأيت في كل شيء ذلك الألما
تأمل المُلْك وانظر فرط علته من أجله وأسأل القرطاس والقلم (2)

ومن الشعراء المجيدين أيضاً ظافر الحداد وهو ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي الملقب بشاعر الإسكندرية، وهو أكثر في وصف الطعام والشراب، وله ديوان مطبوع محقق، وقد توفي عام (529هـ / 1134م).

ومنهم الشريف العقيلي علي بن الحسين بن حيدرة، وهو شاعرٌ مصري من نسل عقيل ابن أبي طالب، وشعره في وصف الطعام والشراب كثير، وقد توفي عام 450هـ / 1058م. ومنهم أسامة بن منقذ الكناني، قائد جند صلاح الدين، صاحب كتاب "الاعتبار" وله ديوان شعر مطبوع، وقد عاش قرابة المئة عام (488هـ/1095م - 584هـ/1188م). ومنهم الشاعر عبد المحسن الصوري وهو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غليون الصوري وهو شاعرٌ شامي مشهور توفي عام 419هـ/1027م. ولا ننسى العماد الكاتب صاحب الخريدة وهو محمد بن صفي الدين الأصفهاني، وله ديوان مطبوع (517هـ/1133م- 597هـ/1200م)، وقد أرخ في خريدته لأشهر شعراء عصره. كما لا ننسى أن من أهم شعراء العصر الفاطمي الشاعر الكبير أبو العلاء المعري.

ويمكن القول إن غرض الوصف كان هو الغرض الأبرز في شعر العصر الفاطمي، بالإضافة إلى غرض المدح، وهذا عائدٌ إلى سببين : فأما ظهور شعر الوصف فمرده إلى جمال بيئتي مصر والشام، وتنوع المشاهدات بكل ما يلفت الانتباه من خيرات وجمال، حيث فتحت على مصر أبواب كل شيء، وأما انتشار المدح فواضح أنه عائد إلى ما كان يبذله الخلفاء والأمراء الفاطميون للشعراء الذين كانوا يصفون شرعية على وجودهم حكماً لمصر.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 382/1.

(2) المقرئ، الخطوط، 7/2.

الفصل الأول

وصف الأطعمة والأشربة: النشأة والتطور

- 1 - في القرآن الكريم
- 2 - في الحديث النبوي الشريف.
- 3 - في شعر العصور السابقة :
 - أ - الجاهلية .
 - ب - الأموية .
 - ج - العباسية .
 - د - الأندلسية .

1- وصف الطعام والشراب في القرآن الكريم

مما يرفع شرف مقصد هذه الرسالة أن وصف الطعام والشراب قد ورد في كتاب الله تعالى في عشرات الآيات.

وقد ورد وصف الطعام والشراب في القرآن الكريم في سياقات متنوعة أهمها:

1 - الزروع والثمار في الدنيا، ومقصده لفت الانتباه إلى عظمة خلق الله تبارك وتعالى،

ودقة صنعه، وتمازج نعمته على الإنسان مما يوجب شكره وتعظيمه، ومن ذلك قوله تعالى

♥ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ
وَالرَّيْثُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ⁽¹⁾ ومنه قوله تعالى : " وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ
مَّتَّجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " ⁽²⁾ ، وقوله تعالى
" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا * وَعَنَبًا وَقَضْبًا ⁽³⁾ * وَزَيْتُونًا وَتَخْلًا * وَحَدَانِقَ غُلْبًا ⁽⁴⁾ * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ⁽⁵⁾ * مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنعَامِكُمْ " ⁽⁶⁾ .

2 - الأطعمة والأشربة التي وردت في سياق القصص القرآني ومنها:

أ - مائدة الحواريين (أصحاب عيسى عليه السلام)، وقد سميت سورة المائدة بهذا الاسم

لورود تلك القصة فيها في قوله تعالى : ♥ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ
أَنْ نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ⁽⁷⁾ ♦

ب ومن ذلك ذكر أضياف إبراهيم وطعامهم الذي لم تمتد إليه أيديهم، لأنهم من الملائكة

وقد كان ذلك الطعام عَجَلًا وصفه الله تبارك وتعالى بأنه " سمين " في قوله تعالى

♥ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ♦ ⁽¹⁾ .. ووصفه تارة أخرى بأنه (حنيز) في قوله

⁽¹⁾ الأنعام، 141/6.

⁽²⁾ الرعد، 4/13.

⁽³⁾ القضب: هو سائر البقول مما يؤكل رطباً، الصابوني، صفوة التفاسير 521/3، وفي اللسان: ما أكل من النبات غصناً، ابن منظور، لسان العرب، 202/11.

⁽⁴⁾ غلباً: ملتفة الأغصان، الصابوني، صفوة التفاسير 521/3، وابن منظور، لسان العرب، 99/10.

⁽⁵⁾ أبا: ما تأكله البهائم من العشب، الصابوني، صفوة التفاسير 521/3، وفي اللسان: المرعى المتهيج للرعي والقطع، ابن منظور،

لسان العرب، 39/1.

⁽⁶⁾ عيس 31-24/80.

⁽⁷⁾ المائدة 114-112/5.

⁽¹⁾ الذاريات 26/51.

تعالى " ♥ قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ♦ (2) وهو العجل المشوي بالحجارة المحماة (3) ، وقيل: الذي يقطر دسمه (4) .

ج- ومن ذلك أيضاً طعام بني إسرائيل حيث أنزل الله عليهم طعاماً طيباً هو المن والسلوى فاستبدلوه بطعام أدنى منه قيمة في قوله تعالى ♥ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (5) ♦ (6) " (7) فجاء ردهم على ذلك في قولهم ♥ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ♦ (8) .

3 - الأطعمة والأشربة التي وردت في السياق الفقهي كالأطعمة والأشربة المحرمة ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ♥ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا دَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقْ ♦ (9) وتكاد تلك الأطعمة تكون محصورة في هذه الأصناف وسياقاتها قليلة في بضع آيات.

4- وصف طعام وشراب أهل الجنة وأهل النار: وهو أوفر السياقات القرآنية حجماً وأكثرها طولاً، ومن ذلك:

أ - وصف طعام أهل الجنة بقوله تعالى: ♥ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ♦ (10) ومن الواضح أن طعام أهل الجنة وشرابهم لا يخضع لمقاييس أهل الدنيا وليس هو على صفة طعام أهل الدنيا وليس الوصف لنعيم الجنة إلا لتقريب الصورة لأهل الدنيا عن نعيمها، فالماء غير الماء واللبن غير اللبن والخمر غير الخمر، والأمر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء). ومن نعيم أهل الجنة في طعامهم وشرابهم قوله تعالى أيضاً ♥ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ♦ (1) ومنه قوله تعالى .. ♥ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ♦ (2) .

(2) هود 69/11.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير 24/2، الصابوني، وابن منظور، لسان العرب، 357/3.

(4) الزمخشري، الكشاف 409/2.

(5) المن هو شراب، مثل العسل كان ينزل عليهم فيمزجونه بالماء ثم يشربونه الصابوني، صفوة التفاسير 60/1، وفي اللسان: شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل، ابن منظور، لسان العرب، 198/13.

(6) السلوى هو طير سماني لذيق الطعم الصابوني، صفوة التفاسير 60/1، وفي اللسان: طائر أبيض مثل السماني، ابن منظور، لسان العرب، 352/6.

(7) البقرة 57/2.

(8) البقرة 61/2.

(9) المائدة 3/5.

(10) محمد 15/47.

(1) الواقعة 20/56 - 21.

ب وأما طعام أهل النار وشرابهم فقد وُصف وصفاً يبعث في النفوس النفور والاشمئزاز، قال تعالى: ♥ **وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ** ⁽³⁾ * **لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ** ⁽⁴⁾ ♦ " وقوله تعالى: ♥ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ** ♦ ⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ♥ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ* لَأَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ** ⁽⁶⁾ * **مَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ* فَيَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ* فَيَشَارِبُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ** ⁽⁷⁾ * **هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** ♦ ⁽⁸⁾ . وقد جاء تفصيل شجرة الزَّقُّوم في آية أخرى هي قوله تعالى ♥ **أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ* إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ* إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ* فَإِنَّهُمْ لَأَكُلُونَ مِنْهَا فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ* ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ** ♦ ⁽⁹⁾ . وقد اعترض أحد الملحدین على هذا التشبيه (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) فقال : كيف يمثل الحاضر بالغائب ؟ ولم يسبق إلى رؤية رؤوس الشياطين. وقد ردَّ العلماء على ذلك برأيين ، الأول : أن هناك شجراً كان اسمه رؤوس الشياطين وكانت العرب تعرفه، والثاني : أن صورة رؤوس الشياطين شنيعة في قلوب العباد على الرغم من عدم رؤيتها وذلك أبلغ من المعاينة ⁽¹⁰⁾

ومن طعام أهل النار أيضاً " الغساق " وهو صديد أهل النار، قال تعالى " ♥ **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا* جَزَاءً وَفَاقًا** ♦ ⁽¹¹⁾ أي جوزوا بذلك موافقة لأعمالهم وكفرهم.

ولا شك في أن وصف الطعام والشراب جاء غاية في بلاغة النظم في القرآن الكريم، وهذا يحتاج إلى بحث خاص ليس هذا مجاله، وشتان بين نظم البشر، ونظم الله رب العالمين، وقد اكتفيت بسوق أمثلة من هذا الوصف تمهيداً للبحث المنشود، ورصداً لظاهرة وصف الطعام والشراب منذ العصر الجاهلي وحتى الفترة الفاطمية .

2- وصف الطعام والشراب في الحديث النبوي الشريف

⁽²⁾ الإنسان 17/76.
⁽³⁾ قال ابن عباس: هو صديد أهل النار الذي يسيل من جراحاتهم، وقال قتادة: هو شر الطعام وأخبثه. انظر، الصابوني، صفوة التفسير، 321/3، وفي اللسان: ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره، ابن منظور، لسان العرب، 71/10.
⁽⁴⁾ الحاقة 36/69-37.
⁽⁵⁾ محمد 15/47.
⁽⁶⁾ شجرة خبيثة تنبت في أصل جهنم، الصابوني، صفوة التفسير 311/3، وفي اللسان: طعام أهل النار، ابن منظور، لسان العرب، 61/6.
⁽⁷⁾ الهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها، تفسير القرطبي 215/7، وابن منظور، لسان العرب، 183/15.
⁽⁸⁾ الواقعة 54-51/56.
⁽⁹⁾ الصافات 67-62/37.
⁽¹⁰⁾ انظر: المبرد، الكامل 79/2.
⁽¹¹⁾ النبأ 24/78-26.

جاء ذكر أسماء الطعام والشراب والزروع والثمار في الحديث الشريف في سياقين
إثنين هما:

أ- الأمثال التي كان يضربها الرسول ﷺ لتوضيح الأمور المجردة وتقريبها إلى أذهان
الصحابة $\frac{1}{2}$ وقد كان ذكر تلك الأسماء من الثمار والفاكهة والزروع يقع في باب المشبه به،
ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب
وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل
الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ
القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها) ⁽¹⁾.

ومنه قوله ρ : (يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حثالة كحثة الشعير أو التمر، لا يباليهم
الله بالله) ⁽²⁾.

ومنه قوله ρ (مثل المؤمن كمثل خامدة الزرع من حيث أتنها الريح تفيؤها، فإذا اعتدلت تلقى
بالبلاء، والفاجر كالأرزة الصماء معتدلة حتى يقصمها إذا شاء) ⁽³⁾.

ب- ومنها ما جاء في السياق الفقهي كاستحباب أكل طعام ما، أو التداوي به، أو كراهته أو
تحريمه، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك τ قال : إنَّ خِيَاطًا دعا
رسولَ الله ρ لطعام صنَّعه، قال أنس بن مالك : فذهبتُ مع رسول الله ρ إلى ذلك الطعام،
فقرَّبَ إلى رسول ρ خبزٌ من شعير ومرقٌ فيه دَبَاءٌ وقديد، قال أنس : فرأيت رسول ρ يتتبَّعُ
الدَّبَاءَ من حوالي الصحيفة ، قال فلم أزل أحبُّ الدَّبَاءَ منذ يومئذٍ ⁽⁴⁾.

ومنه قول عبد الله بن جعفر τ (رأيت رسول- ρ - يأكل القثاء بالرطب) ⁽⁵⁾.

والخلاصة أن استخدام أسماء الطعام والشراب في الحديث النبوي الشريف يأتي إما
في مجال التشبيه لاشتراك تلك الثمار في صفات مع بعض الأشياء المجردة لتقريبها إلى
الذهن، وإما على الحقيقة لبيان الحكم الفقهي في تناولها أو الابتعاد عنها.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في فضائل القرآن 58/9.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق 116/8.

⁽³⁾ رواه البخاري في كتاب المرضى، (الحديث 7466).

⁽⁴⁾ رواه مسلم في كتاب الأشربة (الحديث 2041)، والدبء هو اليفطين.

⁽⁵⁾ رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب أكل القثاء بالرطب (الحديث 2042).

3- وصف الطعام والشراب في الشعر من العصر الجاهلي إلى الفاطمي

أ- في العصر الجاهلي

الشعر ديوان العرب وهو يصور كل حركاتهم وسكناتهم بل وخلجاتهم العاطفية، فلا ريب إذن أن يشهد الشعر العربي في مرحلة مبكرة ظاهرة شعر وصف الطعام والشراب منذ بواكير الشعر العربي في فترة العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا. وقد كان وصف الطعام والشراب في شعر الجاهلية مظهراً من مظاهر إبداء الجود والكرم في إطعام الضيف وإغاثة الملهوف، قال حاتم الطائي⁽¹⁾:

وقمتُ بموشيّ المتون	(2) كأنّهُ	شهابُ غضاً، في كفّ ساعٍ مبادر
ليشقى به عرقوبَ كوما	(3) جلبه	(5) عقيلة أدم (4) كالهضاب بهازر
فظلّ عفاتي مكرمين وطابخي		(6) فريقان منهم : بين شاوٍ وقادر
شاميةً، لم يتخذ له حاسرُ		الطبيخ، ولا ذمّ الخليط المجاور
يقمص دهداق البضيع	(7) كأنّهُ	رؤوس القطا الكدر الدقاق الحناجر
كأنّ ضلوع الجنب في فورانها		إذا استحمشت ⁽⁸⁾ أيدي نساء حواسر
إذا استنزلت كانت هدايا وطعمة		ولم تختزن دون العيون النواظر
كأنّ رياح اللحم، حين تغطمط	(9)	رياحٌ عبير بين أيدي العواطر

فحاتم الطائي يبادر إلى السيف لينحر به ناقةً سمينة كثيرة اللحم فيشوي جزءاً منها ويطبخ جزءاً آخر، ويصور قطع اللحم وهي تغلي في القدر كأنها رؤوس القطا، ويفتخر بأنه لا يخبئ تلك اللحوم عن العيون بل يقدمها هدايا وأطعمة لضيوفه، ويشبه رائحة اللحم المطبوخ برائحة العبير العطرة .

(1) حاتم الطائي، الديوان، ص85.

(2) موشيّ المتون: السيف، ابن منظور، لسان العرب، 312/15.

(3) كوما جبلة: ناقة غليظة عظيمة السنام، ابن منظور، لسان العرب، 190/12.

(4) عقيلة أدم: سمراء كريمة، ابن منظور، لسان العرب، 97/1.

(5) البهازر: النوق السمينة الفخمة، ابن منظور، لسان العرب، 519/1.

(6) قادر: من يطبخ بالقدر، ويسمى أيضاً القُدار، ابن منظور، لسان العرب، 60/11.

(7) يقمص دهداق البضيع: يحرك قطع اللحم، ابن منظور، لسان العرب، 303/11.

(8) استحمشت: قويت النار بالحطب وأشبع وقودها، ابن منظور، لسان العرب، 325/3.

(9) تغطمط: اشتد غليان مائها، والغطمطة اضطراب الموج، ابن منظور، لسان العرب، 90/10.

ويقول عروة بن الورد مخاطباً القدر وهي تغلي (1):
 وقلت لها : يا أمَّ بيضاءَ فتيةً
 طعامُهُم مِّنُ القُدُورِ المعجَّلِ (2)
 مضيقٌ من النِّيبِ (3) المِسانِ (4) ومُسَخَّنٌ
 من الماء نعلوه بآخر من علٍ
 "فهو يخاطب القدر قائلاً: يا أم بيضاء كناية عن السوداء تحبباً، هؤلاء فتيةٌ حولك بلغ بهم
 الجوع كلَّ مبلغ، فلا ينتظرون اللحم لينضج، بل يتناولونه معجلاً يمسون العظم عليه اللحم
 ليأكلوه ويغمسوه بالمرق الساخن، فإذا نقص المرق أضيف إليه ماءً جديداً" (5)

وقال عمرو بن كلثوم مفتخراً (6):
 ونطعم الناس عند القحطِ كلَّهُم
 من السَّدِيفِ إذا لم يؤنسِ الفَرَعُ
 فهو يفتخر بإطعام الناس وقت الجوع من السنام المقطع.
 وقال طرفة بن العبد (7):
 فظلَّ الإمامُ يمتلن حُوارها
 ويُسعى علينا بالسَّدِيفِ المسرهدِ
 وأراد أن الإمام أخذ يشوين لحم الحوار في النار، ويقطعن من سنام الناقة، أي أنهم أكلوا
 أطايب الناقة وأباحوا غيرها للخدم، والمشهد يصور طبخ ناقة حبلى وهي من أنفس الإبل عند
 العرب.

وقال الأعشى في مدح الملحق بن خيثم بن شداد بعد أن حظي منه بحسن الضيافة، فسارَعَ
 الناس يخطبون بناته (8) :
 له دَرَمَكٌ في رأسه ومشاربٌ
 وحمورٌ كأمثالِ الدميِّ ومناصِفُ
 وشاؤِ إذا شئنا كميَشُ بمسعرٍ
 وقال مفتخراً في موضع آخر (9):
 درمك لنا غدوةً ونشيلٌ
 وصبوحٌ (10) مباكرٌ واغتباقٌ (11)

(1) عروة بن الورد، الديوان، ص43.
 (2) المعجل: المطبوخ بسرعة لما ينضج، ابن منظور، لسان العرب، 65/9.
 (3) النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة، ابن منظور، لسان العرب، 346/14.
 (4) المسان: المسنة، ابن منظور، لسان العرب، 397/6.
 (5) عروة بن الورد، الديوان، ص43.
 (6) د عمرو بن كلثوم، الديوان 118، والسديف: السنام المقطع، ابن منظور، لسان العرب، 217/6.
 (7) طرفة بن العبد، الديوان 114، والمسره: المنعم المغذى، ابن منظور، لسان العرب، 249/6.
 (8) الأعشى، الديوان 145، والدرمك هو: الطنفسة (رداء فاخر للرأس)، ابن منظور، لسان العرب، 338/4. كميَش: شجاع، ابن
 منظور، لسان العرب، 156/12. مسعر: أداة توقد بها النار، ابن منظور، لسان العرب، 267/6.
 (9) الأعشى، الديوان، 158، والنشيل: اللحم المنشول باليد، ابن منظور، لسان العرب، 151/14.
 (10) الصبوح: كل ما شرب أو أكل غدوةً، ابن منظور، لسان العرب، 272/7.
 (11) الإغتباق: شرب العشي، ابن منظور، لسان العرب، 14/10.

وقال أيضاً⁽¹⁾:

نردُّ العشار المنقيات شظيُّها
تبيتُ إماءَ الحيّ تطهى قدرورنا
إلى الحيّ حتى يمرعَ المتصيّفُ
ويأوي إلينا الأشعثُ المتجرفُ
فلا يحل المساء إلا والإماء تطبخ على القدور حتى يقبل على هذا الطعام كل جائع أو فقير
انقطعت به السبل.

وقال حسان بن ثابت⁽²⁾:

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا
فننحر الكومَ عبطاً في أرومتنا
من الشواء إذا لم يؤنس الفرغُ
للنازلين إذا ما انزلوا شبعوا
أنه يفتخر بأن قومه قد نحرروا الكوم وهي الناقة عظيمة السنام لإطعام الضيوف النازلين فيهم.
وقالت الخنساء مفاخرةً⁽³⁾:

نحرَ الكومَ الصفايا
يملاً الجفنة شحمأً
والبكار الخلفه
فتراها سدفة
وترى الهلاك شععى
نحوها مزدلفة
وترى الأيدي فيهما
دسماتٍ غدفة

فقد نحر قومها النوق السمان النفيسات والأبكار، و صورت الضيوف والجياع وهم يملؤون جفانهم بالشحوم من سنامها وقد شبعوا بعد حين وبدت أيديهم دسمات ملطخات بالشحم. باستعرا ض لهذه الأبيات من شعر الجاهلية يبدو الوصف خالياً من وصف أدوات المدنية والحضارة أو وصف للزروع أو الثمار، فهي مجرد إبل مطبوخة في قدور ينتشلها الأضياف ويأكلونها، وقد جاء الوصف في سياق الافتخار أو المدح.

ب- في العصر الأموي

أما في العصر الأموي فقد بدأت أدوات المدنية والحضارة تظهر، وتتنوعت الزروع والثمار وتعددت أشكال الطعام في الشعر الأموي بعد أن عاش الخلفاء والأمراء في القصور وهجروا حياة البداوة، وبعد أن أصبحت الشام بجمال بيئتها حاضرة العلم والأدب. قال جرير ابن عطية⁽⁴⁾.

(1) الأعشى، ديوانه، ص162، والعشار: الناقة مرّ على حملها عشرة أشهر، ابن منظور، لسان العرب، 217/9. المنقيات: السمينات، ابن منظور، لسان العرب، 274/14. المتجرف: الذي جرفت السنون ماله، ابن منظور، لسان العرب، 255/2.

(2) حسان بن ثابت، ديوان 244، والكوم هو: الناقة عظيمة السنام، ابن منظور، لسان العرب، 190/12. العبط: النحر من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية، ابن منظور، لسان العرب، 21/9.

(3) الخنساء، الديوان، ص83.

(4) جرير، الديوان، ص150.

بلغت من (الهنيء) فقلتُ شكراً
بها الزيتونُ في غلٍّ ومالت
فتمت في (الهنيء) جنان دنيا
يعضُّون الأنامل إن رأوها
ومن أزواج فاكهةٍ ونخلٍ

هناك وسهلَ الجبلُ الصلودُ
عناقيد الكروم فهنَّ سودُ
فقال الحاسدون هي الخلودُ
بساتيناً يؤازرها الحصيدُ
يكون بحمله طلعٌ نضيدُ

فجير كان يتنزه في مكان في الشام يسمّى (الهنيء) تحت ظلال الزيتون والكروم وقد تأثر
جرير بالقرآن الكريم في وصفه للزروع والثمار بقوله تعالى: ♥ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا
فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ♦ (1) بتكراره لوصف "نضيد"
للطلع .

وقال الفرزدق (2):

أمير المؤمنين وأنتَ والٍ
أطعمت العراق ورافديه
تفهيق بالعراق أبو المثنى

شفيقُ لست بالوالي الحريصِ
فزاريأ أخذ يد القميصِ
وعلم قومه أكل الخبيصِ

فهو يمدح أمير المؤمنين، ولكنه وفي السياق نفسه يهجو أبا المثنى الذي ليس له ولا لقومه
عهد بأكل الخبيص وهو طعام أهل الحضر .

وقال ابن قيس الرقيات (3):

يطعمون السديف من قحدر الشو
في جفان كأنهن جــــــــواب

ل ومن أوت إليهم البطحاء
مترعات كما تفيضُ النهاء

ويظهر في هذين البيتين شيء من أثر البداوة، وفيه شبه من أبيات الجاهلية فالسديف كما سبق
هو شحم سنام الجمل، والشول هو البعير، كما يظهر أثر القرآن الكريم من قوله تعالى:

♥ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ♦ (4) فهي

الصورة نفسها في تشبيه الجفنة وهي وعاء الشراب بالجابية، التي يجبى فيها الماء كالحوض
لضخامتها.

وقال النابغة الجعدي واصفاً كرم مضيفه (5):

يدير علينا كأسه وشواءه
رحيقاً عراقياً، وريطاً يمانياً

مناصيفه والحضرمي المحبرا
ومغتبطاً من مسك دارين إذفرا

(1) ق 10-9/50.

(2) الفرزدق، الديوان، 389.

(3) ابن قيس الرقيات، الديوان، ص 94.

(4) سبأ 13/34.

(5) النابغة الجعدي، الديوان، ص 88.

والمناصيف هم الخدم يدورون على الضيوف بالشراب والشواء، وتتنوع أصول الطعام والشراب من رحيق عراقي، وربط يمانى، وعطرٍ من عطر دارين.

ج- العصر العباسي

مع ازدهار الحضارة الإسلامية في العصر العباسي، ووراثتها للحضارات السابقة بكل ما فيها من أناقة في الطبخ وتحضير المأكولات وتنوع ألوان الطعام، انفتحت شهية الشعراء على وصف الطعام والشراب بكل أصنافه وأشكاله، إضافة إلى المؤلفات النظرية التي ألّفت في الطبخ فقد ذكر ابن النديم في "الفهرست"⁽¹⁾ عدة كتب منها "الطبخ" لإبراهيم بن المهدي، ولابن ماسويه، ولإبراهيم بن العباس الصولي، ولعلي يحيى المنجم وكتاب "السكباغ" لجحطة وكتاب "أطعمة المرضى" للرازي وغيرها من الكتب الأخرى .

ومع اتّساع فن الوصف في العصر العباسي طرأ تجديد فني على شكل وصف الطعام والشراب فقد كان ذلك الوصف في العصور السالفة يأتي ضمن القصائد، التي ربما قيلت في المدح أو الفخر وغيره، فجاء وصف الطعام عارضاً في ثنايا القصيدة، أما في العصر العباسي فقد أفردت القصائد والمقطعات أحياناً لوصف الطعام، كما جاء في قصيدة "مساور الوراق" في وصف الوليمة⁽²⁾ أو في قصيدة ابن الرومي في وصف "السمك"⁽³⁾ وقد بلغ كلُّ منها ثلاثين بيتاً. ولئن كان الغنى والترف سبباً في وصف الطعام والشراب، فقد كان الجوع والفقر أيضاً سبباً في وصف الطعام ومن الشعراء الذين وصفوا الطعام لفقرهم الشاعر أبو المخنف وكان في أيام المأمون يدور في بغداد يسأل الناس رغيفاً أو كسرة خبز وهو القائل⁽⁴⁾:

دع عنك رسم الديار	ودع صفات القفار
وعدّ عن ذكر قوم	أكثرُوا في العُفار
وصف رغيفاً سرّياً	حلّتْهُ شمس النهار
أو صورة البدر لمّا است	تتمّ في الاسـتدار
فليس تحسب أن إلا	في وصفه أشعاري

ومنهم كذلك أبو الشمقمق⁽⁵⁾ الذي يَصوّر مسغبة عياله قائلاً:

ما جمع الناسُ لدنياهم	أنفع في البيت من الخبز
والخبز باللحم	فأنت في أمنٍ من التّرز

(6)

(1) انظر، ابن النديم، الفهرست، ص440.

(2) لويس شيخو، مجاني الأدب 54/6، وهو مساور بن سوار بن عبد المجيد، شاعرٌ من أهل الكوفة كان ورافاً ينسخ الكتب والحديث توفي نحو 150هـ، انظر ترجمته، الزركلي / الأعلام 213/7.

(3) ابن الرومي، الديوان، 31/3، وهو علي بن العباس بن جريج 221 – 284هـ.

(4) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص436.

(5) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص439، وأبو الشمقمق هو مروان بن محمد البصري المنشأ الخراساني الأصل من موالى الأمويين توفي عام 180هـ، المرزبانى، معجم الشعراء 396.

(6) التّرز: الهلاك، وفي اللسان: ترز أي مات ويبس، ابن منظور، لسان العرب، 28/2.

- وقد دنا الفطرُ وصبياننا
كانت لهم عنزٌ فأودي بها
(1) ليسوا بذئ تمرٍ ولا أرزٍ
وأجدبوا من لبنِ العنزِ
(2) فلو رأوا خبزاً على شاهقٍ
لأسرعوا للخبزِ بالجمزِ
ولو أطاقوا القفز ما فاتهم
وكيف للجائع بالقفز

ومن المكثرين في وصف الطعام في العصر العباسي ابن الرومي، وابن المعتز، وأبو طالب المأموني، والسري الرفاء، وغيرهم ممن وردت أسماءهم في كتب التشبيه وفنون الوصف ككتاب " غرائب التنبيهات وعجائب التشبيهات" لعلي بن ظافر الأزدي، وكتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه" لصلاح الدين الصفدي، وكتاب "المحب والمحبوب والمشموم والمشروب" للسري الرفاء، وكتاب " ربيع الأبرار في نصوص الأخبار" للزمخشري، وكتاب " نهاية الأرب" للنويري، "وعيون الأخبار" لابن قتيبة وغيرها.

ومن ذلك قول ابن المعتز في وصف الفستق الشامي⁽³⁾:

وحظي من نقلٍ إذا ما نعتُهُ
نعتٌ لعمرى منه أحسنَ منعوتِ
من الفستق الشامي كلُّ مصونةٍ
تصانُ من الأحداق في بطنِ تابوتِ
زبرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ
مضمّنةٌ درّاً مغشّىً بياقوتِ

فهو يصف الفستق الشامي ويشبّهه بالزبرجد الملفوف بالحرير وبالدر المغشّى بالياقوت.

وقوله في وصف الباذنجان⁽⁴⁾:

وإنّج بستانٍ أنيقٍ رأيتُهُ
على طبقٍ يحكي لمقلةٍ رامقِ
قلوبُ طبّاءٍ أفردتْ عن كبودها
على كل قلبٍ منه مخابِ باشقِ

فهو يشبّه الباذنجان بقلوب الطبّاء، وأقماعها بمخابل طيور جارحة.

وقول أبي طالب الماموني في وصف البطيخ الخراساني⁽⁵⁾.

مخططةٌ ملء الأكف كأنها
من الجزع كبرى لم تُرَع بنظامِ
إذا فصّلت للأكل كانت أهلةً
وإن لم تفصل فهي بدرٌ تمامِ

وهي صورة بديعة للبطيخ فهو بدر ما لم يفصل، وهو أهلة إذا فصل للأكل.

وقوله في وصف اللوز⁽⁶⁾:

ووافيت بخضرٍ في ثلاث مدارعٍ
حذاهنّ في شكلِ النواظرِ حادِ
توابيتُ في خضرِ الحُروزِ تضمنتِ
مكفّنَ عاجٍ في مصنّدلٍ لاذِ

(1) أودي بها: هلك، ابن منظور، لسان العرب، 260/15.

(2) الجمز: الوثب السريع، ابن منظور، لسان العرب، 353/2.

(3) النويري، نهاية الأرب 93/11.

(4) م.ن، 45/11.

(5) الثعالبي، يتيمة الدهر 179/4.

(6) م.ن، 180/4.

فالحَبُّ الأبيض وسط القشر الأخضر كالعاج المكفن في ثوب من الحرير الأخضر.
وقول السري الرفاء في السفرجل⁽¹⁾:

لك في السفرجل منظرٌ تحظى به وتفوز منه بشمّه ومذاقـه
يحكي لك الذهب المصفى لونـه وتزیدُ بهجتهُ على إشراقـه
والشكل من أعلاه يحكي سُـلـه ثدي الكعاب إلى مدار نطاقـه
إنه معجب بشكل السفرجل ومنظره، فلونه لون الذهب، وشكله كاستدارة ثدي الكاعب.

وقول الطغرائي في أرزٍ بسكر⁽²⁾:

وقدّم طبّاخنا رزّة عليها لثامٌ من السكرِ
ترى للدهان على وجهها عيوناً تدور بلا محجـرِ
كما احتجب البدرُ تحت الغمام فلم يتجلّى ولم يستـرِ
فالسکر لا يحجب الرز تماماً، كما أن الغمام لا يستر نور البدر، فالسكر غطاءً شفافاً كاللثام الأبيض.

وقال ابن دريد في التفاح⁽³⁾:

وتفاحةٍ من سوسنٍ صيغ نصفها ومن جَلَنار نصفها أو شقائق
كأنّ الكرى قد ضمّ من بعد فرقةٍ بها خدّ معشوقٍ إلى خد عاشق
إنها تفاحة نصفها أصفر كلون زهر السوسن، ونصفها الآخر أحمر كشقائق النعمان أو كحب الرمان، وهي تشبه خدود العشاق المحمرة خجلاً.

كثرة وصف الطعام والشراب عند ابن الرومي:

لا يجد الدارسُ شاعراً في العصر العباسي أكثر من نظم الشعر في وصف الطعام والشراب كما فعل ابن الرومي، فلدى تصفحي ديوانه عثرت على أكثر من خمسين مقطعة أو قصيدة في وصف أنواع الأطعمة، و لا سيما المطبوخة منها، وفي وصف الأكلة، ورسمهم رسماً كاريكاتيرياً ساخراً، ولذلك يمكنني أن أسجل لابن الرومي أنه شاعر الطعام الأول في العصر العباسي، ويؤيد ذلك قول أحمد حسين بسج في شرحه لديوان ابن الرومي " وابن الرومي اشتهر بحبه للأطعمة الشهية والحلوى، فلذلك وصفها كما وصف الفاكهة : الموز، والعنب، كما وصف كل ما تشتهيئه نفسه أو تتوق إليه ومن غريب المفارقات في حياته أنه مات بسبب أكلةٍ أكلها فقد أوعز القاسم بن عبيد الله إلى ابن فراس أن يدسَّ السم له في

(1) النويري، نهاية الأرب 169/11.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه، 399.

(3) علي بن ظافر، غرائب التنبيهات، 106، وابن دريد إمام في اللغة والأدب توفي عام 321هـ.

خشكنانجة خوفاً من هجائه، فلما أكلها، أحسّ بالسّم فقام مسرعاً، فقال له القاسم: إلى أين ؟ فقال: إلى حيث أرسلتني، فقال له: سلّم على والدي عبيد الله، فقال: ما طريقي على النار...⁽¹⁾

ومما يمتاز به ابن رومي في وصفه للطعام هو طول قصائده في الوصف، فبينما غلب على الشعراء أن يقولوا بيتين أو ثلاثة في وصفها، نجد ابن الرومي يصل في ذلك إلى عشرين أو ثلاثين بيتاً كما جاء في وصفه لدجاجة مشوية، أو في وصف السمك، أو وصف الأرغفة، وغيرها، كما يمتاز ابن الرومي بمزجه وصف الطعام وأخلاق الأكلة وتصرفاتهم في أثناء القصف، ومن أطرف أشعار ابن الرومي قصيدته "أكلوا المؤذن"⁽²⁾ والمؤذن هنا هو الديك الذي عدت عليه مجموعة من الجياح، حيث وصف ابن الرومي ذبحهم له ومنتفهم لريشه ثم طبخه وأكله في أكثر من ستين بيتاً على قافية الطاء التي أظهرت قدرة ابن الرومي وموهبته الشعرية، وفيها يقول⁽³⁾:

ظلّوا وقد أسروا المؤذن بينهم	وكأنما هزموا كتائب ناعطٍ
وخلوا بشلو ذبيحهم فرأيتهم	من ناتفٍ ريشاً وآخرَ مارطٍ
مستعملين أكفهم في أمره	بيوادر سبقت أناة السامطِ
طبخوه ثم أتوا به قد أبرمتْ	أوتاره لمنادفٍ ⁽⁴⁾ وبرابطٍ

د- وصف الطعام والشراب في شعر الأندلسيين:

وأما شعراء الأندلس فقد أكثروا من الوصف نظراً لجمال بيئتهم الخلابة ووراثتهم لفنون المشرق الشعرية ولذلك فإننا نراهم على قدم المساواة في الوصف مع شعراء العصر العباسي، إن لم يكونوا قد فاقوهم في هذا الفن لتفوق جمال بيئتهم الأندلسية وطول مكثهم فيها وممن أكثر في وصف الطعام والشراب والزرع والثمار، ابن هذيل الأندلسي، وابن خفاجة، وابن رافع الأندلسي، وغيرهم وقد وردت كثير من أشعارهم في كتاب "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس" للكتاني.

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان 358/3.

(2) القصيدة أصلها لدعل، ولكن ابن الرومي فرق أبياتها وزاد عليها كثيراً.

(3) ابن الرومي، الديوان 316/2.

(4) المنادف: جمع مندف وهو ما يضرب به القطن وغيره لينفش، ابن منظور، لسان العرب، 92/14.

ومن ذلك قول ابن هذيل الأندلسي⁽¹⁾:

ومما يقطع الحيزوم⁽²⁾ عندي

وتتدى بردتي خلفي إذا ما

وباذنجان مثل كراتٍ ضربٍ

كأنّ الزيت والعسل المصفى

وقد وقف الصيام على فراغٍ

مروري بالشواء على الخوان

نظرتُ إلى الهرائس في الجفانِ

تضمنها لباب الجلبانِ⁽³⁾

عبيرٌ خالصٌ في دهنٍ بانٍ

ونفسي سوف تفرغ بالأمانِ

وقال ابن خفاجة في وصف التين⁽⁴⁾:

وسود الوجوه كلون الصدورِ

إذا ما تجلى بياض الضحى

كأنّي أقطف منها ضحىً

تبسّمَن تحت عبوس الغبشِ

تطلّعن في وجهه كالنّمشِ

ثُدَيّ صغار بنات الحبشِ

وقال أبو الفضل بن شرف الأندلسي يخاطب صديقاً له⁽⁵⁾:

وإذا صنعت غداً

إياك هامّةً أسودٍ

فاصنعه غير مبذّج

عريانٍ أصلع كوسج⁽⁶⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ شعر وصف الطعام والشراب في البيئّة العباسية والأندلسية قد اتسعا بشكل كبير، وازدادت دقة الوصف فيه، وتخصصت في أدق التفاصيل فلئن كان الجاهلي يكتفي بوصف لحم الإبل، والأموي بوصف الكرّم، فإن الشعراء العباسيين والأندلسيين الذين انفتحت حضارتهم على مختلف أنواع الزروع والثمار وأصناف المأكولات قد تأنقوا في وصف فستقّة، أو تفاحيّة، أو أترجّة، أو حتى هلال بطيخ، وأفردوا المقطعات والقصائد لإظهار براعتهم في الوصف.

(1) الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 114.

(2) الحيزوم: الصدر، لسان العرب 156/3.

(3) الجلبان: الكزبرة، لسان العرب 318/2.

(4) ابن خفاجة، الديوان، 374 وهو أبو اسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة (1059/451 – 1138/533)، مقدمة الديوان، ص5

(5) علي بن ظافر، م، ص، 125، والشاعر هو محمد بن شرف القيرواني، هاجر إلى الأندلس بعد فتنة القيروان. وكانت بينه وبين ابن رشيق مناظرة ومهاجاة توفي 460.

(6) الكوسج: الرجل الذي لحبته في ذقنه لا في عارضيه، كلحي المغول، ابن منظور، لسان العرب، 88/12.

الفصل الثاني

شعر وصف الطعام والشراب

في العصر الفاطمي

في مصر وبلاد الشام

أولاً: عوامل ازدهاره وتنوعه .

ثانياً: موضوعاته :

1 وصف الثمار والفواكه .

2 وصف الأطعمة المطبوخة .

3 وصف الشراب ما خلا الخمر .

4 وصف الحلويات .

5 وصف الموائد .

أولاً: عوامل ازدهاره وتنوعه:

لم يكن شعر وصف الطعام والشراب في هذا العصر بدعة جديدة جاء بها العصر الفاطمي، وإنما تطور هذا الغرض عبر العصور السابقة حتى بلغ قمة نضوجه الفني في هذا العصر، كما سنبين في الصفحات القادمة، ويعود ذلك إلى عوامل متعددة هي:

1- توسّع فن الوصف: وهو العامل الفنّي، إذ تعددت المشاهدات وتتنوعت في العصر الفاطمي على نحو لم يسبق له مثيل بعد ازدهار مصر والشام؛ حيث أصبحتا قبلة الدنيا جراء تضاؤل الأمن والرخاء واندلاع الفتن في بغداد، إضافة إلى انفتاح الفاطميين على كل بلاد العالم حتى أوروبا، فأصبحت مصر والشام مجلب كل خيرات الدنيا، كل ذلك دفع الشعراء إلى التنافس في الوصف، إذ إن متتبع دواوين الشعراء يجد فيها وصف كل شيء حتى الذباب والبراغيث، والقمل، والمكاحل، والشمعة، والدواة، والحمامات، والحلوى، والرغفان، فالشعر أصبح أداة لتصوير أدوات الحضارة والمدنية في ذلك العصر، وكان قبل ذلك يقتصر على الأغراض التقليدية فقط، ويمكننا القول إن فنّ الوصف في العصر الفاطمي قد توسّع على حساب الأغراض الشعرية الأخرى، لأن مجال التنافس بين الشعراء أصبح في مدى إبداعهم في وصف مشاهداتهم، ويمكن الاطلاع على كتابي "بدائع البدائ" و "غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات" لعلي بن ظافر الأزدي المتوفى 613هـ/1216م لمعرفة مدى تنافس الشعراء في وصف المشاهدة الواحدة، كما أصبح الحكم النقدي متعلقاً بمدى الإجابة في الوصف، وإن انحطت قيمة الموصوف، وفي ذلك أن الشيخ محمد بن صالح بن عثمان أخذ ورداً أحمر وألقاه في بركة ماء، وأمر ظافر الحداد أن يشبه ذلك، فقال بديها (1):

والوردُ فوق الماء ما بيننا
لم ترعيني منظرًا مثله
قد نثرتُ أوراقهُ الحُمُرُ
ماءً نظّى فوقهُ جمرُ

ومن ذلك يتبين أن الشيخ أراد أن يتأكد من شاعرية ظافر وبراعته في فن الوصف، والاستمتاع بقطعة شعرية تعبر عن ذلك المنظر الجميل الذي رآه على صفحة الماء بعدما ألقي عليها الورد الأحمر.

ويمكن القول إن ازدهار فن: الروضيات " في القرن الرابع الهجري كان على يد أربعة من شعراء مصر والشام هم كشاجم وابن وكيع التنيسي والصنوبري والسري الرفاء (1)، إن ازدهار هذا الفن قد أسهم إلى حد كبير في تطور شعر وصف الطعام والشراب، لأننا نعتبر وصف الثمار والفاكهة جزءاً من هذا الوصف ، ولاسيما أن كشاجم. (2) كان طباحاً عند سيف الدولة ظهر أثر مهنته في أوصافه وشعره فوصف القطائف، والدجاج، المطبوخ، والبطيخ، وسائر الثمار كما يظهر في ديوانه. وأما ابن وكيع التنيسي فقد عاش في تنيس وهي

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص137، وهو ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، توفي بمصر سنة 529هـ / 1134م وله ديوان شعر مطبوع أنظر ترجمته في خريدة القصر - قسم شعراء مصر 17-1/2 ؛ ووفيات الأعيان 540/2 ، والأعلام 340/3.

(1) الثعالبي، يتيمة الدهر، 104/2.

(2) كشاجم : محمود بن الحسن، شاعر ومصنف من كتاب الإنشاء، له ديوان مطبوع، توفي عام 360هـ، الأعلام 43/8.

جزيرة مزدهرة بجوار البحر المتوسط بين دمياط والفرما وقد عرفت بجمال طبيعتها الخلابة؛ ولذلك فإن ديوانه زاخرٌ بوصف الثمار، ومنها مقطوعات متعددة في وصف زهر الباقلاء (الفول) ناهيك عن الآس، والخيري، والآذريون والخشخاش، والجلنار، والرازيانج، والبلح، والطلع، والزيتون، والبصل، والكتان، والمشمش ونحوها⁽³⁾، وأما الصنوبري⁽⁴⁾ فقد أسهم إلى حدٍ كبير في تطور هذا الغرض، كما ظهر في قصائد عديدة وردت في ديوانه وكذلك السري الرفاء.

2- ازدهار الحياة الاقتصادية في مصر والشام:

لقد وسّع الفاطميون تجارتهم مع المشرق والمغرب، وبحكم توسط مصر والشام بين المشرق والمغرب وبين الشمال والجنوب وإشرافهما على تجارة البحر المتوسط وانفتاح الفاطميين على أوروبا وآسيا، وتوسيعهم للأسواق في مصر⁽⁵⁾ على نحو لم يسبق له مثيل كما أسلفنا في عرض الحياة الاقتصادية، كل ذلك جعل الشعراء يقفون مندهشين أمام الثمار والفاكهة وصنوف الطعام المختلفة فتتدفق شاعريتهم وصفاً لجمالها ودقة صنعها، وقد وقف ناصر خسرو مندهشاً من أسواق مصر وما شاهد فيها من خيرات قلما تجتمع في بلد يقول: (وكل من يفكر كيف تجتمع هذه الأشياء التي بعضها خريفي وبعضها ربيعي وبعضها صيفي وبعضها شتوي لا يصدق هذا... وولاية مصر عظيمة الاتساع بها من كل أنواع الجو من حارٍ وبارد، وتجلب هذه الحاجيات لمدينة مصر من جميع البلاد، ويباع بعضها في الأسواق)⁽⁶⁾.

(3) أنظر: حسين نصار، ابن وكيع شاعر الزهر والخمر، وهلال ناجي، شعر ابن وكيع التنسي.

(4) الصنوبري: أحمد بن محمد، أبو بكر، شاعر مجيد، عاصر سيف الدولة وتوفي عام 342هـ/953م، وله ديوان مطبوع، الصفدي، الكشف والتنبيه، ص437 والزركلي، الأعلام 1/198.

(5) أنظر، عبد المنعم سلطان، الأسواق في العصر الفاطمي، ص37.

(6) ناصر خسرو، سفرنامه، ص108.

3- كثرة الأعياد والمناسبات الدينية والسياسية عند الفاطميين:

احتفل الفاطميون كل عام بواحد وعشرين عيداً دينياً، ينفردون كشيعة في بعضها ويشتركون مع أهل السنة في بعضها الآخر، كما كانوا يعظمون أعياد النصارى ويجعلونها أعياداً رسمية، ومن أعيادهم الموالد الستة وكلٌّ منها كان يمثل عيداً وهي: مولد النبي ρ ، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب τ ، ومولد ولديه الحسن والحسين، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ويوم عاشوراء، فضلاً عن أعياد أخرى منها: ليلة أول رجب، وليلة نصفه وليلة أول شعبان، وليلة نصفه وغيرها، وفي هذه الأعياد كانت تقام الأسمطة، والموائد العظيمة، والمآكل، والاحتفالات التي كان يعمل فيها أرباب الصناعات أياماً طويلة، حيث أصبحت الأسواق محط أنظار الشعراء يصفونها ويصفون إعداد تلك المآكل، وحرقة أصحابها. وفي هذا يقول الشاعر ظافر الحداد في صانع كنافه⁽¹⁾:

كأنما بسطه العجين على أكره ⁽²⁾ لما حُفَّتْ بمستعرٍ

ينسج غيماً من السحاب على وامض برق يكتنُّ بالمطر

4- اختلاف المعايير النقدية في العصر الفاطمي:

إذا تصفحنا كتب الأدب في أواخر العصر الفاطمي، نجدها قد صورت الحركة الشعرية في ذلك العصر - وإن كانت قد ألفت في العصور التالية للعصر الفاطمي - ومنها كتاب "الكشف والتبويه على الوصف والتشبيه" لصالح الدين الصفدي، أو كتاب "غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات" لعلي بن ظافر أو "يتيمة الدهر" للنعالي أو "خريدة القصر" للعماد الكاتب أو كتاب "حلبة الكميت" للنواجي أو (التذكرة الحمدونية) لابن حمدون، وجدت تصنيف هؤلاء الكتاب للشعر حسب الغرض الوصفي حتى يظهر من ذلك أيُّ الشعراء أبرع في ذلك الغرض، باستثناء كتابي اليتيمة والخريدة اللذين هما في تراجم الشعراء ومقتطفات من شعرهم، وإن ركزا في تراجمهما على ذكر تلك المقطوعات في فن الوصف أكثر من أي فن آخر.

(1) ظافر الحداد، الديوان، 132.

(2) أكره: أطباقه المستديرة المعدنية التي يبسط عليها العجين، والأصل الحفرة التي يجتمع فيها الماء، ابن منظور، لسان العرب،

ومن هنا نتبين أن غرض الوصف قد احتل مكانة بارزة في تصنيف الشعراء حسب جودة شعرهم، وإن سَخف الموصوف قيمة، كالشمعة، أو غصن النارج، أو حبة أترج، أو زهرة باقلاء، وفي هذا يقول علي ظافر في كتابه "بدائع البدائه": "أخبرني أبو عبد الله المنجم بما معناه: صعدت إلى سطوح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة، فصادفت الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس⁽¹⁾ وعلي بن المنجم وابن مؤمن وشجاعاً مغربي، فانضفت إليهم، فلما غابت الشمس وفاتت، ودفنت في المغرب حين ماتت، وتطرّز حداد الظلام بعلم هلاله، وتجلّى زنجي الليل بخلخاله، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا في صفة الحال، فأطرق كل منهما مفكراً، وميّز ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متحيراً، فلم يكن إلا كرجعة طرف، أو ثبة طرف حتى أنشدا، فكان ما صنعه ابن المنجم:

وعشاء كأنما الأفق فيهِه
قلت لما دنت لمغربها الشمـ
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا
وكان الذي صنعه ابن قلاقس:

لا تظنّ الظلام قد أخذ الشمـ
إنما الشرق أقرض الغرب دينا
سَ وأعطى النهار هذا الهلالا
رأ فأعطاه رهنه خلخالاً

قال علي بن ظافر "وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة ابن قلاقس لتتصيفه السوار؛ وعلى كل حال فقد ابدعا، ولم يتركا للزيادة في الإحسان موضعاً"⁽²⁾.

وقد سقنا هذا المثال ليتبين حرص الشعراء على التنافس في الوصف، ومقارنة النقاد بين شعرهم أيُّه أفضل وصفاً.

ثانياً: موضوعاته:

تمكنتُ من حصر الموضوعات التي قيل فيها هذا الشعر في خمسة عناوين، هي:

- أ - وصف الثمار والفواكه.
- ب - وصف الأطعمة المطبوخة والمشوية والمقلية.
- ج - وصف الحلويات.
- د - وصف الموائد
- ه - وصف الشراب خلا الخمر.

(1) هو نصر بن عبد الله اللخمي الاسكندري (1137/532 – 1171/567) (ابن خلكان، وفيات الأعيان 2/3- 63 و العماد الأصفهاني، الخريدة / قسم شعراء مصر 145/1، و أما بقية الشعراء فهم من معاصريه من شعراء العصر الفاطمي .
(2) علي بن ظافر ، بدائع البدائه 244.

ويغلب على وصف هذه الموضوعات أن الشعر الذي قيل في مقطوعات شعرية يتراوح عدد أبياتها بين بيتين إلى عشرة أبيات باستثناء قصيدة في وصف الباقلاء وصلت إلى عشرين بيتاً لكشاجم. وقصيدتين طويلتين في وصف الطعام والشراب هما:

الأولى، قصيدة الشريف ⁽¹⁾ العقيلي المسماه "بمزوجة العقيلي" فيها يعارض ابن المعتز الذي يذم فيها الصبوح (وهو شراب الصباح) ويمدح الغبوق (وهو شراب المساء) فجاء الشريف في مزدوجته ليمدح الصبوح ويذم الغبوق. وهذه القصيدة ملحقة بديوان الشريف العقيلي أوردها الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات). وقد حفلت هذه القصيدة بذكر ألوان من الطعام والشراب ووصفها، وتقع في أكثر من مئة وعشرين بيتاً ومطلعها قوله :
وليلة أيقظني معانقي والبدرُ قد أشرق في المشارق ⁽²⁾

وسميت مزدوجة لأنها تعتمد في نظمها على وحدة القافية بين الصدر والعجز فقط واختلاف الأبيات في حرف الروي، كما هو الحال في الشعر التعليمي، وقد استعرض العقيلي فيها مقدرته على الوصف، وبلوغه في ذلك مبلغ ابن المعتز وسنتحدث عنها بالتفصيل في وصف الموائد.

الثانية، قصيدة أبي القاسم الواساني، ⁽³⁾ وهي قصيدة تقع في أكثر من مئتين وعشرين بيتاً ويصف فيها ما جرى بعد أن دعا بني صفوان لحضور وليمته التي عملها في قرية (حمايا) من قرب دمشق، حيث أكلوا كل ما أعدّه من طعام على كثرته وأفسدوا له غوطته وبساتينه ومزرعته، وكان قد دعا عدداً قليلاً منه فجاؤوه بأعداد غفيرة بعد أن أذاعوا خبر دعوته في المساجد، والقصيدة نونية يرثي فيها ما جرى لغوطته بطابع فكاهي ساخر، ومطلعها ⁽⁴⁾:

من لعينٍ تجود بالهمـالان ولقلبٍ مدّله حيران

(1) هو علي بن الحسين بن حيدرة، شاعر مصري من نسل عقيل بن أبي طالب توفي عام 450هـ/1058م، خريدة القصر - قسم شعراء مصر 2/62 والثعالبي، يتيمة الدهر 1/431 والصفدي، والكشف والتنبيه 464، وهو من شعراء القرنين الرابع والخامس.

(2) الشريف العقيلي، الديوان 301-307.

(3) هو الحسن بن الحسين أبو القاسم المعروف بالواساني توفي 394هـ، الثعالبي، يتيمة الدهر 1/357 وياقوت الحموي، معجم الأدباء 9/233.

(4) الثعالبي، يتيمة الدهر 1/357-365، وقد أوردها كاملة.

أ - وصف الثمار والفواكه: وصف عدد غير قليل من شعراء العصر الفاطمي كثيراً

من الثمار والفواكه التي وجدت في عصرهم، وقد استطعت حصر سبعة وعشرين صنفاً منها، وتحدثت عنها حسب الترتيب الهجائي، ومن الجدير ذكره أن كثيراً من المقطعات التي نسبت إلى مجهول لم أورها في هذا العرض خشية أن لا تكون في النطاق الزماني والمكاني للبحث، وقد جاء حديثي عنها على النحو الآتي:

1- الإبنج (الباذنجان): وهو ثمرة سوداء أو حمراء اللون، صيفية النضوج، تستخدم عدة استخدامات، قال المشتهدى الدمشقي في وصفها⁽¹⁾:

وروضة إبنج تأملتُ نبتَهَا
لها منظرٌ يزهو بغير نظير
وقد لاح في أقماعه فكأنه
قلوبُ طباءٍ في أكف صقور

من الواضح في هذه الأبيات أنه يقصد الباذنجان الأحمر لأنه شبهه بقلوب الطباء وهي حمراء، وقد أجاد في تصوير قمع الباذنجان الأخضر ذي الأشواك والذي يبدو كمخالب الصقر يقبض على قلب طيب، ولكني وجدت هذه الصورة مأخوذة طبق الأصل عن وصف لابن المعتز في الباذنجان يقول فيها⁽²⁾:

وإبنج بستانٍ أنيق رأيتَه
على طبق يحكي لمقلة رامق
قلوب طباء أفردت عن كبودها
على كل قلب منه مخالب باشق

فالباذنجان قلوب تمسك بها مخالب الباشق وهو الصقر، ولذلك فإن الصورة مطروقة إن لم نقل مسروقة.

2 - الأترج: ومفرده أترجة وترنجة⁽³⁾ وهي فاكهة صفراء ورائحتها عطرية، ومن وصفها

بدا لي أنه البرتقال، قال p (ومثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)⁽⁴⁾ وقد ورد وصفها في كثير من شعر العرب قبل العصر الفاطمي وخلاله ولكننا سنقف على ما جاء في حدود بحثنا.

(1) النويري، نهاية الأرب 45/11 و غرائب التنبيهات 124، والمشتهدى الدمشقي هو جعفر بن المحسن أبو الفضل، من شعراء القرن السادس الهجري، قال عنه العماد الكاتب صاحب الخريدة: "ذو النظم المشتهدى والفضل الذي في فنه المنتهى" خريدة الشام 265/1، وابن المعتز هو عبد الله بن محمد الشاعر الخليفة العباسي ولد عام 247 وتوفي عام 296، الصفدي، الكشف والتنبيه 456، والزركلي، الأعلام 262/4.

(2) النويري، نهاية الأرب 45/11 وابن ظافر غرائب التنبيهات 124.

(3) ابن منظور، لسان العرب 26/2. وجاء في محيط المحيط للبستاني "هو ثمر من جنس الليمون ناعم الورق والحطب" ص 161 وقال علي بن ظافر "ثمر من جنس الليمون" ابن ظافر، غرائب التنبيهات ص 101.

(4) متفق عليه، أخرجه البخاري في فضائل القرآن 58/9..

قال كشاجم⁽¹⁾:

يا حبذا يومنا ونحن على
في جنّة ذلت لقاطفها
كأنّ أترجّها تميل به
سلاسل من زبرجدٍ حملت
رؤوسنا نعقد الأكاليلا
قطوفها الدانيات تذليلا
أغصانها حاملاً ومحمولا
من ذهبٍ أصفر قناديلا

وفي الأبيات يتذكر كشاجم بيئة الشام الجميلة وهو يجلس بين أشجار البرتقال وقد ازدهت بثمارها الذهبية الصفراء وكأنها قناديل تضيء الشجر، وقد شبه تلك الحديقة بالجنة التي وصفها الله في سورة الإنسان حيث تأثر بذلك الوصف الذي يقول فيه تعالى " ♥ ودَانِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ♦ (2) . ومن الواضح سيطرة اللونين الأخضر الذي شبه بالزبرجد وهو أوراق الأشجار واللون الأصفر المائل إلى البرتقالي وهو لون الأترج على تلك الصورة الجميل وقال أيضاً⁽³⁾:

حيّاك من تهوى بأترجّة
فجلدها من ذهبٍ سائلٍ
ناعمة مقدودة غصّة
وجسمها الناعم من فضة

وما أجملها من هدية يتقدم بها المحبوب! وهي أترجة ناعمة الملمس طريّة وينطبق وصفها على البرتقال، فالقشر ذهبي اللون والثمرة مقشرة بيضاء كالفضة، والتشبيه بليغ. وقال السريّ الرقاء⁽⁴⁾:

وكانّها ذهبٌ حوى كافورة
صفراء ما عنّت لعيني ناظر
فغدا بريّاها وراح مطيّبا
إلا توهمها سناناً مذهبا

وصورة الأترجة هنا مكررة فلونها ذهبي، وقد شبهت بالذهب في المقطوعات الثلاث التي أوردناها ولكنها هنا تشبه السيف المذهب في لونه، وقد حوت كافوراً وهو نوع من الطيب، والوصف هنا يجمع بين الشكل والرائحة واللون، ولم يتطرق للطعم.

وقال صالح ابن مؤمن⁽⁵⁾

كأنما أترجّهُ المصبّعُ
أيدي جُناة من زنود تقطّعُ

(1) الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع، ووردت في نهاية الأرب 183/11.

(2) الإنسان 14/76.

(3) النواجي، حلبة الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات ص 260، ولم ترد في ديوانه المطبوع.

(4) السريّ الرقاء، الديوان 160، وهو السري بن أحمد الكندي، نشأ بالموصل أيام سيف الدولة وسمّي بالرقاء لاشتغاله بالرفو والتطريز ، قال عنه صاحب البيتمة 2 / 104: "كان رواية كشاجم ومتبع طريقته" توفي عام 362هـ / 973، ياقوت الحموي، معجم الأدباء 11 / 182 و الزركلي، الأعلام 3/128.

(5) العماد الأصفهاني، خريدة القصر / شعراء الشام 123/1، وهو علي بن جعفر بن البوين ، شاعر، من معرة النعمان؛ لزم الأمير الفاطمي بدر الجمالي، وتوفي عام 505هـ/1111.

والأترج المصبع نوع“ من الأترج تبدو له أطراف كالأصابع، وهذا البيت له قصة نقدية، قال صاحب الخريدة⁽¹⁾ أمره الأمير الأفضل بن أمير الجيوش وزير صاحب مصر يوماً أن يصف مجلساً عُيِّنَ فيه فواكه ورياحين، فقال من مزدوجة طويلة يصف، الأترج المصبع:

كأنما أترجُـه المصبعُ أيدي جناة من زنودٍ تقطعُ

فغلط ولم يفتنْ وأساء أدبه ولم يشعرْ، لأنه قصد مدح الأترج فقزّر نفس الأمير منه وصرفها عنه، ولو قصد ذمّه لما زاد على ما وصفه من الأيدي المقطوعة من زنودها، والبليغ الحاذق مَنْ إذا وصف شيئاً أعطاه حقّه ووفّاه شرطه، ووصفه بما يناسبه في حالتي ذمه ومدحه ووضع كل شيء مكانه من نثره ونظمه، وأين هذا الشاعر في أدبه ومعرفته بالصناعة من ابن رشيق حين أمره المعزّ بن باديس بوصف أترجة مصبغة، حيث قال:

أترجة“ سبطة الأطراف ناعمة“ تلقى العيون بحسنٍ غير منحوسٍ

كأنما بسطتْ كفّاً لخالقها تدعو بطولٍ بقاء لابن باديس (2)

وتعكس هذه الموازنة النقدية للعماد الكاتب ما لجودة الوصف من قيمة في الأحكام النقدية حيث قارن بين وصف ابن مؤمن الذي يقع في باب التشبيه الرديء وبين إجادة ابن رشيق في الجمع بين وصف الأترجة ومدح ابن باديس.

وقال السريُّ الرفاء⁽³⁾ يصف أترجةً مقفّعة:

أنظر إلى صورة مكملّة كأن منها المدام قد خلطا

تبرية اللون في محاسنها كعاشق من حبيبه قنطا

كأنها كفٌ حاسبٍ عجلتُ فهي من الخوف تحذر الغلطا

والشاعر هنا قد كرر تشبيه الأترجة في مقطوعته بالكف كما فعل صالح ابن مؤمن وابن رشيق القيرواني وهو سابق لهما، لكنه أضاف إلى وصف الشكل وصف الطعم الذي يشبه في لذته الخمر (المدام) وتكرر في مقطوعته تشبيه الأترج بلون الذهب (تبرية“)، ولكنه أضاف في تشبيه صفرة لونها بصفرة لون العاشق المحب. وفي البيت الأخير صورة طريفة فقد شبه الأترجة المقفّعة بمن يعدّ على أصابعه ويحذر الغلط.

(1) العماد الأصفهاني، خريدة القصر. قسم شعراء الشام 133/1..

(2) هو المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي، من ملوك الدولة الصنهاجية بالمغرب، أمره الحاكم بأمر الله الفاطمي ولقبه بشرف الدولة، العماد الأصفهاني، خريدة القصر 132/1.

(3) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، 154/1.

وقال الشريف العقيلي في مزدوجته في وصف الطعام⁽¹⁾:

وقد بدا الأترجُ في الأشجار مثل قناديل من النضار

وهي صورة تشبه صورة كشاجم التي سبقت بتشبيهه عناقيد البرتقال بقناديل مضيئة من الذهب.

3- الإجاص: وهو ثمر "من الفاكهة أسود كروي صغير، يظهر من خلال الوصف أنه يشبه ما نسميه اليوم (البرقوق) وليس المقصود منه الإجاص أو الإنجاص الذي نقصده اليوم، (الكمثري) فهو بعيد" عنه كل البعد، وهذا عائد إلى أن مدلول الكلمة، وموصوفها قد يختلف باختلاف الزمان والمكان قال ابن منظور "الإجاص والإنجاص: من الفاكهة معروف، ويروى الإنجاص، قال الجوهري: الإجاص دخيل لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والواحدة إجاصة، وقد حكى محمد بن جعفر القزاز: إجاصة وإنجاصة، وقال هما لغتان⁽²⁾

قال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي يصفه⁽³⁾:

كأن متونه سبج	كأن متونه سبج	كأن متونه سبج
فما لجمانه فيه مقيـل	فما لجمانه فيه مقيـل	فما لجمانه فيه مقيـل
به ملئت، فمنظرها جميل	به ملئت، فمنظرها جميل	به ملئت، فمنظرها جميل

فقد شبه الإجاص بالسبج وهو خرز "أسود، ومن ذلك يظهر صواب ما قلناه في بيان حقيقة الإجاص في ذلك العصر، وقد زاد صورة ذلك الإجاص حبّات (الطلّ) التي زادته جمالاً وأما اللون فيشبه لون شراب الورد، وقد قلب الشاعر التشبيه فجعل شراب الورد يشبه في لونه لون الإجاص وهو من التشبيه المقلوب لأنه جعل وجه الشبه أظهر في المشبه منه في المشبه به.

4- الباقلاء (الفول)⁽⁵⁾:

وهو كثير في بيئة مصر والشام ولاسيما مصر، فهو طعام المصريين منذ عهد قديم، ولذلك فقد تغنوا به وبزهره، وأكثر من تغنّى به ابن وكيع التنيسي، يقول في وصف زهر الباقلاء⁽⁶⁾:

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص306.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 79/1.

(3) تميم، الديوان 410.

(4) السبج : الخرز الأسود، دخيل معرب، ابن منظور، لسان العرب، 143/6.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 465/1.

(6) ابن منظور، غرائب التنبيهات، ص98، وهو الحسن بن علي بن وكيع الضبيّ، شاعر ناقد، ولد بتنيس في مصر وله ديوان مطبوع، وتوفي فيها عام 393هـ/1002، الصفدي، الكشف والتنبيه ص 444 وابن خلكان وفيات الأعيان 104/2-107 والثعالبي، يتيمة الدهر 372/1.

طرّف الباقلاء فيه بوردٍ ناظر اللحظ من عيون الحور
ببياض سواده فيه يحكي سبجاً نابتاً على بلــــور

فوردة الباقلاء ببيضاء يتخللها سواد، وهذا بعث في نفس الشاعر صورة العيون الحور التي تظهر فيها الحدقة السوداء في وسط أبيض وهي الصورة الأولى، أما الصورة الثانية فكان زهر الباقلاء خرزاً أسود نبت على بلور أبيض.
وقال فيه أيضاً⁽¹⁾:

كان أوراق وردٍ للباقلء بهيّه
خواتم من لجين فصوصها حبشية

- ومن الواضح في هذه الصورة أيضاً سيطرة اللونين الأبيض والأسود على الصورة فبياض الباقلاء كبياض الفضة وجزؤها الأسود كالفصوص الحبشية.
وقال أيضاً⁽²⁾:

كان ورد الباقلاء إذا بدا لناظريه أعين“ فيها حـور
كمثل ألحاظ اليعافير إذا روّعها من قانص فرط الحذر⁽³⁾

والصورة مكررة لما ورد آنفاً، فأزهار الفول تشبه العيون ولكنها في هذه المقطوعة عيون الغزلان التي تتلفت من شدة الخوف.
وقال⁽⁴⁾:

كانه مداهنٌ من فضة أوساطها فيه من المسك أثـر
كانها سواف“ من خرّد⁽⁵⁾ قد زينت سوادها ببيض الطرر⁽⁶⁾ (7)

وفي هذين البيتين صورتان توسط فيهما السواد وسطاً من البياض شبهه الشاعر مرة بمداهن من الفضة البضاء فيها مسك، والمسك أسود بطبعه، وأما الصورة الثانية فهي صورة عنق الجارية السوداء وقد زينها قطعة“ من ثوب أبيض.
والملاحظ في كل ما سبق أن صورة الباقلاء جاء التركيز فيها على لونها فقط وإن اختلف المشبه به، وهي ذات الصورة في قول ابن وكيع أيضاً⁽⁸⁾:

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص98.

(2) ابن ظافر، م. ن، ص99.

(3) جمع يُعفور وهو الغزال الذي لونه لون العفر أي التراب، ابن منظور، لسان العرب، 284/9.

(4) ابن ظافر، م. ن، ص99.

(5) جمع سالفة وهي صفحة العنق عند معلق القرط، ابن منظور، لسان العرب، 332/6.

(6) الخرّد : جمع خريدة وهي الجارية البكر، ابن منظور، لسان العرب، 56/4.

(7) طرة الجارية : أن يقطع لها في مقدّم ناصيتها كالعلم أو تحت التاج، والجمع طُرُرٌ، ابن منظور، لسان العرب، 142/8.

(8) ابن ظافر، م. ن، ص100.

لي نحو ورد الباقي
كأنم المبيض
خواتم من فضة

إِذْ مَانَ لِحْظٍ وَلَهُ جُ
يَلُوحُ فِي ذَاكَ الدَّعْجُ
فِيهَا فَصُوصٌ "مَنْ سَبَّجُ"

وهي صورة مكررة باللفظ نفسه، ففي مقطوعة سابقة قال (خواتم من لجين) وهنا (خواتم من فضة) والفضة هي اللجين، وفي العجز قال (فصوص" من سبج) وفي السابقة قال (فصوصها حبشية) والسبجُ خرزٌ سود، والحبشية لونها أسود، كذلك فإن الدعج هو صفة سواد العين في بياضها الناصع.

وربما تشابهت الصورة كثيراً عند ابن وكيع لأن منظر زهر الباقلاء يعكس نفس المشاعر في نفس المقدرة الشعرية في نفس القاموس الشعري ولذلك فقد تشابهت الصور، وهذا يظهر أيضاً في قوله ابن وكيع⁽¹⁾:

ونور ورد“ من الباقلاء
أشبه أسوده في البياض

يحكي لنا ناظراً أحورا
دراهم قد ضمخمت عنبر

والدراهم فضية بيضاء والعنبر أسود، والأحور ما اجتمع شدة بياض عينه وسوادها. ولكننا إذا نظرنا إلى صورة ثمرة الباقلاء وهي الفول عند شاعرٍ آخر هو كشاجم وجدنا الصورة مختلفة تتعدى الشكل واللون إلى الطعم والأثر النفسي لها على المطعوم في صورة تختلف اختلافاً كلياً عن ابن وكيع، ولاسيما أن ابن وكيع مصري المولد والنشأة، أما كشاجم فشمالي رملي، وربما اختلفت البيئة فاختلف الوصف والمنطق الشعري، يقول⁽²⁾:

وباقــــــــــــــــــــــلاء حَسَنَ المَجْرَدِ
يباعُ مسعودُ الأعزَّ الأَسْعَدِ

مسك الثرى شهد الجنا مخضدٌ
ذى رونقٍ يكحلُّ عين الأَرَمَدِ

فالباقلاء جميلة الثوب، ذات طعم كالعسل وذات جمال تكتحل بها العيون، ويكمل قائلاً
ورقة تشفي أوامَ⁽³⁾ الكبدِ وموقع بردٍ حرَّ الصَّدْيِ
ريّان من ماء السحاب الأَجَوْدِ إِمّا السماكِي وإِمّا الأَسَدِي⁽⁴⁾

وفي هذين البيتين يظهر أثر الباقلاء على نفس الآكل، فهو يقع منه موقع الماء على العطشان؛ لأنه قد ارتوى من ماء السحاب النقيّ.

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص 101.

(2) كشاجم ، الديوان ، ص 89.

(3) الأوامر: شدة العطش، ابن منظور، لسان العرب، 271/1.

(4) السماك والأسد : نجمان من نجوم المطر ، ابن منظور ، لسان العرب ، 369/6.

وفي وصف شكله يقول⁽¹⁾:

كالعقد إلا أنه لم يعقّد
أو كبسات اللؤلؤ المنضد
أو كالفصوص من أكفّ الخرّد
في طيّ أطراف من الزبرجد

فحبات الباقلاء (الفول) هي كحبات اللؤلؤ غير المنظوم أو كالأحجار الكريمة في أيدي
الجواري الحسان، وفي الصورة يظهر اللون الأخضر أيضاً وهو لون الغصن الذي يحمل
حبات الفول يشبهه الشاعر بالزبرجد وهو حجر كريم لونه أخضر.

ومن الصور الجميلة للباقلاء في المقطوعة نفسها قوله:

مُثَبَّاتٌ كَالهلالِ المبتدّي
يفتر عن فيروزٍ رطبٍ ندي⁽²⁾

فهو يشبه ثمار الفول بالهلال في أول عهده، ويشبه حباته بالأحجار الكريمة.

ويقول أيضاً في بيتين وردا فيما بعد بنفس الصورة عند ابن وكيع⁽³⁾:

وكأنّ ورد الباقياء دراهم
وكأنه من فوق متن غصونه
قد ضمخت أوساطها بالعنبر
يرنو بمقلةٍ أحولٍ أو أحور

فابن وكيع قال⁽⁴⁾:

أشبهُ أسوده في البياض
دراهم قد ضمخت عنبراً

وربما كان ذلك من قبيل وقوع الحافر مكان الحافر، ولكن التشابه كبير في (دراهم، ضمخت،
عنبراً) وجمال الصورة في البيت الثاني حيث شبه حبّ الفول بعين أحول أو أحور.

(1) كشاجم، الديوان، ص 88.

(2) كشاجم، م.ن، ص 88.

(3) النويري، نهاية الأرب، 21/11.

(4) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص 100.

5- البصل: وهو معروف، لا يختلف فيه زمانان ولا مكانان ولا بيئتان ولا يعرف إلا باسمه وفيه يقول ابن وكيع من أرجوزة له⁽¹⁾.

فاعمد إلى مدور من البصل	فإنه أكثر أعوان العمل
يحكي لعينيك احمرار قشره	إذا رماه ناظر بفكره
غلثلاً حمراً على جسموم	بيض رطاب من جسموم الروم

فالبصل لكثرة قشوره الحمراء يشبه أجساماً بيضاء رومية - لأن البياض لم يكن صفة للعرب- ترتدي ثياباً حمراء.

6- البطيخ: بكسر الباء وفتحها، وهو أيضاً من أكثر الفواكه إلهاماً للشعراء، إذ أن منظره ولونه داخلاً وخارجاً وطعمه واستدارته تستفز قريحة الشعراء للوصف، وهو ذائع في مصر والشام يزرع فيهما بكثرة وله أنواع كثيرة، ويلتبس وصفه بوصف (الشمّام) فسمي البطيخ في المقطوعات الشعرية ينطبق أحياناً على الشمّام، وقيل إن أول من جلبه إلى مصر هو عبد الله بن طاهر بن الحسين، جلبه من خراسان، وسمي باسمه (البطيخ العبدلي)⁽²⁾ قال كشاجم⁽³⁾:

وزائر زار وقد تعطراً	أسرّ شهداً وأذاع عنبراً
وأودعت منه اللهاة سكرًا	ينفت في الأنوف مسكاً إذفرا
ملتحفاً للحرّ ثوباً أصفرا	معتمداً من الحرير أخضرا
يظنه الناظر إن تصوّرا	دبّ الدّبي بمتنه فأثّرا

فقد شبه الشاعر البطيخ بزائر كريم قد أظهر عطراً، وأخفى تحت ثيابه عسلاً، وليس طوراً ثوباً أصفراً، وهو الشمّام وثوباً أخضر وهو البطيخ ليحمي نفسه من الحر، فهو فاكهة صيفية، ويظهر هذا الوصف أن المقصود هو الشمّام لأن على جسمه آثاراً كآثار مشي النمل تتركه خشناً والمعروف أن البطيخ أملس، ثم إن البطيخ ليس له رائحة بينما الرائحة للشمّام، والصورة في هذه المقطوعة تعكس الشكل واللون والطعم والرائحة والملمس ولذلك فإن الشاعر قد أجاد في الوصف.

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه 388 والنويري، نهاية الأرب 259/11.

(2) أنظر، القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ص 164.

(3) كشاجم، الديوان، 156، والنويري، نهاية الأرب 36/11.

وقال كشاجم أيضاً⁽¹⁾:

وطيّب أهدى لنا طيّباً	فدلّنا المهدى على المهدى
يا جاني البطيخ من غرسه	جنيت منه ثمر الحمـد
لم يأتنا حتى أتتنا لـه	روائح أذكى من النـدّ
بظاهر أحسن من قنفـذ	وباطن أنعم من زبـد
كأنما تكشف منه المـدى	عن زعفران شيب بالشهد
كأنما في جوفه قهوة	ينقع فيها عنبر هـدي

والشاعر كما في مقطوعته السابقة يسير غور الموصوف في ملمسه الخشن خشونة القنفذ، ورائحته التي هي أعبق من رائحة الندّ، ولونه الذي يشبه الزعفران في اصفراره، وطعمه الحلو كطعم الشهد، وبالغ في حلاوة طعمه حتى جعلها مسكرة كالخمر، وقد أكثر من المحسنات البديعية حيث جانس بين (المهدى والمهدي) وبين (جاني وجنيت) و (طيب وطيّباً). وطابق بين (ظاهر وباطن) وأكثر من استخدام أسماء التفضيل (أذكى وأحسن وأنعم) لإظهار تفوق الموصوف المشبه على المشبه به.

وقال قمر الدولة أبو طاهر جعفر بن دوّاس المصري يهجو⁽²⁾:

فغدوت كالبطيخ لا حلواً بل التـ	تشبيه يحكي قائماً أو قاعداً
لا يحمد الوصّاف من أوصافه	ما لم يكن خشناً ثقيلًا بارداً

فقد تشابه المهجّو في أوصافه مع البطيخ (الشمام) الذي أحسن ما يكون عندما يكون خشناً وثقيلًا وبارداً، وهو يخالفه في أن الشمام حلو أما المهجو فليس كذلك، وقد جانس بين (الوصّاف والأوصاف) جناساً أكسب البيت جرساً موسيقياً ولفت الانتباه إلى المعنى.

(1) كشاجم، الديوان، ص99، وانظر النويري، نهاية الأرب 36/11.

(2) العماد الأصفهاني، خريدة القصر / قسم شعراء مصر 218 / 12، وهو من شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين .

وقال الواواء دمشقي وكان بائع بطيخ⁽¹⁾:

وَذَاتَ رَيْقٍ إِنْ تَرَشَّفْتَهُ
وَجَدْتَهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنْ
إِذَا بَدَتْ فِي كَفِّ جُلَابِهَا
رَأَيْتَهَا فِي غَايَةِ الْحَسَنِ
كَسَلَةٍ خَضِرَاءَ مَخْتَوْمَةً
عَلَى الْفُصُوصِ الْحَمْرِ فِي الْقُطْنِ

ولا شك في أن الموصوف هو البطيخ الأخضر لأنه قال (كسلة خضراء) وباطنها أحمر، وريقها أحلى من العسل، وشكلها كالسلة الخضراء ولمسها طريّ كالقطن من الداخل، وقد شبه حُمرتها بحُمرة العقيق وهو حجرٌ أحمر من الأحجار الكريمة، ولكن لم يكن هناك مبررٌ لتذكير البطيخ وقد أنثه في البداية، وكان يجب أن يقول (ترشفتها) و (وجدتها). وقال أبو الفتوح بن قلاقس السكندري⁽²⁾:

أَتَانَا الْغَلَامُ بِبُطِيخَةٍ
وَسَكِينَةٍ قَدْ جَوَّدَوْهَا صَقَالًا
فَقَطَّعَ بِالْبَرْقِ بَدْرَ الدَّجَى
وَنَاولَ كُلَّ هَلَالٍ هَلَالًا

وهذا من جميل التشبيه فقد شبه السكينة بالبرق على سبيل الاستعارة التصريحية وكذلك في استعارة لفظ البدر للبطيخة والهلال لقطعة البطيخة التي تأخذ شكلها، وقد جانس بين (هلال وهلال) وشبه البطيخة بالبدر لاكتمال استدارتها. وهذا يشبه قول المأموني، وربما هو مأخوذ منه إذ يقول⁽³⁾:

مَخْطُوطَةٌ مَلَأَ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا
مِنْ الْجَزَعِ كَبْرَى لَمْ تُرَعْ بِنِظَامٍ
إِذَا فَصَلَتْ لِلْأَكْلِ كَانَتْ أَهْلَةً
وَإِنْ لَمْ تَفْصَلْ فَهِيَ بَدْرٌ تَمَامٌ

فالبطيخة التي يصفها أهلة إذا قطعت، وبدر تمام إذا بقيت بكامل استدارتها . وهو يشبه أيضاً قول ابن الساعاتي مادحاً⁽⁴⁾:

لَدَى مَنْزِلٍ سَابِغَ ظِلُّهُ
بِمَنْزِلٍ مِنْ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلُّهُ
أَتَانَا بِأَقْمَارِنَا وَانْتَشَى
بِهَنْ وَقَدْ صَبِغَ مِنْهَا أَهْلُهُ

فقد جاء بأقمار كناية عن بطيخاته وما لبث أن قطعهن صانعاً بذلك أهلة.

(1) ذيل ديوان الواواء دمشقي 277، وهو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني توفي 390هـ/999، شاعر مجيد، له ديوان مطبوع بتحقيق د. سامي الدهان ترجمته في ابن شاعر، فوات الوفيات 240/3-245 والثعالبي، بئيمة الدهر 288/1-298.

(2) غرائب التنبيهات 121، وقد سبقَت الترجمة للشاعر، ص 41.

(3) ابن ظافر، م. ن، 121، والمأموني هو أبو طالب عبد السلام بن الحسن، ولد في بغداد ومدح الصاحب عباد، وتوفي عام 383هـ/392، الثعالبي، بئيمة الدهر 161-191.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 360، وابن الساعاتي هو علي بن محمد، خراساني الأصل، ولد ونشأ في دمشق 553هـ وسكن مصر وتوفي بالقاهرة عام 604، وله ديوان شعر مطبوع وترجمته في ابن خلكان وفيات الأعيان 385/3 واسمه فيه علي بن رستم.

7- البندق: وهو الجلّوز⁽¹⁾، وقد وجدت فيه عدة مقطوعات أوردها الصفدي في "الكشف والتنبية" ولكن دون عزو لأحد، ومنها⁽²⁾:

إنّ للبندق اللذيذ لمعـنـى
حبّ درّ ملفّ في حريـر
خلتـه وهو ناظر في ابتهاج
أحمر ضمّنه أحقاق ساج

8- التفّاح: وهو معروف ذو ألوان متعدّدة، أخضر، وأحمر، وأصفر، مما يكسب الصورة

الشعرية في وصفه ألواناً مختلفة، وربما جاءت التفاحة الواحدة بلونين مختلفين ما يزيد

الصورة جمالاً، وفي هذا يقول عبد الرحمن الواعظ المعري في تفاحة ذات لونين⁽³⁾:

تفاحة ذكرني نصفها
ونصفها الآخر شبّهته
خذّ الحبيب حين قبّلته
صفرة لوني حين ودّعته⁽⁴⁾

فهي تفاحة تجمع بين اللون الأحمر الذي ذكره بخدّ الحبيب محمراً من الخجل عند التقبيل، والنصف الآخر أصفر مثل لون شحوب الشاعر ساعة الفراق، وهو تشبيه جميل عكس أثر الألوان على نفسية الشاعر ودلالاتها على الحالة النفسية للبشر، فالأحمر دليل الخجل والأصفر دليل الشحوب.

وقال ابن نفّادة الساعاتي⁽⁵⁾:

وكأنما التفاح والرمّان محـ
وهذا من قبيل مزج وصف الثمار بالغزل، وخطّ بين لذة مشاهدة الفاكهة ولذة
أخرى، فمشهد الفاكهة يبعث في خيال الشاعر مشاهد حسّية من نوع آخر، فهو يشبه التفاح
بالخدود والنهود.

(1) ابن منظور، لسان العرب 502/2.

(2) انظر، الصفدي، الكشف والتنبية، ص379.

(3) هو عبد الرحمن بن مروان أبو محمد التنوخي المعري المعروف بابن المنجم الواعظ، توفي عام 557 وقد جاوز السبعين، العماد الأصفهاني، خريدة القصر 92/9.

(4) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 97/9.

(5) الصفدي، الكشف والتنبية 356 وهو أحمد بن عبد الرحمن بن نفّاذة الساعاتي الدمشقي (541-601) كان من رؤساء الجند عند السلطان صلاح الدين، العماد الأصفهاني، خريدة الشام 329/1-334 والصفدي، الوافي بالوفيات 39/7-44 وأبو شامة المقدسي، الروضتين 11/2، 209.

وقال الشريف العقيلي (1):

تَفَاحُنَا بِمَجْلِسِ الْهَبَاتِ
إِهْلِيلِجِي (3) خَلَقَ الْقَامَاتِ (4)
يَجُلُ فِي الْحَسَنِ عَنِ الصَّفَاتِ (2)
كَأَنَّهُ وَسَائِطُ الْجَانَّاتِ

وهو تشبيه ليس موفقاً، فلا شيء يجُلُّ عن الصفات، وقد اكتفى الشاعر بوصف شكله، والتفاح غنيٌّ عن وصف شكله فالكل يعرفه، لكنه أصاب في تشبيهه بأوعية الطيب (وسائط الجانات)

وقال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي يصف تفاحة (5):

ومذكرة ريح الحبيب بريحها
تجاوز لونها اخضراراً وحمرةً
وحاكية خديه لي باحمرارها.
فيا عجباً من مائها قرب نارها

فرائحة التفاح تذكره برائحة الحبيب ولونه يشبه خدّها، ويتعجب من تناقض ألوانها بحمرة وخضرة فكيف يجتمع الماء والنار معاً، والطباق أسهم في إبراز اللونين، والضد يظهر حسنة الضد.

ومن وصف التفاح نتبين أن الصور والتشبيهات فيه لم تكن كسابق ألوان الثمار التي شبهت بالذهب والأحجار الكريمة وإنما شبه التفاح بالحبيب ريحه ولونه ووجهه.

9- التوت: وهو التوت الذي يظهر ثمره على الشجر وليس الأرضي منه، وثمره لوان، أسود وأبيض، وقد تظهر في كل لون عدة ألوان.

قال أبو المحاسن الشوا (6):

لست أنسى يومنا في دوحه
وبها فاعت علينا سرحة
وكان التوت في أغصانها
زُخِرْتُ أَرْجَاؤُهَا ذَاتُ أَرْجٍ
تُذْهِبُ الْهَمَّ وتأتي بالفرج
لؤلؤً بين عقيق وسبج

ويا لها من جلسة جميلة تحت ظل شجر التوت وارف الظلال! وقد شبه التوت الأحمر والأسود بالأحجار الكريمة من العقيق الأحمر والخرز الأسود.

10- التين: وهو كثير في بلاد الشام، متنوع الأصناف والأشكال والألوان، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم حتى عدّ المفسرون (7) ذكره والزيتون كناية عن بلاد الشام، وقد سميت السورة

(1) سبقت ترجمته في ص 42.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، ص 84.

(3) إهليلجي : الأهلج : ثمر " يتداوى به، وهو عقير من الأدوية، ابن منظور، لسان العرب، 114/15.

(4) خَلَقَ الْقَامَاتِ : أَمَلَسَ، ابن منظور، لسان العرب، 195/4.

(5) تميم بن المعز، الديوان، ص 191.

(6) الصفدي، الكشف والتبهي 353، وهو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل الشوا الكوفي الحلبي، له ديوان شعر مفقود (562- 635) و

ابن خلكان، فيات الأعيان 231/7 والذهبي، سير أعلام النبلاء 397/4.

(7) قال الزمخشري : "فمنبت التين والزيتون مُهَاجَرُ إبراهيم وعيسى ، أقسم بها للإبانة عن شرف هذه البقاع" الكشف 269/4.

باسمه (التين) ♥ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ*وَطُورِ سَيْنِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ♦ ⁽¹⁾ ، ولذلك فإن وصفه

كثير ولا سيما عند شعراء الشام وخصوصاً كشاجم الذي يقول في تين أسود وأصفر⁽²⁾:

أهلاً بتين جاءنا
يحكي الصباح بعضه
كسفرة مضمومة
منضداً على طبق
وبعضه يحكي الغسق
قد جمعت بلا حلق

إنه يرحب بالتين ترحيبه بالضيوف، وقد عبر عن ألوانه بكل يسر، فالأصفر يشبه ضوء الصباح والأسود الضارب للحمرة يشبه لحظة الغروب، ثم شبهه بالسفرة وهي وعاء من جلد مستدير ينقل فيها الطعام، فحبة التين كسفرة الطعام ولكنها مجموعة دون حلق.

وقال كشاجم أيضاً في تين أصفر⁽³⁾:

قُمْ قَدْ أَتَى ضَوْءُ الصَّبَاحِ السَّافِرِ
نَلِمَ بَتِينَ لَذَّ طَعْمًا وَاكْتَسَى
لَطْفَتِ مَعَانِيهِ لَطَافَةً عَاشِقٍ
كَالتَّلَجِ بَرْدًا فِي صَفَاءِ التَّبَرِّ فِي
يَحْكِي لَنَا مَا صَفَّ فِي أَطْبَاقِهِ
يَا صَاحِ نَغْتَمِ الْحَيَاةَ وَبُكْرِ
حَسَنًا وَقَارِبَ مَنْظَرًا مِنْ مَخْبَرِ
فِي لَوْنٍ مُشْتَقٍّ حَلِيفَ تَفْكُورِ
رِيحِ الْعَبِيرِ وَفَوْقَ طَعْمِ السُّكَّرِ
خِيَمًا تَلُوحُ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ

فهو يدعو صاحبه لقطاف التين في وقت مبكر من الصباح، لأن التين في هذا الوقت يكون بارداً ولا يحبز قطفه في حرّ الشمس، وقد حسنَ هذا التين منظراً وجوهراً، وصفرته كسفرة العاشق المفارق لمحبيه، والبيت الرابع جمع فيه الشاعر بين ملمس التين البارد ولونه الذهبي ورائحته العطرة وطعمه الحلو، وفي البيت الخامس صورة طريفة لحبات التين فهي تبدو كالخيم المصنوعة من الحرير الأخضر.

وقال أيضاً⁽⁴⁾:

أَمْرَجْنَا الْمَرْجِيَّ أَيَّ مَرَجٍ
يشبه في اللون وريح الأرج
مثل رؤوس الغلف ⁽⁶⁾ سود الدعج
في تينه البالغ غير الفج
نوافج المسك ⁽⁵⁾ وبرد الثلج
أو كثنايا ⁽⁷⁾ ناهدات الزنج

⁽¹⁾ التين 3-1/95.

⁽²⁾ النويري، نهاية الأرب 159/11.

⁽³⁾ النويري، م. ن، 159/11.

⁽⁴⁾ كشاجم، الديوان، ص46.

⁽⁵⁾ نوافج المسك : لفظة معربة وهي أوعية المسك ومفردها نافجة ، ابن منظور، لسان العرب، 224/14.

⁽⁶⁾ الغلف : شجر يدبغ به، ابن منظور، لسان العرب، 103/10.

⁽⁷⁾ الثنايا : من الفعل ثني وهو الإخفاء، ابن منظور، لسان العرب، 136/2.

أما لون التين هنا فهو أسود، فالشاعر يقول إن صاحب المرج قد تركهم يأكلون ثمار التين الأسود الذي تفوح منه رائحته الزكية كرائحة المسك، فحبات التين كأوعية حوت مسكاً، ثم شبهها في لونها بلون أوراق الغُلف السوداء أو هي ما تخبئه ناهدات الزنج تحت غلائلها، وهي صورة مألوفة في شعر وصف الثمار إذ أن الشاعر يسقط على شكل الثمار أجزاء من جسد المرأة فيخلط بين شهوة الطعام وشهوة النساء، ولم يتطرق هنا إلى الطعم بل عالج الشكل والرائحة واللون والملبس وهي الصورة ذاتها في قول كشاجم أيضاً في وصفه⁽¹⁾

أحببُ بتينٍ جاءنَا مثل نهود الخُردِ⁽²⁾
داخله مضمَّنْــنْ قراضةً من عسجدِ⁽³⁾
وقشره في الخــــارج يحكيه للزبرجدِ

والصورة واضحة هنا فالتين كالنهود ومحتواه كالذهب، وقشره الأخضر كالزبرجد الأخضر، وقد استخدم الفعل (أحبب) من أفعال المدح لتصوير حُبِّه لذلك. وقال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي⁽⁴⁾:

يا حبذا التين لذننا به وليته كان لنا قوتــــا
أخضرُ محمَّرُ الحشا خلتُهُ زبرجداً يحمل ياقوتــــا

وهو يستخدم فعل المدح (حبذا) أيضاً ويتمنى أن يتجاوز أكل التين التلذذ فقط، وإنما أن يكون طعامه كل اليوم، ويصف ألوانه، فهو أخضر من الخارج أحمر من الداخل، ويشبهه بالأحجار الكريمة؛ فاللون الأخضر كالزبرجد والأحمر كالياقوت وهي صورة مكررة. وقال أسامة بن منقذ⁽⁵⁾:

أما ترى التين في الغصون بدا ممزَّق الجلد مائل العُنُق
وكانَّه ربُّ نعمةٍ سلبتْ فعادَ بعد الجديد في خَلَق
أو كأخي شرَّةٍ أغيظ فقد مزق جلبابه من الحنق
مثل نهود الأبكارِ صورَتُهُ لولا ينادى عليه في الطُرق
يا لهف قلبي على زيارته قبل جفاف الندى على الورق

وهي مقطوعة فريدة في صورها الجديدة غير المكررة وهو ما يصنّف ضمن المعاني الخاصة التي لم يأت بها أحد من الشعراء بخلاف الصور المكررة حيث الفاكهة والثمار تشبه

(1) النواجي، حلبة الكميت 271.

(2) الخُرد: جمع خريدة وهي الجارية البكر، ابن منظور، لسان العرب، 56/4.

(3) العسجد: الذهب وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت، ابن منظور، لسان العرب، 200/9.

(4) الغنابي، نزهة الأبصار في محاسن الأشعار، 410.

(5) الصفدي، الكشف والتنبيه 373، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 118، وقد أخل بها ديوانه، والشاعر هو أسامة بن منقذ الكناني، صاحب كتاب الاعتبار، عاش بين (1095/488 – 1188/584)، ترجمته في خريدة القصر قسم شعراء الشام 499/495/1 و ياقوت الحموي، معجم الأدباء 188/5 وابن خلكان، وفيات الأعيان 195/1.

الأحجار الكريمة، أو مفاتن النساء، فالتين مشقق الجلد كأنه صاحب نعمةٍ وغنى سلبت منه، فعاد فقيراً في ثياب ممزقة، والمعروف أن التين يبدو ممزق الجلد عندما يكون ناضجاً وهي صورة طريفة، والأطرف منها الصورة الثانية حيث يشبه التين بصاحب غضبةٍ مزق ثيابه من الغيظ. لكن ابن منقذ يعود للصورة التقليدية فيشبهه باليهود كعادة الشعراء من قبله ومن بعده، لكنه يشير إلى وقت قطافه كما أشار كشاجم من قبل ويتمنى أن يقطف ثماره في وقت مبكرٍ من النهار.

11- الثوم: وفيه مقطوعة واحدة دون عزو لأحد، وردت في نهاية الأرب⁽¹⁾، حيث قال أحدهم:
 الثومُ مثل اللوز إن قشَّرْتَهُ لولا روائحه وطعم مذاقه
 كالنَّذْلِ غرَّكَ منظرًا فإذا ادَّعى لفضيلةٍ ينمى إلى أعراقه
 والصورة طريفة متبدعة، فقد شبه الثوم بإنسان نذل شكله جميل، ولكنك إذا جربته عرفت سوء أخلاقه، وهكذا هو الثوم جميل المنظر، سيء المخبر.

12- الخوخ: قال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي وقد حُمِلَ إليه خوخ⁽²⁾:
 ولَمَّا فَاحَ لي نَشْرٌ "ذكي"
 ذكرتُ به ثناياها ولكن من الخوخ المشبَّه بالخدود
 فرائحة الخوخ ذكرته برائحة الحبيب، وشكله ذكره بخودها مرةً، ونهودها مرةً أخرى، وهو من قبيل مزج الوصف بالغزل.

13 الخيار: وهو ما يعرف أيضاً بالقثاء.

قال السري الرفاء يصف خياره⁽³⁾:

وعقاء مثل هلال السماء	ولكنها لبست سندسا
عراقية" لم يذب جسمها	هزلاً ولم تجسُ فيما جسا ⁽⁴⁾
زبرجدة حسنت منظرًا	وكافورة" بردت ملمسا
على رأسها زهرة غضة	كنجم الظلام إذا عسعا ⁽⁵⁾
حبانا بها مغرس طيب	من الأرض أكرم به مغرسا
لها أخوات" لطاف القدود	إذا ما تبرَّجْنَ خُضْرُ الكُسا
محجبة" عن شمس النهار	وبارزة" لنسيم المسا
يطول اللسان بإطرائها	ويصبح عن ذمها أخرسا

(1) النويري، نهاية الأرب 61/11.

(2) تميم بن المعز، الديوان، ص 113.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص 154.

(4) جسا : ضدَّ لطف، وجسا الرجل جسواً : صلب، ابن منظور لسان العرب، 285/2.

(5) عسعا : أقبل، ابن منظور، لسان العرب، 204/9.

يا لها من مقطوعة من ثمانية أبيات في وصف (خيارة)! والشاعر يريد أن يُطيل في
إطرائها والأبيات زاهرة بالتشبيهات فالخيارة مرة كهلال السماء تلبس السندس الأخضر،
ومرة كالزبرجد، ومرة كالكافورة في رائحتها، وزهرتها كنجم السماء، وأخواتها لطاف القدود
كالفتيات الرشيقات المتبرجات بألبسة خضر، وهي محبوبة بأوراقها عن الشمس متعرضة
للنسيم مساءً.

وقد زواج الشاعر في صوره وتشبيهاته بين تشبيه الخيار بالأحجار الكريمة وفتاة
جميلة القد بين التشبيه والتشخيص، وقد ركز على الشكل واللون والرائحة.

وقال ابن الخياط الدمشقي⁽¹⁾:

خيار "حين تنسبه خيار"
كأن نسيمه أنفاس حب
لريحان السرور به اخضرار
فليس لمغرم عنه اضطبار

لقد استغل الشاعر اسم " الخيار " ليجانس بينه وبين (خيار) بمعنى خير، ويتغنى بشكله ولونه
وبرائحته التي لا يستغني عنها أحد كما لا يستغني المحب عن رائحة محبوبته.

14- الدستنبويه: ثمر يشبه البرتقال (الأترج)، وقد جعله الصفدي في كتابه " الكشف والتنبيه"⁽²⁾
" مع الأترج في باب واحد، ذهبي اللون، ذو رائحة عطرة .

قال السري الرفاء يصفه⁽³⁾:

يا حبذا تحيية
إذ جاءني يحملها
رحت بها مسرورا
ظبي يباهي الحورا
شبهتها في كفه
وقد كساها نورا
مخزونة من ذهب
قد ملئت كافورا

والمقطوعة تنطق بأوصاف تلك الحبة، فهي بلون الذهب، ذات رائحة عطرة كالكافور.

15- الرمان: وهو ملهم الشعراء لجمال شكله الخارجي والداخلي.

قال ابن قسيم الحموي يصف الرمان⁽⁴⁾:

(1) ابن الخياط، الديوان، ص 16، وهو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر
الدمشقي الكاتب.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 349.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص 148.

(4) العماد الأصفهاني، خريدة القصر / قسم شعراء الشام 431/1، وهو مسلم بن الخضر بن قسيم التنوخي الحموي توفي
1147هـ/ 1147م، من شعراء الشهيد نور الدين زنكي ترجمته في العماد الأصفهاني، خريدة القصر 433/1 والصفدي، فوات الوفيات
134/4 والزركلي، الأعلام 118/8.

ومحمرّة من بنات الغصو
منكسّة التاج في دستها
تفضّ فتفتّر عن مبسم
كأنّ المقابل من حبّها
(1)
نِ يمنعها ثقلها أن تميدا
تفوق الخدود وتحكي النهودا
كأنّ به من عقيق عقودا
تغورّ تقبلّ فيها خدودا

لقد وصف الرمان دون أن يذكر اسمه وذلك ليلغز فيه، وقد كنى عن اسمه بقوله (بنات الغصون) وقد أحسن الوصف: فرأس الرمانة يبدو كالتاج بالفعل ولكنه منكس، وهي ثقيلة مستديرة فوق الخدود تشبه النهدي، وما أجمل مشهدها عندما تفتح فكأنها تبتسم فيظهر حبّها الذي يشبه العقيق الأحمر وأما نصفها الآخر فكأنه ثغرٌ يقبل خدّاً على الطرف المقابل.
قال أسامة بن منقذ يذمّ رمان مصر⁽²⁾:

رمان مصر كأنه ذرة
والريق فيها فدغ سواه إذا
وليس يرضى اللبيب عيشته
ولكن زريق
آكله شاخص⁽³⁾ من الغصص
أساغه المرء كان بالنغص
ولكن زريق⁽⁴⁾ في الققص

إنها المرة الأولى التي نعرض فيها مثلاً على ذم الفاكهة، وقد اعتاد ابن منقذ على رمان الشام؛ ولذلك فقد غصّ برمان مصر إلى درجة أن آكله يكاد يشخص بصره كالميت من الغصة ولا يسيع المرء شرابه، ولكنه مضطرّ لذلك اضطرار العصفور المحبوس في الققص.

وفي وصف الرمان قال كشاجم⁽⁵⁾:

ولاح رمانها فزينة
من كل مصفرة مزعفرة
كأنها حقة فإن فتحت
بين صحيح وبين مفتوت
تفوق في الحسن كل منعوت
فصرة من فصوص ياقوت

فالرمان جميل في رأي الشاعر سواء أكان مفتوحاً أم مغلقاً، فهو أصفر إذا بقي مغلقاً وهو كالحقة وهي مغرس عظم الفخذ في الحوض، أما إذا فتحت فهي كالصرة المملوءة بالياقوت.

(1) دستها: ثيابها، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، 152/1، والجواليقي المغرب 289.

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، ص 158.

(3) شاخص: فاتح عينيه لا يطرف، ابن منظور، لسان العرب، 51/7.

(4) زريق: طائر بين البازي والباشق يُصاد به، ابن منظور، لسان العرب، 39/6.

(5) كشاجم، الديوان، 78، وابن ظافر، غرائب التنبّهات 114، والصفدي، الكشف والتنبّه 365.

وقال ابن القطاع الصقلي⁽¹⁾:

رمّانة“ مثلُ نهد العاتق (2) الريم
تزهى بلونٍ وشكلٍ غير مذموم
كأنها حُقّة“ من عسجد ملئت
من اليواقيت نثراً غير منظوم

وإن كانت الصورة هنا مكررة في تشبيه الرمانة بالنهد، إلا أنه خصص ذلك بهذا العاتق وهي الجارية التي قد بلغت وعنتت من الصبا حتى لبست الدرع، وهو تخصيص أكسب الصورة شيئاً من التجديد، وهو يكرر تشبيهها بالحقة كما رأينا عند كشاجم ولكنها مملوءة بالعسجد والياقوت المنثور غير المنظوم.

وقال تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي في رمّان يدفع عنه حرّ بعض الطعام (3):
بأبي من سعى يبرّد عني
حرّ بعض الغذاء بالرمّان
ليته يطفئ الذي بي من الشو
ق إلى وجهه بقرب التداني
أنا أشتاقه إذا بات قربي
مثل شوقي إليه في الهجران

إنها السمة الغالبة عند الشاعر تميم، فمرأى الفاكهة لا يلبث أن يوحي إليه بذكر الحبيب، فهو يتمنى لو أنّ الرمان أطفأ في نفسه حرّ الشوق كما أطفأ حرّ الضرر الذي أصابه من الغذاء والبيت لا يخلو من الصورة الفنية، ولكنها صورة غير مبتكرة.

16- الزيتون: وتشتهر به الشام ومنه الأخضر والأسود والأحمر والمرقط، كما يوجد في مصر ولكن بصورة أقل.

قال ابن وكيع التنيسي يصفه⁽⁴⁾:

انظر إلى زيتوننا
فيه شفاء المَهْج
بدا لنا كأعين
شهل (5) وذات دَعَج
مخضره زبرجد“
مسودّه من سَبَج

إن النظر إلى الزيتون فيه شفاء؛ ولذلك فشاعرنا يطلب النظر إليه لأنه معجب بمنظره، ويشبهه بالعيون السوداء تارةً والشهل تارةً أخرى، أما الأخضر فهو كالزبرجد، والأسود كالخرز إنه يذكر في مقطوعة ثلاثة ألوان للزيتون: أسود وأخضر وأسود ضارب إلى الحمرة.

(1) هو علي بن جعفر بن علي بن القطاع الصقلي (1041/433 - 1121/515) عاش في صقلية سبعة وستين عاماً وهو أديب ولغوي وعروضي، رحل إلى مصر في عام 500 هجري. انظر ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان 322/3 وياقوت الحموي، معجم الأدباء 279/12 والزركلي، الأعلام 76/5.

(2) العاتق : الجارية التي بلغت وعنتت من الصبا حتى لبست الدرع، ابن منظور، لسان العرب، 36/9.

(3) تميم، الديوان، 437.

(4) النويري، نهاية الأرب 132/11.

(5) شهل : جمع شهلاء وهي العين السوداء الضاربة إلى الحمرة، ابن منظور، لسان العرب، 143/6.

وهي الألوان نفسها التي تظهر في قول الشريف العقيلي في مزدوجته⁽¹⁾:
ما بين زيتونٍ وعُنَابٍ درجٌ لاح لنا منه عقيقٌ وسبجٌ

17- السفرجل: وهو ثمر يشبه التفاح إلا أنه أبيض ضارب إلى الصفرة
قال أبو بكر بن نعيم الدمشقي⁽²⁾:

قَمْ فاسقني يا نديمي	ما بتلك الدنان
أما ترى ما أراه	من بهجة البستان
ومن سفرجل دوح	حوى جميع المعاني
كأنه حين يبدو	على ذرى الأغصان
رؤوس أطفال روم	لطنن بالزعفران

إنه يصور السفرجل كرؤوس أطفال الروم، لأن رؤوس الأطفال صغيرة ولأن رؤوس أطفال الروم شقراء صفراء، ولا يكتفي بلونها الأشقر والأصفر، بل جعلها ملطخة بالزعفران وهو أصفر، وهي صورة طريفة.

18- الشعير: وهو طعام الدواب والفقراء من الناس، ولذلك فأينما يذكرُ يذكرُ الفقراء والحاجة والعوز، ولا يلتفت الشعراء إلى وصفه، بل يذكرونه للشكوى ووجع الفاقة.

قال عرقلة الكلبي بدمشق وقد أعطاه بعضهم شعيراً مكافأة له على شعره⁽³⁾:

يقولون لم أرخصت شعرك في الورى	فقلت لهم : إذ مات أهل المكارم
أجازى على الشعر الشعير وإنه	كثير " إذا استخلصت من بهائم

وهي مقطوعة لا وصف فيها

وقال هبة الله بن وزير فيمن طلب منه قمحاً فأهداه شعيراً⁽⁴⁾:

طلبتُ من قوته قليلاً	كثُر همِّي به انتظارُ
ثم أتى منه لي شعيرٌ	دلَّ على أنه حمارُ

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص302.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 367 و ابن ظافر، غرائب التنبيهات 116.

(3) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 182/1، وعرقلة الكلبي : هو حسان بن نمير أبو الندى ، ولد سنة 486 وتوفي 567، أنظر ترجمته في ابن شاعر، فوات الوفيات 144/1 وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 64/6 والعماد الصفهاني، خريدة القصر قسم شعراء الشام 178/1.

(4) العماد الأصفهاني، خريدة القصر / قسم شعراء مصر، 153/12، وهو النجيب أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقاد المصري قال العماد الأصفهاني: لقيته بمصر سنة 573 ثم عدت إليها سنة ست وسبعين وخمسائة فوجدته قد مات، العماد الأصفهاني، خريدة القصر. قسم شعراء مصر 143/12.

وقال رضي الدولة أبو سليمان يستهدي شعيراً ويشكو الفقر⁽¹⁾:

إليك ابن إبراهيم راحة مشتك	لنفثةٍ مصدور شكا حرَّ صدره
تكنفه الحرمان حتى لو أنه	سرى يستميح القطر ضنَّ بقطره
وأصعبُ ما يمني به في مقامه	شراه شعيراً في تقلُّص سِعره
ويقصرُ عن تكليف ذلك وجدّه	وأنيّ لـه ذكرٌ يفوه بذكره
فجدّ لي به وارحم - فديتك - شاعراً	قصاراه أن يجزى شعيراً بشعره

لقد استغل الشاعر تشابه كلمتي شعر وشعير ليجانس بينهما مع قلة قيمة الشعر وانخفاض قيمة الشعير ليظهر مدى فقره وحاجته.

20- العنب: ومن أسمائه الكرمة، وتشتهر به الشام أكثر من مصر، وهو بجمال عناقيده وألوانه المتعددة الأخضر والأحمر والأشقر والأسود يبعث في نفوس الشعراء صوراً من خيال شتى.

قال كشاجم⁽²⁾:

رُحنا إلى حديقة	بكل حُسنٍ محدقة
كأنما عنقودها	زنج "جنوا في سرقة
فأصبحت رؤوسهم	على الذرا معلقة

وهو تشبيه رديء فصورة رؤوس الزنج المعلقة صورة تبعث على الاشمئزاز، وليس هذا ما يريد الشاعر أن يبعثه في نفس المتذوق لهذا الشعر، وإنما أراد أن يرغب في العنب وليس أن ينفّر منه.

وقال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي يصف الكرم وحمله⁽³⁾:

سقياني على العناقيد ممّا	عَصَرْتُهُ الأكْفُ منها قديماً
ما ترى الكرم كيف نضدّ ياقو	تاً وأبدى زمرّداً منظوماً
يتبدى للعين حباً ويخفي	عسلاً في ظروفه مختوماً
كنواصي القيّان نظماً وكالشهـ	د مذاقاً وكالعبير نسيماً
غلطوا حين سمّوا الكرم كرماً	لو أصابوا القياس قالوا الكريماً

(1) العماد الأصفهاني، خريدة القصر / قسم شعراء مصر 45/12، وهو شاعر من بلدة المحلة المصرية، ذكره القاضي الفاضل، وقال: شاعر، "ملء فكه، قال العماد: توفي في عصرنا هذا (العماد الكاتب توفي 598) خريدة القصر / قسم شعراء مصر 45/12.

(2) النويري، نهاية الأرب 151/11.

(3) تميم، الديوان، ص386.

فهو وإن بدأ مقطوعته بطلب شرب الخمر التي كانت تسمى "ابنة الكروم" إلا أنه تذكر أصل تلك الخمر فبدأ وصف الكرم مشبهاً عناقيد العنب بالياقوت المنضد والزمرد المنظوم الذي ظاهره حبّ وباطنه عسل مختوم، ثم ينصرف لتشبيه العنب بنواصي القيان، وإنما قصد بما يعلّق على نواصي القيان من العقود المنظومة، وفي البيت انصراف إلى وصف شكله ومذاقه ورائحته في وقت واحد، وهذا ما دعاه إلى تسميته بالكريم وليس بالكرم، وقد جانس بين (الكرم والكريم).

وقال ابن وكيع التنيسي⁽¹⁾:

شَرِبْتُ مُجَاجَ الكرم تحت ظلاله على وجهٍ معشوق الشمائل أغيد
كَأَنَّ عناقيد الكروم وظلّها كواكبٌ درّ في سماء زبرجد

والبيت الأول إشارة إلى شرب الشاعر للخمر في ظلّ الكروم، يتضح ذلك من قوله (شربت) و(مجاج الكرم) والمجاج ما يمجه الإنسان من سائل في فمه. أما البيت الثاني فتصوير بديع لعناقيد العنب وكأنها كواكب متلألئة في سماء من الزبرجد الأخضر في إشارة إلى ورق العنب الأخضر الذي تتدلى عناقيد العنب من خلاله.

وقال عبد المحسن الصّوري⁽²⁾:

عنب "أسود" كأنّ عليه حلاً من حنادس⁽³⁾ الظلماء
خلتّه في خلال أوراقه الخض رِ ولون اسوداده والصفاء
(4) كقموع على أنامل خود لُحْن من كمّ⁽⁵⁾ لاذة خضراء
جاءنا منك تحفة "نحن منها أبداً في تضاعف السراء

وهي مقطوعة في وصف العنب الأسود، فقد لبس أثواباً سوداء. وهي صورة طريفة أخرى كأصابع فتيات جميلات صبغن أطراف أصابعهن بالحناء، وقد لبس ثياباً من الحرير الأخضر في إشارة إلى بروز عناقيد العنب الأسود من بين أوراق العنب الخضراء، وفي البيت إشارة أيضاً إلى نعومة أوراق العنب الأخضر نعومة الحرير الصيني، وقد أبرز لون العنب وأغفل طعمه وشكله.

(1) ابن وكيع، الديوان، ص 52.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه، ص 376، وابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص 109، والنويري، نهاية الأرب، 150/11، وهو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غليون الصوري، شاعر "شامي مشهور، له ديوان مطبوع بتحقيق مكي السيد جاسم، توفي عام 419هـ/1028، أنظر ترجمته في الثعالب، يتيمة الدهر 312/1 وابن خلكان، وفيات الأعيان 232/3 والزركلي، الأعلام 295/4.

(3) الحنادس: جمع جنّيس وهي الليلة المظلمة، ابن منظور، لسان العرب، 356/3.

(4) القموع: الحناء، يقال: قمعت المرأة بنانها بالحناء: خضبت أطرافها فصار لها كالأقماع، ابن منظور، لسان العرب، 305/11.

(5) اللاذة: ثياب حرير تصنع في الصين، ابن منظور، لسان العرب، 356/12.

وقال ابن نفّادة⁽¹⁾:

والعرش عرش“ في سماء زمردٍ
أضحى ثريا أفقها العنقودُ
فعريشه العنب كالسماء الخضراء نجومها عناقيد العنب.

20- **الفسق الحلبي:** ويسمونه (الفسق الضاحك) نظراً لأنه يبدو فاغراً فاه، ويسمى أيضاً (الفسق الشامي) لأن أهل الشام خبراءون بتحضيره، ونسميه اليوم (الفسق الحلبي). وقد كان العرب كما هي حالهم اليوم يأكلونه مملحاً، يقول المشتقي الدمشقي في الفسق الضاحك⁽²⁾:
انظر إلى الفسق المجلوب حين أتى
مشقّقاً في لطيفات الطيافير⁽³⁾
والقلب ما بين قشريه يلوح لنا
كألسن الطير ما بين المناقير

وتبدو صورة الفسق واحدة في جميع التشبيهات وهي صورة الطير الذي يفتح فمه ويبدو لسانه وقد خرج من فمه، وهذا يظهر في قول المشتقي الدمشقي في مقطوعة أخرى⁽⁴⁾:
كأنما الفسق المملح إذ
جاء به من سقّاك صهباء
مثل المناقير حين تفتحها
ورق حمام لتشرب الماء

وفي البيت إشارة إلى أنه يؤكل في مجالس الخمر، فقد جاء به ساقى الخمر.

21- **قصب السكر:** وهو كثير في مصر، وقد سبقت الإشارة إلى تقدم الفاطميين في زراعته وتصنيعه قال كشاجم⁽⁵⁾:

أعددتُ عندي لنداماي العجب
أبيض“ في ثوب حريرٍ منتخب
كأنما ثوب“ من التبر انسرب
كأنه أعمدة من الذهب
شدوا إلى أطرافها خضر العذب⁽⁶⁾

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه 378.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 382 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 123/11.

(3) الطيافير : جمع طيفور وهو طويتر صغير، ابن منظور، لسان العرب، 172/8.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 383.

(5) كشاجم، الديوان 63 وابن ظافر غرائب التنبيهات 126 والصفدي الكشف والتنبيه 384.

(6) عذب كل شيء: طرفه، ابن منظور، لسان العرب، 100/9.

فقصب السكر يبعث العجب بقشره وبعد تقشيريه فإذا قشّره تكشف عن عمود من الذهب وإذا بقي دون تقشير كان كمن يلبس ثوباً من الحرير تدلى طرف كمّه.

وقال ابن القيسراني⁽¹⁾:

نزلنا على القصب السُّكْرِيّ
بحزّ كحزّ رقاب العدا
نزول رجال يريدون نهبه
ومصّ كمصّ شفاه الأحبه

والأبيات تمثل شراهة الإقبال على قصب السكر، والشاعر أراد أن يجمع بين المتناقضين فشتان ما بين حزّ رقاب العدا بما يمثله من قوة وبأس وبين مصّ شفاه الأحبة، والصورتان تصبّان في شدة الإقبال على قصب السكر المنهوب.

22- القمح: وموطن الجمال في وصفه وهو في سنبله، ولم أعرّ سوى على مقطوعتين لظافر الحداد فيه، حيث يقول في وصف سنابل القمح⁽²⁾:

كأنّ سنابل حبّ الحصيد
مكانسُ مضمفورة رُبّعت
وقد شارفت وقت إبّانها
وأرْخيَ فاضلُ خيطانها

قال شارح ديوانه⁽³⁾: والمكنسة ما يكنسُ به، وهذا ما وجدته في لسان العرب أيضاً، فما وجه الجمال في تشبيه سنابل القمح بالمكانس إلا أن يكون الشاعر قد وجد شبهاً كبيراً بينهما فأطلق الصورة على المماثلة فقط وليس على التشبيه الذي يكسب الصورة جمالاً وخيالاً وإبداعاً تصويرياً.

وقال أيضاً يشبه حبّ البر⁽⁴⁾:

بورك في بُرّنا ومنّ زرعَه
كأنما كل حبة منه في الشّ
وفرّه خصبُ عامنا فيكا
والحمدُ والشكرُ للذي صنعه
شكّل وفي اللون والجنا ودعه⁽⁵⁾
دُ المرء يحوي من قمحة شِبعه

(1) ابن القيسراني، الديوان 91 والصفدي الكشف والتنبيه 385.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص 236.

(3) هو د. حسين نصار .

(4) ظافر الحداد، الديوان، 189 .

(5) الودعة : خرزة بيضاء في بطنها شق كشق نواة التمر، ابن منظور، لسان العرب، 249/15.

فهو يشبه القمحة لحجمها الكبير والمكتنز بالودعه وهي خرزة بيضاء في بطنها شق كشق النواة، ويبالغ في ذلك مبالغة تصل حد الكذب وتخرج عن حدود الصدق الواقعي في أن المرء يكاد يشبع من قمحة واحدة.

23- الكمثرى: وهي ما نسميه الإجاص اليوم، وهذا ما يؤيده الوصف، لأن مسمى الأجاص في العصر الفاطمي كان شيئاً آخر كما سبقت الإشارة، وقد وصفه عدد من الشعراء، منهم: كشاجم الذي قال في طبق من الفاكهة حوى كمثرى⁽¹⁾:

أحضرنا الناطورُ من بستانه	في طبق ينطق عن إحسانه
لوناً من الرائع في أوانه	أهدى له الجواهر من ألوانه
ما احمرّ وما أصفرّ من مرجانه	مثل تروك الجيش في ميدانه
مذهبة في الهام من فرسانه	شيب بريق الشهد في أغصانه

وقد أصاب الشاعر بتشبيه الكمثرى بخوذة الجيش وهو البيضة التي يلبسها الجندي على رأسه وهي في رأسها حديد مدبب يشبه بالفعل حبة من الكمثرى، وقد شابته في اصفرارها لون الذهب. ولم يعجبه الشكل فقط بل شبه طعمه بطعم الشهد.

وقال ابن الخياط الدمشقي⁽²⁾:

ثمر "كأنّ به الذي	بي من حوى فيه اصفرارُ
أبقى الهوى أثراً به	والسُكّرُ يتبعهُ الخُمَارُ

وهي صورة الفاكهة وانعكاسها على نفسية الشاعر، إذ يعقد المشابهة بين لون الفاكهة ولونه الذي هو انعكاس للحالة النفسية للشاعر، فالاصفرار خوف، والحمرة خجل، وهذا ما ظهر كثيراً في شعر تميم بن المعز في وصف الفاكهة أيضاً. وقال ظافر الحداد⁽³⁾:

(1) النويري، نهاية الأرب 162/11.

(2) ابن الخياط، الديوان، ص 284.

(3) النويري، م. ن، 162/11.

للهِ وافدُ كَمْثَرى ذكُرتُ به
لم أدنه من فمي إلا وأحسبه
قد ذقتُ من طعمِهِ ما كاد يبلغ بي
يحكي قوارير ماء الورد خالطهُ
أكرم بزورته لو أنها اتصلت
لو كنتُ أملكُ حكم الأرض ما حملتُ
ما كنتُ أعهدُ في أيامي الأولِ
من النهود لذيق العضِّ والقبلِ
ما ذقتُ من رشف محبوب على عجلِ
فيها من الزعفران المسكُ بالعسلِ
أو أنه كان فيها غيرَ منفصلِ
نبتاً سواه على سهل ولا جبلِ

وفي هذه المقطوعة خلط بين شهوة الطعام والشهوة الجنسية، فالشاعر يعرض الكمثرى ويتخيل عض النهود، ويتذوق طعم الكمثرى ويتذكر رشف ريق محبوبته، وقد تكررت هذه الصور عند بعض الشعراء.

ومن الصور الطريفة تشبيه حبة الكمثرى بقارورة خلط فيها ماء الورد بالمسك والزعفران والعسل في إشارة إلى طعم الكمثرى الشهي اللذيذ.

24- اللوز الأخضر: وهو يتخذ أشكالاً متعددة، وله ألوان وأحجام مختلفة أيضاً، ووصفه الشعراء كثيراً ومنهم:

ظافر الحداد حيث قال⁽¹⁾:

جاء بلوز أخضر
كأنما زئبره
كأنما قلوبه
جواهر "لكنما ال
أصغره ملء اليد
نبت عذار الأمرد
من توأم ومفرد
أصداف من زبرجد

وهو معجبٌ بدايةً بحجم حبة اللوز فأصغره حبة تملأ اليد، وأما وبره (زئبره) فيشبه الشعر الناعم (الزغب) الذي يظهر على وجه الأمرد الذي لم ينبت شعر ذقنه بعد، والأمرد كان يتغزل فيه كالفتاة. وأما الصورة الجميلة فهي تصوير قلب اللوز (الحبات البيضاء) التي تبدو مفردة مرةً وتوأم مرةً أخرى كأنها الجواهر، أصدافها الزبرجد في إشارة إلى اللون الأخضر.

(1) ظافر الحداد، الديوان 369، وقد ورد خطأ في الديوان حيث جاءت هذه المقطوعة تحت عنوان (قال في التين).

25- المِشْمَشُ (بكسر الميمين): وهو معروف، متعدد الألوان، حلو الطعم، ذو منظر جميل على الأشجار، ولذلك كثرت المقطوعات فيه، وفي الشام منه شجرٌ كثير.

قال ابن وكيع التنيسي⁽¹⁾:

بدا مشمش الأشجار يذكو شهابُهُ
على خضِرِ أغصانٍ من الرِّيِّ مُيِّدٍ
حكى وحكت أشجاره في اخضرارها
جلجل تبرٍ في قباب زبرجد

وقد قال في البيت الأول (بدا يذكو شهابه) أي بدأ يشتعل لأن المشمش يكون أخضر في أوله ثم يصبح أصفر أو أحمر، فكأنه شهاب من نار يذكو شيئاً فشيئاً على سبيل الاستعارة. وقد شابه في تدليّه على أغصان الشجر عناقيد الذهب على قباب خضراء من الزبرجد.

وقال الشريف العقيلي⁽²⁾:

ومشمش نثرته
كأنه إذ تراءى
على الرياض رياح
لناظري أمحأ

فهو يشبه الشمس في اصفراره بصفار البيض (المُح).

وقال تميم بن المعز يصف شجر المشمش⁽³⁾:

يا شجر المشمش لا أصبحتُ
يا حسنه من شجر أينعتُ
منك ربا البستان مستوحشه
أغصانه واحتملت مشمشه
كأنما جمشه⁽⁴⁾ عاشق

فالشاعر يدعو الله ألا يخلي البساتين من شجر المشمش، ويستخدم النداء للتعجب (يا حسنه) وهو تعجب سماعي، ثم يبعث في المشهد صورة فنية جميلة مبرراً اصفرار المشمش وكأنه حبيب قد خاف من محبوبٍ داعبه فجأة.

(1) النويري، نهاية الأرب 141/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 353 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 107.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، ص108.

(3) تميم، الديوان ص254.

(4) يقال بالمغازلة: تجميش من الجمش، وهو الكلام الخفي، وهو ان يقول لهواه: هي هي، ابن منظور، لسان العرب، 354/2.

وقال العماد الكاتب⁽¹⁾:

كَأَنَّ مَذَابَ الشَّهْدِ فِيهِ مَجَسَّدٌ
وَمَا أَصْفَرُّ إِلَّا خَوْفُ أَيْدِي جُنَاتِهِ
كَأَنَّ نَجُومَ الْأَرْضِ فَوْقَ غُصُونِهِ
وَجَنَاتُهَا مَحْمَرَةٌ وَجَنَاتُهَا
بَدَتْ بَيْنَ أَوْرَاقِ الْغُصُونِ كَأَنَّهَا
أَجَدَّ لَهُ عَهْدَ الرَّحِيقِ الْمَعْتَقِ
فَلَيْسَ لَهُ أَمْنٌ مِنَ الْمَطَرِ
فِيَا حَيْرَتِي مِنْ نَجْمِهِ الْمَتَأَلَّقِ
فَمَنْ يَرَاهَا مِثْلِي يَحِبُّ وَيَعْشُقُ
كُرَاتٍ نَضَارٍ⁽²⁾ فِي لَجِينِ مَطَرٍ

ففي البيت الأول يصور حلاوة طعم المشمش وكأن الشهد المذاب والرحيق المعتق قد تجسّد فيه وفي البيت الثاني فن بديعي هو حُسن التعليل⁽³⁾ حيث يعلّل العماد اصفرار المشمش بخوفه من أيدي مَنْ سيقطفونه.

ومن البيت الثالث يظهر أن الشاعر يصف المشمش الأبيض الذي تعلوه حمرة فهو يشبهه بالنجوم التي تتلألأ في قبة السماء، وهو يشبهه في البيت الرابع بالخدود المحمرة التي تبعث الحب والعشق في نفس الشاعر، وفي البيت جناس بين (وجنّاتها) و(وجنّاتها).
أما في البيت الخامس فصورة تقليدية إذ شبه حبات المشمش بكرات من الذهب في وسط من الفضة.

ويبدو أن لون المشمش الأصفر قد بعث في نفوس الشعراء تشبيهه مرة بوجه إنسان خائف ومرة بالذهب الأصفر.

ولكن العماد في قصيدة أخرى يبدو أكثر إجادة في وصف المشمش إذ يقول⁽⁴⁾:

أَمْضِي إِلَى دُمِيَّةٍ مَقْبَلُهَا
مَصُورٌ بَلْ مَدُورٌ عَجَبٌ
فِي قُلُوبِ الْأَشْجَارِ مِنْهُ جُزْأٌ
طَلُوا بِمَاءِ النُّضَارِ ظَاهِرُهُ
حَلِيٌّ تَبَرَّ عَلَى عِرَائِسِ أَغْـ
حَمْرٌ حَسَانُ الْوُجُوهِ قَدْ لَبَسَتْ
عِرَائِسُ مِنْ خَدُورِهَا بَرَزَتْ
وَهِيَ كَشَبِ السَّمَاءِ رَاجِمَةٌ
عَيُونُهَا الرُّمْدُ فِي تَرْقَبِنَا
أَرْشُفُ مِنْهَا الْمَدَامَ وَالْعَسَلَا
تَرَى بِهِ وَهُوَ جَامِدٌ شُعَلَا
وَفِي ظَاهِرِ الْغُصُونِ مِنْهُ كُلِّي
لِبَاطِنٍ فِي حِشَاءِ نَارِ طِلَا
صَانٍ كَنَّ مِنْ قَبْلِهَا عَطَلَا
مِنْ خَضِرٍ أَوْرَاقُهَا لَنَا حُلَلَا
تَحْسِبُ أَشْجَارُهَا لَهَا كُفَلَا
جِنٌّ جِنَاةٌ لِقُطْفِهَا كَفَلَا
جَاحِظَةٌ أَبْرَزَتْ لَنَا مَقَلَا

(1) العماد الكاتب، الديوان، 316، 317، وهو محمد بن صفي الدين الأصفهاني، صاحب خريدة القصر (ت- 597).

(2) النضار : اسم الذهب والفضة وقد غلب على الذهب، ابن منظور، لسان العرب، 178/14.

(3) حسن التعليل : من فنون البديع، وفيه يأتي الشاعر بتعليل غير واقعي لوصف أو فكرة، إنما يبتدع من خياله تعليلًا يدعي أنه السبب

فيما يحدث، وجمال حسن التعليل أن يكون فيه لطف وطرافة (عبد العزيز عتيق، البديع، 40).

(4) العماد الأصفهاني، الديوان 330 والصفدي، الكشف والتنبيه 355.

وقد أكثر العماد من تصوير الشمس بصور مختلفة، فهو تارة عروس يرشف من فمها الخمر والعسل وتارة شعل من النار وكُلَّى مطلية بماء الذهب، وحلي من الذهب تبدو الأغصان بغيرها (عطلاً) أي خالية من الزينة.

وأما المشمش الأحمر فهو كالعرائس التي لبست حلاً خضراء وهي بين أوراق الشجر، ثم جعلها رجوماً لكل من حاول قطافها، ثم هي عيون رُمْدُ جاحظة بارزة. إنه استعراض لقدرة العماد الكاتب على التصوير فقد أغرق المقطوعة الشعرية بسيل من التشبيهات والاستعارات الجميلة، وهي من أطول المقطوعات الشعرية في وصف هذه الفاكهة.

26- الموز: وهو ثمر مقوس كالللال، يبدو أخضر قبل نضجه، وأصفر بعد النضج.

قال ابن الساعاتي⁽¹⁾:

وأشجار موزٍ نزلنا بها	فيا شكر الله الطافها
كخضر البنود إذا نشرّت	وجاذبت الريح أعطافها
وإلا قدود عذارى رقصن	فظلّت تناضل أسيافاً

فأوراق الموز كالرايات الخضراء التي تحركها الرياح يميناً وشمالاً، وهي رشيقة القوام كقدود العذارى.

27- النارنج: وهو شجرة ورقها أملس، ليست شديدة الخضرة، تحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج، ووردها في نهاية من طيب الرائحة⁽²⁾. ولولا ما جاء من إدخال اللون الأحمر في بعض وصفه لقلت إنه الليمون، ولا سيما أنه حامض. وقد أكثر الشعراء من وصفه. قال ابن الخياط الدمشقي يصفه⁽³⁾:

ومعشوق نارنج يريك احمراره خدود عذارى بالعتاب تضرّج

فالنارنج قد تضرج بالحمره وكأنه عذراء احمرت وجناتها من العتاب.

(1) ابن الساعاتي، الديوان 186/2، والصفدي، الكشف والتنبيه 379.

(2) بطرس البستاني، محيط المحيط، 206/2.

(3) ابن الخياط، الديوان، ص 144.

وقال الواواء دمشقي⁽¹⁾:

ونارنج تميل به غصون
أشبهه ثديا ناهدات
(2) فيغدو ميلها كالصولجان
غلائلها صبغن بزعفران

فغصون النارنج عندما تميل تصبح كالعصا المعوجة، وأما ثمار النارنج ولونه فيوحيان للشاعر بصورة غزلية وهي الغلائل الصفراء تحتها ثديا الناهدات. وهنا يبدو ثمر النارنج أخضر مصفر كالليمون تماماً، ولكن سبق وصفه باللون الأحمر في مقطوعة ابن الخياط.

وقال السري الرفاء⁽³⁾:

وبديعة أضحى الجمال شعارها
فكأنها في الكف وجنة عاشق
صبغ الحيا صبغ الحياء إزارها
عبث الحياء بها فأضرم نارها
محمولة حملت عجاجة عنبر
فإذا سرى ركب النسيم أثارها

وهي صورة تشبه صورة ابن الخياط، فهو يشبه حمرة النارنج بحمرة الوجنتين اللتين تحمران خجلاً، ولكنه تعدى الشكل واللون إلى الرائحة، فشبّه رائحة النارنج برائحة العنبر كلما هب النسيم أثارها.

وقد جانس الشاعر بين (محمولة وحملت) جناس اشتقاق.
وقال كشاجم⁽⁴⁾:

زمرّد أهدى لنا أنجماً
إذا تحيينا به خلطنا
مصبوغة من خالص التبر
نستنشق المسك من الجمر

إنها عادة شعراء ذلك العصر بتشبيه الثمار بالذهب والأحجار الكريمة، لكن الطرافة في الصورة هو استنشاق رائحة النارنج الأحمر وكأنه يستنشق مسكاً من جمر.
وقال ظافر الحداد يصف نارنجاً ابتل بالمطر⁽⁵⁾:

تأمل فدتك النفس يا صاحٍ منظرًا
حيّا وابلٍ يجري على شجرٍ بدا
يبيت به القلبُ الكئيبُ على فكرٍ
دموعٌ حداها الشوقُ فانهملت على
به ثمرُ النارنج كالأكبر التبر
خدود تراءت تحت أنقبةٍ خضرٍ

(1) الواواء دمشقي، الديوان، ص228

(2) الصولجان : العود المعوج (فارسي معرب) : وهو أيضاً عصا تضرب بها الكرة على الدواب، ابن منظور، لسان العرب، 348/7.

(3) الصفدي، الكشف والتنبيه 345 والنويري، نهاية الأرب 113/11.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 346.

(5) الصفدي، الكشف والتنبيه 346، 347 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 106.

فهو في الصورة الأولى يشبه ثمار النارج ككراتٍ من ذهب وليس في ذلك فرادة“ وتميز، ولكنه في الصورة الثانية شبه صورة الوابل المنهمر على ثمار النارج بين الورق الأخضر، بدموع الشوق انهمرت على حدودٍ مغطاة بأنقبة خضراء.

وقال الشريف العقيلي⁽¹⁾:

ونارنجة بين الرياضِ نظرتها
إذا ميلّتها الريحُ مالت كأكرة
على غصنٍ رطبٍ كقامةٍ أغيدٍ
بدت ذهباً في صولجان زبرجدٍ

لقد بلغ بالبيت الثاني مبلغ المماثلة مع بيت الوأواء الدمشقي الذي قال آنفاً:
ونارجٍ تميل به غصون“
فيغدو ميلها كالصولجان
لكنه جعله صولجاناً من زبرجدٍ أخضر، بينما اختفى اللون عند الوأواء.
والوَأَوَاءُ أسبق منه لأنه توفي عام 390هـ/999م بينما وفاة العقيلي 430هـ/1038م.

28- النخيل والبلح: ووصفه متعدّد متنوع؛ نظراً لتعدد ألوانه، وأنواعه، ومسمّياته، فمنه البلحُ والبُسْرُ، والرطب، والطلعُ، والتمر، ويعتبر ابن وكيع التنيسي أكثر من وصفه في العصر الفاطمي حسب ما ورد في كتب التشبيهات.

قال ابن وكيع في البلح⁽²⁾:

أما ترى النخل طارحاً بلحا
كأنه والعيون تنظره
جاء بشيراً بدولة الرطب
إذا بدا زهره على القُضْبِ
مكاحل“ من زمرّدٍ خرطت
مقمعات الرؤوس بالذهب

وقال أيضاً في البُسْر الأحمر وهو البلح الأحمر⁽³⁾:

أما ترى النخل حاملاتٍ
كأنما خوصه عليه
بسراً حكى لونه الشقيقا
زمرّد“ مثمراً عقيقا

وقد افتتح ابن وكيع المقطوعتين بقوله (أما ترى) للفت الانتباه إلى جمال صورة البلح، والصورتان تقليديتان بتشبيه البلح وخوصه بالعقيق والزمرّد والذهب.

وقال أيضاً في الطلع⁽⁴⁾:

وطلعٍ هتكنا عنه جيبَ قميصه
حكى صدرٍ خودٍ من بني الروم هزّها
فيا حسنةً من منظرٍ حين هُتّكا
سماح“ فشقت عنه ثوباً ممسّكا

(1) الثعالبي، يتيمة الدهر/ 1/ 416 وابن طافر، غرائب التنبيهات 103.

(2) النويري، نهاية الأرب 126/11.

(3) النويري، م.ن، 127/11.

(4) ابن وكيع، الديوان 34.

والمقطوعة فيها شيء“ من الطرافة في التصوير، فقد كان من عادة زارعي النخيل لفّه بقميص من القماش حتى ينضج بسرعة، وما إن ينضج حتى يهتكوا عنه قميصه ليتناولوا رطبّه وقد حول ابن وكيع تلك اللحظة إلى مشهد حيّ يمثل صورة فتاة رومية سمعت خبراً مفاجئاً فشقت قميصها الممسك (المعطر بالمسك) في إشارة إلى عبير الرطب ورائحتها الزكية،

أما الشريف العقيلي فيتطرق إلى الطعم في إحدى مقطوعاته إذ يقول⁽¹⁾:

أهدى لنا بُسراً له طعم “كطعم السكرِ
كخرائطٍ من مصمتٍ ختمت بشمعٍ أصفرِ

فطعم البسر كالسكر، وشكله كالخريطة المغلقة المختومة بالشمع بالأصفر.
وقال أيضاً: ⁽²⁾

كأنما أقماعُهُ إذا بدت للمبصر
سكارجٌ ⁽⁴⁾ من ذهب على براني ⁽⁵⁾ جواهرِ

فهو يشبه التمر بآنية الذهب للونها المتألّي.

ومن المقطوعات التي تناولت طعم البلح ولونه قول ابن وكيع⁽⁶⁾:

كأنما زعفرانٌ فيه من الشَّهْدِ جارِ
يشفُ مثل كؤوسٍ مملوءة بعُقارِ

فلونه أصفر كالزعفران، وطعمه كالعسل، وشكله كالكؤوس الشفافة المملوءة بالخمّر.
وقال ابن القطّاع الصّقلي⁽⁷⁾:

انظر إلى البُسْرِ إن صورتهُ أحسنُ ما صورةُ رأى الرائي
كأنما شكله لمبصره أناملُ “قمّعت بحنّاء

والملاحظ ضعف تركيب العبارة في الشطر الثاني من البيت الأول “أحسنُ ما صورةُ رأى الرائي” فالتركيب مهلهل ضعيف. لكن الصورة جميلة في البيت التالي فقد شبه البسر الذي بدأ طرفه ينضج ويتحول إلى اللون البني وكأنه أصابع قد صبغ رأسها بحنّاء.

(1) الشريف العقيلي، الديوان، 172 والصفدي، الكشف والتنبيه 362.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، 171 والصفدي، الكشف والتنبيه 361.

(4) السكارج: جمع (سَكْرَجَه) وهي إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية، ابن منظور، لسان العرب، 307/6.

(5) جمع برنية، والبرني ضرب من التمر أحمر مشرب، بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة، ابن منظور، لسان العرب، 392/1.

(6) الصفدي، الكشف والتنبيه 364.

(7) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 113 والصفدي، الكشف والتنبيه 363.

وقال كشاجم⁽¹⁾:

قد أتانا الذي بعثت إلينا
طلعة غضة أتتتنا تحاكي
ويبدوا أنه كان من غير المتوقع أن يهدي إليهم الطلع لأن هذا ليس أوانه، ثم عاد يشبهه بلون
الذهب تارة أخرى.

ولابن وكيع⁽²⁾ في البسر الأصفر:

أما ترى البسر الذي
كيف غدا في لونه
مكاحل من فضة
قد حاز كل العجب
كعاشق مكتئب
قد طليت بالذهب

وهي نفس الصور والتشبيهات في تصويره للبسر الأحمر أنفأ.

وقال ظافر الحداد يصف التمر البرني⁽³⁾:

يا من صفا لي ظاهراً ونياً
وقتك نفسي وافد المنية
وأكلة طيبة هنية
أحلى من الفرصة بالأمية
لا تتعب الضرس ولا التيه
ياقوتة حمراء معدنية
كأنما البرنية البرنية
ومن يدي بودّه غنيّه
هلمّ عندي تحفة سنية
بنت نخيل حلوة جنية
بالغ فيها النضج وهي نية
كأنها تشتف في الصينية
في طعمها وزيتها مسكية
فهي لها شبيهة كنية

إنه يغري صاحبه بهذه الأكلة الطيبة الهنية الغضة الطرية وهي التمر البرني.

أما النخلة بطولها وشموخها ودقة قوامها فقد حازت إعجاب الشعراء وألهمتهم صوراً جميلة
في وصفها، قال ابن قلاقس السكندري⁽⁴⁾:

كأن بأجباد عقد النخيل
قلائد منظومة من جمان
بخضر الملابس سمر الغواني
تميد غراماً كما تتثني

فهو يشبه عناقيد البلح المعلقة على جيد النخلة (كما وصفه) بالقلائد المنظومة من الأحجار
الكريمة. وقال ظافر الحداد في صورة مشابهة⁽⁵⁾:

والنخل كالهيف الحسان تزينت
ولبس من أثمارهن قلانداً

(1) النويري، نهاية الأرب 125/11 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 111، والبرني: ضرب من التمر أصفر منور وهو أجود أنواع
التمر، ابن منظور، لسان العرب، 393/1.

(2) ابن ظافر، م. ن، ص 112.

(3) ظافر الحداد، الديوان، ص 330.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 364.

(5) ديوانه 92، والصفدي، الكشف والتنبيه 363.

لكنه وصف النخلة وصفاً جميلاً بتشبيهها بالفتاة الهيفاء وهي الطويلة ممشوقة القدّ وشابه ظافرُ الحداد ابن قلاقس في تشبيهه عناقيد البلح بقلائد الأحجار الكريمة.

ب وصف الأطعمة المطبوخة:

تتنوع مشاهد الطعام على المائدة، وغالباً تزخر المائدة بألوان شتى من الطعام، وهذا يؤثر فنياً على الوصف ويزيد في الاختلاف بين وصف الثمار والفاكهة ووصف طعام المائدة من حيث:

1. زيادة وصف المأكولات على حساب الصورة الفنية: ففي وصف الثمار كان الموصوف واحداً وصوره وتشبيهاته متعددة، فالمشمش مثلاً يصوّر كالشعل والكلّي وكلّ العرائس والشهب والعيون الجوا حظ، وكل ذلك في مقطوعة واحدة، أما في وصف طعام المائدة فالشاعر مشغول بتعداد تلك الأصناف وسردها سرداً تقريرياً مع الإقلال من تشبيهاتها بنسبة لا تصل إلى صورة الموصوف الواحد مع كثرة تشبيهاته.

2. دخول عنصر الحركة في الوصف: إذ يلجأ الشاعر إلى وصف طريقة إعداد الطعام وتتابع حضور أصنافه على المائدة، وهذا لا يظهر في وصف الثمار والفاكهة، ومن ذلك قول الشريف العقيلي⁽¹⁾:

- | | | |
|-----|------------------------|---------------------------|
| (2) | فقد قام طبّاخنا فائقاً | بليلٍ أعدّ لنا الفَيْقاً |
| | وعبّا البوارد في جونةٍ | أحنّ من الخوف أن تطبقا |
| (4) | ووافي بعقيان سنبوسجٍ | فألْبَسها منه دُسْتَيْقاً |
| (5) | وخلّق عنبر طردينها | ولولا المقالي لما خلّقا |

فانظر إلى الحركة في الوصف (قام وعبّا ووافي وخلّق)، وهذا أيضاً يؤثر في الناحية التركيبية اللغوية إذ أنّ الأفعال تزيد نسبتها في وصف طعام المائدة عن وصف الثمار والفاكهة، كما سنوضحه في الدراسة الفنية.

3. اختفاء الألوان: لقد سيطر اللون على الصورة الفنية في وصف الثمار والفواكه، أما في وصف طعام المائدة فقد اختفى اللون، لأن الشاعر انصرف إلى الاهتمام بتصوير نضج تلك الأطعمة ولذّة طعمها ولم ينصرف إلى لونها إلا قليلاً.

(1) كشاجم، الديوان، ص222.

(2) الفَيْقُ: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين، ابن منظور، لسان العرب، 370/10.

(3) السنبوسج: رقائق من العجين تغلى كالزلاية وتحش باللحم، حاشية الديوان 222.

(4) الدسْتَيْقُ: السوار، حاشية الديوان، 222.

(5) الطردين: طعام، مقلي، حاشية الديوان 222.

4. زيادة نسبة الألفاظ الأعجمية والمعرّبة في وصف طعام المائدة عنها في وصف

الثمار والفاكهة:

وهذا عائدٌ إلى أن العرب قد تعلموا فنّ الطبخ من الحضارات غير العربية، فالعرب بدو بطبعهم وأدوات الطبخ معظمها أعجمي معرب، ناهيك عن الأصناف من الطعام التي عرفها العرب وأخذوها عن الفرس والترك، وبالتالي فإن مسمياتها ليست عربية، وإذا نظرت إلى المقطوعة السابقة للشريف العقيلي وجدت فيها عدة ألفاظ أعجمية مثل: طُردين، دستنيق، سنبوسج، والقصيدة حافلة بالمزيد منها.

وهذه نماذج من وصف الطعام المطبوع، وقد راعيتُ في ترتيبه الترتيب حسب الحروف الهجائية:

1- الجُبْن: قال تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، وقد رأى جبَّانةً تعمل جبناً⁽¹⁾.

وزولة ⁽²⁾	مقربة مسنَّه	ريفيّة“ تقذف بالجبَّنه
في قالب أسفله مشنَّه	(3)	ثم بدت بيضاء مقبئنَّه
كالبدر لما لاح في الدجَّنه		أعذب من ريق حبيب بنَّه
وحولها غيد“ كأنَّه		برزن من حور نساء الجنَّه
يرمين عن كحل عيونهنه		لواحظاً أمضى من الأسنَّه

إنه مشهد من مشاهد الريف المصري، حيث امرأة عجوز تصنع جبنةً وحولها فتيات جميلات، يضعن الجبن في قوالب ويصففنها، فتبدو بيضاء طرية شهية المذاق، وقد جمع الشاعر بين وصف الجبنة والغزل بمن يصنعها، ففي آخر بيتين انصرف الشاعر وهو أمير عن وصف الجبنة إلى وصف من يصنعها، فصانعات الجبن كأنهن حور نساء الجنة، غيد“ ناعمات. مكتحلات، تبدو عيونهن أمضى من الأسنة وهي الرماح. قد سيطر اللون الأبيض على المشهد فالجبنة بيضاء كالبدر الذي يلوح في الظلام.

2- الخبز: ونظراً لتوافره عند العامة والخاصة، ورخص ثمنه لأنه أقلُّ ما يقام به الأودّ،

فإنَّ وصفه يأتي إما في الشكوى من قسوة العيش أو في وصف شدة البخل.

(1) تميم، الديوان، ص421.

(2) زولة : فطنة داهية، وقيل الطريفة، ابن منظور، لسان العرب، 6/118.

(3) المشنة : زنبيل“ يحمل فيه التمر والعنب.

(4) مقبئة: منقبضة، ابن منظور، لسان العرب، 11/26.

(5) بنَّه : رائحة عطرة، وتقال أيضاً في الرائحة المنتنة، ابن منظور، لسان العرب، 1/505.

قال ابن منير الطرابلسي في هجو بخيل⁽¹⁾ :

رغيفه من ذرة	يصنعه أو أصغرا
مبيتاً ملففاً	مبريقاً مبيكراً
لو جاز في عين الذي	يأكله لما درى
كأنما خبازه	به تحدى البشر
لو بلع الصائم الـ	فاً مثله ما أفطره

وقد بالغ في وصف الرغيف، وربما يجوز ذلك لأنه أراد أن يرسم صورة كاريكاتيرية ساخرة لذلك البخيل، فأى رغيف في الدنيا لو بلع الصائم ألفاً منه ما أفطرا؟!!

3 - الخروف المشوي: ويدخل في هذا العنوان " الحمل المشوي " و " الجدي المشوي " لأننا

نتحدث عن الصنف نفسه من الطعام.

قال ابن وكيع من قطعة في خروف⁽²⁾:

خروفاً لو أشار إليه وهم	تقطر جلده بالشحم يجري
لباطنه قميص من لجين	تسربل فوقه بقميص تبر

إنه خروف " بالغ النضج لدرجة إنه يكفي الإشارة إليه دون لمسه لتقطر جلده شحمًا، وقد شبه لون جلده المشوي بلون الذهب، ولون باطن لحمه الأبيض بلون الفضة فكأنه يلبس ثوبين واحداً من ذهب والآخر من فضة.

وقال عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع يستدعي صاحباً له في أواخر شهر شعبان⁽³⁾:

شعبان قد صار نضواً ⁽⁴⁾	ولم لم نفذ فيه لهوا
وليس ذلك منا	جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودة إلا	بكرت للقصف عدوا
حتى نقوم فنرفو	ما خرّق الدهر رفوا
من بعد تقديم جدي	مسمّن ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً	يحبو إلى الضرع حبوا
وافر الزور في الخل	ل قد تبوأ مثوى

(1) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، شعراء الشام 90/1، وهو أحمد بن منير بن أحمد الطرابلسي ولد في طرابلس 473. وتوفي في حلب 548، وكان هجاءً معارضاً للقيصري في زمانه وكان القيسري سنياً متورعاً، وابن منير شيعياً مغالياً، ابن خلكان، وفيات الأعيان 156/1 والعماد الأصفهاني، خريدة القصر، شعراء الشام 76/1.

(2) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 156.

(3) الثعالبي، بتيمة الدهر 412، وهو من شعراء اليتيمة، وهو عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع، أحد رواة المتنبي الأدباء وأصحابه العلماء ومن تهرّ في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب، بتيمة الدهر 411/1.

(4) النضو: الثوب الخلق، ابن منظور، لسان العرب، 182/14.

لما انتزعتُ حشاه
وقد عنيتُ بجامٍ
وقهوةٍ بنت كرمٍ
ما شعشت قط إلا
عوضتُه البقل حشوا
ملأته لك حلوى
صفت من الذم صفوا
سطت على الهم سطوا

فهو يدعو صاحبه ليصيبا شيئاً من اللهو قبل حلول رمضان، ويغريه بلحم جدي صغير مسمّن منقوع بالخل ومحشو بالبقل، والقصيدة تكشف شيئاً من تقاليد طهو الطعام في ذلك العصر، إذ يقدّم الطعام الدّسيم كاللحم ونحوه، ثم تقدّم الحلوى، وبعد ذلك الخمر. ويلاحظ في المقطوعة قلة الصور والتشبيهات، فالمقطوعة أشبه بقطعة نثرية لولا ما فيها من الوزن.

وقال صالح بن مؤنس في صفة (جدي)⁽¹⁾:

جُدُّ لي بجدي نعته من اسمه
كأنَّ بين جلده ولحمه
لم يلج التنور مثلُ جسمه
لَفَات قطن بسطت من شحمه
يؤكل من نعمته بعظمه

وقصد بقوله (نعته من اسمه) أنّه عطاء، لأن الجدي هو العطاء من أجدي يُجدي، وقد سُوي شيئاً، وقد شبه لحمه بالقطن لأنه كان طرياً غضاً لدرجة أنه يؤكل بعظمه.

وقال كشاجم في حَمَلٍ مشوي⁽²⁾:

لم أنسه في حُلَّةٍ حمراء
قد شقَّ عن مكنونةٍ بيضاء
على خوانٍ واسع الفضاء
تسفر عن مسكينةٍ ملساء

فالحَمَلُ حُلَّةٌ حمراء وهو لون جلده المشوي وباطنه أملس رائحته كالمسك.

(1) النّعالي، يتيمة الدهر 404/1، والشاعر هو صالح بن مؤنس من شعراء الشام في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وله مقطوعات شعرية ذكرها النّعالي في البيتية.

(2) كشاجم، الديوان، ص21.

وقال السريُّ الرِّقاء يصف حملاً مشوياً⁽¹⁾:

أبيض صافي حمرة الجنين	أنعتهُ معصفرَ البردين
ثم رعى بعدهما شهرين	خلف شهرين على الخلفين
(2) يا حسنةً وهو صريعُ الحينِ	فجسمه شبران في شبرين
بكفَّ شاوٍ عطر الكفينِ	تعرقهُ (3) مرهفةُ الحدينِ
بين ذراعين منفصلين	واقعةً فيه سهامُ العينِ
وطرفٍ مستوقف الطرفين	كسارقٍ حُدَّ من اليدينِ
مذهبةً المقبض والوجهين	يريك مرآةً من اللجينِ
أختين في القَدَّ شبيهتين	شُقَّ حشاهُ عن شقيقتينِ
أو كرتي مسكٍ لطيفتينِ	كما قرنتَ بين كمأتينِ
(4) فإنه زينٌ بغير شينِ	إن شينَ ذو روقينِ
	(5) ناجمين

إنه يتغنى بذلك الحمل الصغير، ويروي لنا قصة حياة فقد رضع شهرين، ورعى شهرين، ولم يعد جسمهُ شبرين في شبرين، في كناية عن صغر سنّه، والحملُ كلما كان أصغر كان أشهى وألذّ، ثم صوّر لنا مشهد ذبحه وفصل لحمه عن عظمه، ثم رسم لنا صورةً طريفة لشكله بعد أن قطع الذابح يديه فكأنه سارق قد حُدَّ من اليدين، وغدا لحمه أبيض كالفضة، ثم صوّر لنا كليتيه كحبتين من الفطُر (الفقع) أو ككرتين من المسك، ولا يعيب ذلك الحمل ما يعيب غيره من بروز القرون، فهذا الحمل ليس له قرون لصغر سنّه.

4- الدجاج: قال كشاجم في وصف دجاجة عملها (حماضية) نسبة إلى الحماض، وهو

لُبُّ الأترج المضاف إلى الدجاج مع اللوز المستحلب وماء الورد⁽⁶⁾:

وذاك أني كنتُ حِلْفَ وَجْدٍ	اسمعُ مقالاً من أخٍ ذي ودٍّ
مليح وجه ورشيق قدّ	بشادنٍ (7) في كل حُسن فردٍ
(8) فزارني الآن بغير وعدٍ	كبدّر تم في قضيب رندٍ
الإعامُ غيرُ مستعدّ	جاء مفاجأة وليس عندي
(9) نبيلةٌ وفخرها بالهند	دجاجةٌ في شبه السّمندِ

(1) السريُّ الرِّقاء، الديوان، ص 267.

(2) الحين: الهلاك، ابن منظور، لسان العرب، 423/3 .

(3) تعرّقه: تفصل لحمه عن عظمه، ابن منظور، لسان العرب، 162/9.

(4) الكم: نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر (الفقع)، ابن منظور، لسان العرب، 153/12.

(5) الروق: القرن من كل ذي قرن، والجمع أرواق، ابن منظور، لسان العرب، 374/5.

(6) كشاجم، الديوان، ص 145.

(7) شادن: ظبية، ابن منظور، لسان العرب، 58/7.

(8) قضيب رند: غصن من ورد الأس الطري، ابن منظور، لسان العرب، 232/5.

(9) السمند: الفرس بالفارسية، حاشية ديوانه 145.

- (1) عَظِيمَةُ الزَّوَرِ بِصَدْرِ نَهْدٍ
مَرَهْفَةً ذَاتَ شَبَابٍ وَحَدٍّ
وَلَمْ تَزَلْ بِالْمَاءِ كَفُّ الْعَبْدِ
وَفَصَلَتْ أَعْضَاؤَهَا عَنْ بُعْدِ
بَلِ طَعْمَةٍ عَنْ طَعْمِهَا ذُو بُعْدِ
صَبَّ عَلَيْهَا اللَّوْزُ مِثْلَ الزَّبْدِ
ثُمَّ أَتَى يَسْعَى بِهَا كَالْمَهْدِيِّ
- (2) أَجْرِيْتُ مِنْهَا فِي مَجَالِ الْعَقْدِ
لِغَيْرِ مَا ذَحَلَ وَغَيْرِ حَقْدِ
تَفَرَّقَ بَيْنَ رِيَشِهَا وَالْجُلْدِ
مَعَ لَبٍّ أَتْرَجَ كُلُّونَ الشَّهْدِ
حَتَّى إِذَا أَنْضَجَهَا بِالْوَقْدِ
وَوَغَلِيَتْ بَعْدُ بِمَاءِ الْوَرْدِ
كَأَنَّهَا قَدْ بُخِّرَتْ بِالْنَدِّ
- (3)

إنها أشبه بقصة!، فالشاعر قد فوجئ بزيارة حبيبة له أشبه بالغزال في رشاقتها وحسن قوامه وملاحة وجهه، فهو ممشوق كغصن الرند جميل كبدر التمام، وقد اشتدَّ به الحرج لأنه ليس في بيته طعام للضيف إلا دجاجة عظيمة كالفرس في أصلاتها وعراقتها، ثم بدأ يصوِّر طريقة تحضير الدجاجة وطهيها فبدأ بوصف السكين المسنونة التي ذبح بها الدجاجة، ثم نتف ريشها، وتنظيفها، وتفصيل أعضائها، ثم أضاف لب الأترج، إليها وقد فضله على العسل في حسن لونه وطعمه، وبعد أن نضجت بالنار أضاف إليها مستحلب اللوز، وغلاها بماء الورد، وهي تفصيلات لا يقف عندها إلا طبّاخ! والشيء من معدنه لا يستغرب، فمهنة كشاجم كانت الطبخ عند سيف الدولة!.

5- وصف الرؤوس: والمقصود رؤوس الغنم والخرفان.

قال كشاجم يصف رؤوساً⁽⁴⁾:

قد عزمنا على مباركة الشر
غيرُ ما راجَ من رفاقِ هنيءٍ
تلك كالماء ذي الحباب وهاتِبـ

بِ وَلَكِنْ مَا عِنْدَنَا مِنْ طَعَامٍ
مَعَ هَامٍ⁽⁵⁾ عَلَى عَدَاةِ الْهَامِ
كَ عَلَيْهِ كَطِيرِ مَاءِ نِيَامٍ

(1) كناية عن الرقبة وهي موضع الذبح.

(2) كناية عن السكين.

(3) النَّد : ضرب، من الطَّيْب، ابن منظور، لسان العرب، 90/14.

(4) كشاجم، الديوان، ص293.

(5) الهام : جمع هامة وهو رأس كل شيء، ابن منظور، لسان العرب، 162/15.

يا لإقبالهنَّ أوَّل ما يق (1) شديدا الضرام

كاناس توسخوا بالمناديـ

يمتطين الحوار (2) أرؤس خرفا ن وينزلن عنه بيض نعام

فكشاجم يريد أن يشرب الخمر وأصحابه، ولكنهم يريدون طعاماً أيضاً، وليس من طعام سوى الرقاق والرؤوس، وقد شبه الخبز الذي ظهرت عليه الفقائيع بالماء الذي تبدو عليه فقاعات، وأما الرؤوس فكالطير النائم، ويستخدم النداء للتعجب والتعظيم (يا لإقبالهن)، ويشبه مشهد الرؤوس المشوية بأناس قد خرجوا من الحمام وهم يرتدون مناديل وسخة، ويبدو اللون الأبيض في نهاية المشهد كبيض النعام.

وقال الشريف العقيلي يصف الرؤوس وأصنافاً من الطعام (3):

ولنا أرؤسٌ نظافٌ ظرافٌ كل رأسٍ منها لذيذُ المذاق
كلما زفها الغلام جلاها في ثيابٍ من الرقاق رقاق
وبقولٍ للقطر طُرزٌ على ما لبسته من سندسٍ الأوراق
ثم يأتيك في السكارج خلٌ حُبُّه ما حييت في القلب باق
وجُبْنٌ كالإحتمال وملحٌ كيباض الحنو والإشفاق
وجميعُ الذي فرغنا بليلٍ منه من صعتر ومن سُمّاق
ولنا قهوةٌ أرقٌ وأصفى من دموع المحبِّ يومِ الفراق
بنتُ كرمٍ تختالُ بين الندامى في ثياب فضيَّة الأطواق

إنها الرؤوس النظيفة في أبهى حلة وقد زينت بالبقول والخل والصعتر والسُمّاق، وقد جعل تحتها رقائق الخبز، ثم ختم الطعام بالشراب وهو الخمر على عادتهم وتقليدهم بعد هذا الطعام الدسم .

وقد جانس الشاعر بين الرقاق وصفتها الرقاق. ولكنه أضفى لون البياض على شيء معنوي غير محسوس وهو الحنو والإشفاق.

وقال ظافر الحداد في صفة الرؤوس المغمومة (الملفوفة بالرقاق) (4):

غدونا للغداء غداة قرٌّ لأكل رؤوس أبناء النعاج
صغار السن وافرّة سمان تريك صفاء ناعمة نضاج
كأغشية مبطنة بقطن مقدّرة على أدراج عاج

(1) الجاحم : النار شديدة التوقد، ابن منظور، لسان العرب، 189/2.

(2) الحوار : الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض، ابن منظور، لسان العرب، 386/3.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص224.

(4) ظافر الحداد، الديوان 75 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 149.

لقد جمعت هذه الرؤوس بين المحاسن كلّها فهي صغيرة سمينة بيضاء ناعمة ناضجة طرية كالقطن زاد في محاسنها أن تؤكل في يوم بارد، وقد صوّرها كقطنٍ ألصق على طبق من العاج.

وقد جانس بين ثلاث كلمات في البيت الأول أعطت للبيت موسيقى خاصة (غدونا للغداء غداة) وقد كنى عن الخرفان بقوله (أبناء النعاج). وقال فيها أيضاً: (1)

ورؤوس جاءت بكل رئيس	قد تناهت في كل معنى نفيس
كل رأس في طيلسان	دقّ عما يحاك في تنيس
في رياض كأنما نشر الرو	م عليها مصبغات عروس
صدرت عن لظى وقابلت الجل	د فأبرق مبتسماً في عبوس
جلّ مقدارها فأصلح ما كا	نت هدايا كسرى إلى بلقيس

لقد جذبت هذه الرؤوس كل رئيسٍ وجيه لما فيها من جاذبية وحسن، وقد لفت بالرقاق من الخبز (ولذلك سميت مغمومة) وشبه تلك الرقاق بالطيلسان الذي يرتديه سادة القوم، ويشير ظافر إلى أنه تناول تلك الرؤوس في حديقة غناء على عادة أهل مصر الذين يخرجون إلى الحدائق والمتنزهات لتناول الطعام، وقد كانت تلك الرؤوس مشويةً من جانب واحد فكأنها مبتسمة من جهة عابسة من جهة أخرى، وقد بدا الرقاق كالغزل الشهير الذي كان يصنع في تنيس.

أما البيت الأخير فقد حوى مغالطة تاريخية واضحة، قال د. حسين نصار في شرح ديوان ظافر الحداد: "وأخشى أن يكون قد اختلط على ظافر، فظنّ أنّ هدايا بلقيس التي ذكرها القرآن الكريم إلى سليمان الحكيم كانت هدايا كسرى ملك الفرس إليها (3)". وقال فيها أيضاً (4):

صغار لها سمن ظاهر	يدل على حذق علافها
حككت قطع القطن مندوفة	إذا فارقت يد ندافها
كأن تماثيل أجسامها	وأفواهها تحت آنافها
خليع الطراير	تفتق ما فوق أطرافها

(5) بيضاً وقد
وهي نفس الصورة التي سلفت من تشبيه لحم الرؤوس بالقطن المندوف، ولكنه شبهها هذه المرة بالطراير، وهي قلنسوة كانت الأعراب تلبسها على الرؤوس، ويبدو أن لون هذه القلنسوة كان أبيض.

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص173.

(2) طيلسان: ضرب من الأكسية السوداء، ابن منظور، لسان العرب، 8/183.

(3) ظافر الحداد، م، ص173.

(4) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 149.

(5) جمع طرطور: وهي قلنسوة للأعراب طويلة الرأس، ابن منظور، لسان العرب، 8/143.

وقال صالح بن مؤنس⁽¹⁾:

قد غدونا على رؤوس سمانٍ
وارماتُ الخدود من غير سوء
تداعى بالوهم من قبل أن تل
ولأصل اللسان طيباً ينسّي
ورقاق ذي نعمةٍ وبياضٍ
وبقول تغنيك عن زهرة الرو
ناعماتٍ من أرؤس الخرفانِ
شحومات العيون والآذانِ
مسها أكفُ أكل ببنانِ
ك من الطيب مصَّ طرف اللسانِ
كوجوه المخدَّرات الحسانِ
ض وتنسيك حضرة البستانِ

إنها رؤوس سمينية مكتنزة شحمة ناضجة يتساقط لحمها قبل أن تلمسها، والشاعر يفضل لذة أكلها على مصِّ لسان المرأة! وفي صورة جميلة شبه الرؤوس وهي ملفوفة بالرقاق كوجوه الحسان اللواتي يلبسن الخدور على رؤوسهنّ. إن الشاعر أراد أن يفضل لذة أكل الرؤوس وعلى كل لذة حتى وإن كانت لذة مغازلة النساء ومعاشرتهن!

ويبدو أن الرؤوس كانت الأكلة الأكثر شعبية في مصر، لأنها تعدُّ من مخلفات الخرفان ومن سقط الذبيحة وهي طعام في متناول الفقراء ومثله بقية ما يبقى ويلقى من أحشائها وفي ذلك يقول رضيُّ الدولة أبو سليمان من بلدة المحلة في قصيدة بعث بها إلى الأمير ابن كازوك⁽²⁾:

فاتركونا معاشيرَ الجندِ واغنوا
والولايات والحمايات والغُر
والمعاصير والسواقي وتسويـ
وارتعوا جزورَ ذي الدولة لها
واشغلونا بما به يشغل الهرْ
بالطَّحال المسدود أو طرف الرِيـ
بدرور الأرزاق كلَّ أوانٍ
م وأخذ الأجعل من كلَّ خانٍ
غ الضِّياع المفرداتِ الحسانِ
مي نداها في أطيب اللّحمانِ
رُ لنفعٍ أو خيفةِ العدوانِ
يَّة أو بالمعلاق والمصرانِ

إنه يرى قادة الجيش وكبار رجال الدولة يستمتعون بنهب ثروات البلاد ويتركون للفقراء الفُتات وما استخدم سقط الذبيحة إلا كناية عن ذلك الفتات الذي يتلّهى به الشعب، تماماً كما يلقي بعض هذا الفتات للهرّ حتى لا يعتدي على الطعام أو يعكّر صفو الأكلة.

(1) الثعالبي، بتيمة الدهر 404/1.

(2) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 50/12.

6- السَّمَك: وقد سجّل شعر وصف الطعام أنواعاً منه وهي: الراي والبلطي والأبرميس، وقد تحدثت عنها وفق كثرة ما قاله الشعراء فيها، كما سيأتي.

أ- سمك الراي: وهو سمك نيلي طيب الطعم لونه أحمر، قال تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي يصفه⁽¹⁾:

كأنّ الراي حين أتى طرياً بأذنان كمحمرّ العقيق
بلّسقيّاً ت⁽²⁾ بلورٍ لطافٍ
بأسفلها بقايا من رحيق

وأول صفات الراي أنه طري، وهو الوصف الذي استخدمه القرآن للسمك، قال تعالى
﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾⁽³⁾ وأما أذنايه فحمراء كالعقيق وهو يبدو كقوارير الزجاج الملساء،
إنه يكشف عن لونٍ وملمسٍ ورائحة، مع أن رائحة السمك ليست رائحة مرغوبة، وربما خانه
التصوير ! فشتان بين الرحيق ورائحة السمك، لكن ربّما قصد رائحته مشويّاً.
وقال الشريف العقيلي يصفه⁽⁴⁾:

عندي جعلتُ فداك من ندمان راي "قريب العهد بالغدران
يُقلى لنا في الوقت حين يجيئنا فيجيئنا كسبائك العقيان⁽⁵⁾
يردّ المقالي وهو أبيضُ ساطعٌ ويعود منها وهو أحمرُ قان
ولحبذا كافورُه سيما إذا ما خلّقتُه حرارة النيران
وانعم بما يأتيك من نسرينه متردياً بشقائق النعمان⁽⁶⁾
فاجعل لروحك راحة في يومنا برواحها للراح والريحان
واعزم على بلوره الرطب الذي يأتيك في غلف من المرجان
فهو راي "تازج، يُقلى ويقدم للأكل كسبائك الذهب في لونه أبيض قبل القلي، أحمر بعده،
ورائحته عطرة كرائحة الكافور والنسرين، ولكنه يرتدي ثوباً أحمر وكأنه قد أخذه من شقائق
النعمان.

(1) تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي، الديوان، ص303.

(2) جمع بلسقيّه وهي الزجاجاة والقارورة، حاشية الديوان 303.

(3) النحل 14/16.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص287.

(5) العقيان : الذهب الخالص، ابن منظور، لسان العرب، 335/9.

(6) النسرين : نوع من الرياحين، ابن منظور، لسان العرب، 122/14.

وقال ظافر الحداد بعد أن استدعاه صاحبه إلى الجيزة وقلّى له سمكاً، فنظم هذه الأبيات ناطقاً بلسان حال الداعي⁽¹⁾:

أيا سيّداً نال أعلى الرُتب	وحازَ الكمال بأوفى سبب
أما لك في الراي رأيّ فإنّ	له صفةً أوجبتُ أن يحبّ
تربّي مع النيل حتى ربا	وصار من الشحم ضخماً خدب ⁽²⁾
ولا حسّ للعظم في جسمه	فليس على الضرس فيه تعب
يذوب كما ذاب شحم الكلى	إذا الجمر قاربه أو قرّب
يروقك نيئاً وفي قلبه	فتبصر من حالتيه العجب
نُصول السكاكين مصقولة	وفي القلي تمويهها بالذهب
كأنّ اللجين ⁽³⁾ الذي قد علا	وذاك النضار ⁽⁴⁾ الذي في الذنب
لفائف قطنٍ لطاف ⁽⁵⁾ وقد	تبدّى بأطرافهنّ اللهب
فيا حسنه وهو بين الشباك	وقد ظلّ مشتبكاً يضطرب
كزرق الأسنة بين الدروع	تميلُ بهنّ العوالي ⁽⁵⁾ السلب
فبادر فنحن بشطّ الخليج	على روضة رقمتها السحب
على حالةٍ نام عنها الهلال	فإن لم تكن حاضراً لم تطب

إنّه يغري صاحبه بسمك الراي السمين الضخم الذي لا يظهر عظمه لوفرة لحمه، وهو طريّ ناعم كالقطن وهو يبدو كالفضة نيئاً والذهب مشويّاً. وأما الحركة فتظهر في صورة الراي وهو يضطرب داخل الشباك كالسيوف بين الدروع والرماح، ويختتم بدعوة صديقه للانضمام إلى الأكل في روضة غنّاء زينتها السحب الظليلة، وغاب عنها الهلال.

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص6.

(2) خدب: ضخ، عظيم، ابن منظور، لسان العرب، 32/4.

(3) اللجين: الفضة، ابن منظور، لسان العرب، 243/12.

(4) النضار: الذهب، ابن منظور، لسان العرب، 179/14.

(5) العوالي: الرماح، ابن منظور، لسان العرب، 380/9.

وقال أبو العباس الكحلّ يستدعي صديقاً له لأكل الراي⁽¹⁾:

لا تتأخر لغدٍ مالا ولا سبداً (2) فليس يعلمُ خلقٌ هل يعيشُ غداً
خذُ منَ زمانِكَ ما جادَ الزمانُ به فليس يرجعُ وقتٌ فانتُ أبدأ
وعندَ عبدِكَ شيءٌ إن نشطتَ له وجئتَ زادتَ أياديكَ الجسامُ يداً
رايَ طريٍّ كبيرٍ القَدَّ تحسبُهُ في لونه فضةٌ بيضاءُ أو برداً
كأنَّ كفاً عليه زُرَّرتُ قطعاً من اللجين صغارَ النظمِ أو زرداً
كأنَّ قاليه قدَّ بالقلي ألبسه من الشقائق أثواباً له جدداً
كأنَّه في سكيرِ القلي منقلباً صبَّ "تقلُّبُهُ كَفَّ الهوى كمداً
كأنَّ ياقوتةً حمراءَ هلَّها صواغها ذهباً بالحسن متحداً
كأنه كان في نهر الحياة فما يكاد يُسلمُ منه روحه الجسداً
فلا تضيّعُ سروراً جاء عن كذبٍ عجزاً فتكتسب التوبيخ والفندا

لقد افتتح خمسة أبيات من عشرة بقوله "كأن" فيما يدل على غنى المقطوعة بالصور الفنية والتشبيهات، ولكنها صور مكررة لما عند الشعراء، وقد أصبحت من المعاني العامة والتشبيهات المتفق عليها، فبياض السمك فضة ولونه مقلباً ذهباً، ناهيك عن تشبيهه بالشقائق في حرته وبالأحجار الكريمة كالذهب والياقوت، ولكن الجديد أنه بدأ قصيدته وصف الطعام بحكمتين جليلتين .

وقال سليمان بن حسان النصيبي يصف الراي المقلي⁽³⁾:

ما رأينا مثل هذا الراي حسناً ما رأينا

صار تبراً بعد أن كان عقيقاً ولجئنا

وهو يعود الى تشبيه السمك بالصورة نفسها التي سبقه إليها الكحال وغيره، من تشبيه السمك بالعقيق والفضة قبل القلي، وبالذهب بعد القلي.

وقال ابن وكيع⁽⁴⁾:

بدا لنا الراي الذي تلتذ عيني منظره
في قمص فضية أذيالها معصرة
عوضه القالي بها غلائلاً مزعفرة
وافى بها فما رأته له العين حتى لم يره

(1) الثعالبي، بتيمة الدهر 434/1 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 151 وأبو العباس الكحلّ هو : من شعراء الشام في القرنين الرابع والخامس الهجري، ذكره الثعالبي في بتيمة الدهر، ص 428 .

(2) السيد : المال قل أو كثر، ابن منظور، لسان العرب، 148/6.

(3) الثعالبي، م.ن، وهو سليمان بن حسان النصيبي، من شعراء الشام ومصر، الثعالبي، بتيمة الدهر 437/1.

(4) ابن وكيع، الديوان، ص 313.

لقد ظهر الرأي قبل قليه أبيض كالفضة وأذياه صفراء، لكن لونه أصبح أصفر بلون الزعفران، وقد انهال عليه الأكلة حتى لم يره الشاعر إلا لحظة عين.

ب- السمك البلطي: وهو نوع آخر من السمك، أبيض اللون، مصدره النيل أيضاً. وقال الشريف العقيلي في وصف السمك البلطي⁽¹⁾:

لنا من بنات الماء بيض " ألدُّ منْ	هلاكَ عدو أو نِجاة صديق
إذا هي رقت في غلائل فضة	جلَّتْها المقالي في ثياب عقيق
وبلطية قد سكبجت ⁽²⁾ فإهابها	كحلَّة وشي ضمخت بخلق ⁽³⁾
وساقية تسعى براح حبابها	كطوق أقاح في قميص شقيق
وشعري رسولي فاقض حقَّ عنائه	فإنك تقضي حقه وحقوقه

وهو يكنى عن السمك بـ " بنات الماء " والصورة مكررة فالسمك فضة قبل القلي وذهب بعده، ولكن طريقة تحضير البلطي تختلف عن الرأي، فهذه السمكة قد (سكبجت) أي نُقعت بمرق الخل قبل قليها مما أضفى عليها حلةً مزينة هي في رائحتها الزكية كرائحة الخلق وهو طيب من الزعفران تغلب عليه الصفرة والحمرة، فالخلق شابه في لونه ورائحته السمك البلطي المقلي.

ج- سمك الأبرميس: وهو سمك نيلي يعرف باسم (الرغاش والبنّي).

وقال أيضاً في وصف سمك الأبرميس⁽⁴⁾:

أما ترى الأبرميس مضطرباً	كأنه قلبُ عاشق رجف
لما رأته المياه مرتعداً	فيها كسنته جواشن ⁽⁵⁾ الصدف
فظلَّ من لذة السرور بها	يفتح منه مواضع الشنف ⁽⁶⁾

وهذا السمك من طبعه كثرة الارتعاش والارتجاف حتى سمّاه أهل مصر اليوم (بالرغاش) وقد شبهه بقلب العاشق لكثرة ارتجافه، والشاعر يعلل وجود الصدف على جسم

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص215.

(2) سكبجت : من السكاج وهو مرق الخل، والكلمة مركبة من (سك) أي خلّ و (باج) أي طعام وهي فارسية معربة، حاشية الديوان 215.

(3) الخلق : طيب، معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وهو من طيب النساء، ابن منظور، لسان العرب، 4/197.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص204.

(5) الجواشن : جمع جوشن : الدرع وهو زرد يلبسه المحارب على صدره، ابن منظور، لسان العرب، 2/291.

(6) الشنف : (يفتح النون) الشفه العليا وتسمى (الشنفاء) ، أما بتسكين النون فهي أعلى الأذن، ابن منظور، لسان العرب، 7/214.

هذا السمك تعليلاً طريفاً، فالمياه عندما رأته مرتعداً مرتجفاً كسته بالأصداف التي هي أشبه بالدروع لتقيه من البرد فظل مسروراً يحرك شفاهه وهي حركة دائمة عند هذا النوع من السمك أجاد الشاعر في تصويرها مستخدماً حسن التعليل.

7- العُجَّةُ والبيض: العجة: طعام يتخذ من البيض.

قال ابن القَطَّاع الصقلي في البيض⁽¹⁾:

اسمع عن البيض وصف مضطلع
بناقد التبر غُشِيَتْ ورقاً
بالوصف ماضي الجنانِ نحيرِ⁽²⁾
أو مشمش“ في صحاف كافور

فالبيض قد أخذ لونه من لون التبر (الذهب)، ولونه قريبٌ من لون المشمش في آنية من الكافور وقد أصاب الشاعر في التصوير لأن الكافور نبات له نورٌ أبيض كنور الأقحوان⁽³⁾ طيب الرائحة.

وقال أيضاً في وصف عجة⁽⁴⁾:

أبا الحسن استمع قلبي وبادرُ
فعندي عجةٌ تزهى بلونِ
إجادتُ في صناعتها عجوزُ
فلم أرَ قبل رؤيتها عجوزاً
إلى ما تشتهي تفديك نفسي
كلون البدر في عشر وخمسِ
لها في القلي حسٌ “أيُّ حسٍ
تصوغ من الكواكب عين شمسِ

إنها دعوة إلى تناول عجة، ركز في تصويرها على اللون فهي بيضاء كلون البدر، صنعتها عجوز“ حاذقة خبيرة، وهو يصور صناعتها للعجة من البيض بصورة من يصنع من الكواكب لوناً أصفر كلون عين الشمس، لكنه أضطر إلى تقسيم ليالي البدر إلى عشرٍ وخمسٍ حتى يستقيم ذلك مع القافية.

وقال عرقلة الدمشقي في مقليّ بيض⁽⁵⁾:

أأحداق بيضٍ أم حديقة نرجسٍ
شربنا على التبري كاساً كلونه
أتت بين مصفرِّ إلينا ومبيضٍ
وأخرى على الفضّي من ذلك الفضّي

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص156.

(2) النحرير هو الحاذق الماهر المجرب العاقل، ابن منظور، لسان العرب، 69/14.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 123/12.

(4) ابن ظافر، م، ن، 156.

(5) العماد الكاتب، خريدة القصر: قسم شعراء الشام 212/1.

لقد شبه صفار البيض بحدق العيون، وجانس بين (أحداق وحديقة) جناساً أكسب المعنى طرافة وجمالاً، وركز على إبراز صورة اللون الأبيض والأصفر، ثم اتبع أكله للبيض بكأسين من الخمر أحدهما ذهبي كلون الصفار وآخر فضي كلون بياض البيض، وهذا من تقليد الشراب بعد الطعام، وهو من تقليد المائدة كما ظهر من هذه الدراسة.

8- الملوخية: وهي نبات مشهور في مصر وبلاد الشام، يقطف ورقه ويقطع ويطبخ مع اللحم أو الدجاج.

قال ظافر الحداد يستدعي صديقاً له لأكل الملوخية (1):

أيا سيدي وأخي لا تغب	فعندي لك اليوم ما يستحب
ملوخية“ سبقت وقتها	وجاءت كهينة خضر الزغب
وقد نقيت قبل تقطيفها	بكفي لبيب خبير درب
وقد غادرتها حدود المدى	كما غادر الصبر قلب المحب
وقد أحكمت بفراخ الحمام	ودهن الدجاج وصغر الكبب (2)
إلى أن تحرر تركيبها	كما حرر الصيرفي الذهب
وكمّلها النضج حتى هدت	فليس لعيب إليها سبب
فبادر إلينا فكل إلى	قدومك ملتفت مرتقب
وما قصدنا بك إلا الجمال	لأنك روضة أهل الأدب

إنها ملوخية ناعمة جاءت قبل أوانها مما زاد في نفاستها أنها نقيت جيداً وطبخت مع الفراخ والدهن واللحم المقطع المكبب.

والقصيدة ليس فيها تصوير فني إلا في صورتين صورة الملوخية الناعمة كريش الطائر، والتشبيه الآخر خلوها من الشوائب كما يخلو الذهب إذا صهره الصيرفي ونقاه.

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص61.

(2) الكبب : قطع اللحم الصغيرة المقلية، ابن منظور، لسان العرب، 9/12.

ج- وصف الحلويات: شاعت صناعة الحلويات، وكثر تناولها في أعياد الفاطميين الكثيرة، ولذلك فقد أكثر الشعراء من وصف أنواع عديدة منها، ومن خلال تتبعي لوصف الحلويات فيما وقع بين يدي من مصادر تمكنت من العثور على أربعة أنواع من الحلويات وصفها الشعراء، وقد تحدثت عنها وفق ترتيب حروفها الألفبائية، كالآتي، وهي:

1 -البسندود: وهو ضربٌ من الحلوى يصنع من الدقيق، ويُقلى فيصير هشاً، وهو

مستدير الشكل قال ابن قلاقس من قطعة يصف فيها هدية عيد الفطر ويمدح⁽¹⁾:

كأنَّ بسندوده درق⁽²⁾ قربت لتمنع يوم مقتحمك⁽³⁾
والخشكنانك⁽⁴⁾ كالأسنة قد ثنيت بطعنك ظهر منهزمك⁽⁵⁾
وكأنما الحلواء قد عقدت من ذلك المعقود من شيمك⁽⁶⁾

هنا جاء الوصف في سياق المدح لذلك شبه تلك حلواء البسندود بالترس الذي أعدَّ ليمنع اقتحام الممدوح، أما الخشكنانج وهو حلوى تصنع على شكل هلال فقد شبهها بالرمح الذي ثني من كثرة طعن الممدوح في ظهر أعدائه، أما معقود الحلواء فهو كتلك الصفات التي عقدت صفاته ومناقبه، فأما الصورتان الأوليان فتشبيه مألوف بسيط، لكن العجيب هو تشبيه معقود الحلواء المحسوس بمعقود الصفات، والصفات لا تعقد، وما وجه الشبه بين معقود الحلواء وصفات الممدوح؟! إنه ظهور الصفات الدائم عليه، حتى إنها لا تفارقه، فلا يرى في حالٍ إلا من خلالها.

2- الخشكنانج: وهي حلوى تصنع على شكل هلال، من الطحين والسكر والسمن

واللوز كما يظهر في وصف كشاجم إذ يقول⁽⁴⁾:

من لذاك الطبرزد⁽⁵⁾ ولذاك اللوز النقي الأنيق⁽⁶⁾
ودقيق السميز يعجن بالما ورد علّ بمسكه المسحوق⁽⁷⁾
ضمّ أجزاءه وألف أجسا ما حوت كل مطعم⁽⁸⁾ موموق⁽⁹⁾
ثم صفوه كالأهله لاحت لمواقيتها حيال الشروق⁽¹⁰⁾
ما رأينا كخشكنانجك المو صوف رعيّاً لحقه في الحقوق⁽¹¹⁾
غبت عنه فغاب عني نصيبي أنت عندي بذاك غير خلق⁽¹²⁾

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص 156 .

(2) الدرق : ترس، من جلود، واحده درقة، ابن منظور، لسان العرب، 333/4.

(3) الأسنة: جمع سنان وهو الرمح، ابن منظور، لسان العرب، 398/6.

(4) كشاجم، الديوان 238.

(5) الطبرزد: السكر (فارسي معرب، ابن منظور، لسان العرب، 118/8.

(6) موموق: محبوب، ابن منظور، لسان العرب، 409/15.

الوصف هنا وصف طبّاخٍ ولا شك، أو على الأقل شاعر "جالس في المطبخ، لأنه وصف موادّ الخشكناج وطريقة التحضير، وما انتهت إليه أشكال تلك الحلوى حيث شبهها بالأهلة وهي صورة **دأب** الشعراء على تشبيه الخشكناج بها أو العكس إذ يشبهون الهلال بالخشكناج كما قال عرقلة الكلبى في وصفه للهلال والبدر⁽¹⁾:

أما ترى البدر في السماء وقد
حاول من بعد تمّة نقصه
بيننا تراه كخشكناكة
حتى تراه كأنه قرصه
فالهلال كأنه خشكناكة "لأنه يصنع كالقوس، ثم لا يلبث أن يصبح مستديراً كالقرصة⁽²⁾ عندما يصبح بدرًا .

3- القطائف: وهي عجين من السميز والماء يصب على شكل دوائر، ثم يحشى بالجوز أو الجبن، ويشوى أو يقلى، ثم يغمس بالقطر أو بماء الورد، وقد أكثر الشعراء من وصفها وتفننوا في تشبيهاتها، فالقطائف حلوى عريقة "عرفها العرب والمسلمون قديماً متجذرة في التراث الشعري العربي منذ أوائل العصر العباسي، وقد زاد وصفها في العصر الفاطمي وما بعده من العصور، وأهم الشعراء الذين وصفوها هم:

1- كشاجم: قال⁽³⁾:

عندي لأضيافي إذا اشتدَّ السَّغْبُ⁽⁴⁾ قطائفٌ مثلُ قراطيسِ الكتبِ
كأنه إذا تبدّى عن كتبٍ ⁽⁵⁾كوائِرُ النحلِ بياضاً وثَقَبُ
قد مجّ دهن اللوز مما قد شربُ وابتل مما عام فيه ورسبُ
وجاء ماءُ الوردُ فيه وذهبُ وغاب في السكرَ حيناً واحتجبُ
فهو عليه ⁽⁶⁾حَبَبُ "فوق حببُ إذا رآه واله القلب طربُ
أطربُ منه إذ رآه يُنتَهَبُ كل امرئٍ لذتُه فيما يحبُ

لقد شبه القطائف الملفوفة بقرطيس الكتب، ثم شبهها بأقراص العسل في طعمها، ثم بادر إلى وصف القطر الذي خلط بدهن اللوز وماء الورد فبدت فقاقيعه بعضها فوق بعض ، في صورة تبعث على الطرب والتشهي، وختم أبياته بالحكمة (كل امرئٍ لذتُه فيما يحب).

2- ابن قسيم الحموي: قال⁽⁷⁾:

(1) العماد الكاتب، خريدة القصر / قسم شعراء الشام 211/9.
(2) القرصة : حلوى من العجين والسكر والنشأ وهي مستديرة الشكل، ابن منظور، لسان العرب، 110/11.
(3) كشاجم، الديوان، ص26.
(4) السَّغْبُ: الجوع، ابن منظور، لسان العرب، 274/6.
(5) كوائِرُ النحل : عسل النحل في شمع، ابن منظور، لسان العرب، 186/12.
(6) الحَبَبُ: فقاقيع تظهر على سطح الماء ونحوه، ابن منظور، لسان العرب، 11/3.
(7) العماد الكاتب، خريدة القصر / قسم شعراء الشام 469/9.

ومجدّر عذبتُ مراشفُ ثغره
مترقّق ماءُ الجمال بوجهه
يبدو فتمحقه الأكفُ تناولاً
قسماً به وبما تجنّ ضلوعه
ما كنتُ قبلُ نذاك ألمحُ شخصه
فغدوتُ ألثماً ولستُ بآثم
أندى وأكرمُ راحةً من حاتم
وهو الحبيبُ إلى نفوس العالم
ياخير من جذبتُ إليه عزائمي
إلا بأعيادٍ لنا ومواسم

لقد حوّل ابن قسيم لذة تناول القطائف في تشبيهه إلى لذة من نوع آخر هي لذة تقبيل الحبيب وشبه الندب التي تبدو على القطائف بالجدرى الذي يظهر على الجلد، ولا أظنه قد أصاب في هذا التشبيه، لكنه أصاب في تشبيه طعم حلاوة القطائف بمراشف الحبيب التي لثمها دون إثم أو حرج، وشبه ماء القطر الحلو بماء الجمال في وجه الحبيب. وهي محبةٌ إلى نفس العالم بدقائق صنعها، ووصل به الحدُّ إلى أن يقسم بها وبما احتوته من الجبن ودهن اللوز وماء الورد أنه لم يكن يتناولها إلا في المواسم والأعياد قبل أن يتفضل مطعمه بتقديمها له.

3- ابن رفاعَة المصري: قال في القطائف المقلية⁽¹⁾:

أهلاً بشهرٍ غدا فيه لنا خلفٌ
من كلِّ ملفوفةٍ بيض إلى آخر
كأنها حرّوزٌ⁽²⁾ ذاتُ أغشيةٍ
أكلُ القطائفِ عن شربِ ابنةِ العنبِ
حمرٍ من القلي تشفي جنةَ السَّغبِ
من فضةٍ وتعاويزُ من الذهبِ

استبدل شاعرنا القطائف بشرب الخمر عندما حلَّ عليه رمضان وشبهها بالتعاويز التي يصنعها العرافون مثلثة الشكل كالقطائف، وقد قارب في تشبيهه من حيث الشكل، ولكنه جعلها تعاويز من الذهب ليقارب في اللون.

4- ابن قلاقس: قال يصف القطائف المحشوة⁽³⁾:

أحسنُ من وصفِ ديار الطائفِ
ومن كئيبٍ للطيورِ عائفِ
كأنها في عين كلِّ واصفٍ
وحشيت حشو خبير عارف
أحلى من الأمان عند الخائفِ
كلُّ على السؤددِ جدُّ عاكفِ
ومنْ خليطٍ سارٍ⁽⁴⁾ في متالفٍ
مرآى بديع هذه القطائفِ
قد صوّرت من أبيض المناشفِ
وجادها عارضُ حلوٍ واكفِ
قد قدّمتُ لسادةٍ غطارفِ⁽⁵⁾
قل لأبي العباس ذي المعارفِ

(1) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعر مصر 62/2، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن حسن بن رفاعَة المعروف بابن رفاعَة المصري، كاتب الأمير ناصر الدولة توفي سنة 593هـ، العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 62/11.

(2) الحرّوز: جمع حرز وهي التعاويز التي يصنعها العرافون، ابن منظور، لسان العرب، 121/3.

(3) الصفدي، الكشف والتنبيه 393 والعماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 65/10.

(4) الخليط: القوم الذين أمرهم واحد، ابن منظور، لسان العرب، 177/4.

(5) الغطارف: جمع غطريف وهو السيد، ابن منظور، لسان العرب، 87/10.

قد جئتُ بالنعماء في ترادف
لولاك يا محيي فؤادي التالف

وجُدتُ في القادم مثل السالفِ
ضيّعتُ فيها تالدي وطارفِي

إنَّ وصف القطائف في رأي ابن قلاؤس أفضل من وصف الديار ووصف الرحلة وغيرها مما اعتاد عليه الشعراء، وقد غلب عليها لونها الأبيض، وحُشيتُ حشواً جيداً، ثم صور القطر الذي أهريق عليها كالمطر، وقد فضل لذة أكلها الحسية على اللذائذ المعنوية كلّذة الأمن للخائف، ومما زادها حسناً أنها قدمت لسادة تليق بهم ويليقون بها، ويشكر تلك النعمة لمن قدّمها له، وهو على استعداد أن يضيّع في هذه القطائف كلّ ماله.

5- ظافر الحداد:

قال يصفُ جام⁽¹⁾ قطائف مغرّقة في جُلابٍ وفستق غير محشوة⁽²⁾:

جام“ حوى في الظرفِ كلَّ بابٍ	مستملحٍ منه ومستطابٍ
فالحسنُ فيه واضحُ الأسبابِ	منقطعُ الأشكالِ والأضرابِ
يعجزُ في الوصفِ ذوي الألبابِ	مع التغالي منه والإطنابِ
له غشاء“ صيغَ من إهابٍ	حرّ بالأيدي وبالألبابِ
حتى أتى في غايةِ الصوابِ	ليس بذِي ميلٍ ولا اضطرابِ
مزعفر“ محببِ الجلابِ	كظاهر النارنج والعنّابِ
أو مثلُ دينارٍ كرا ضرباً	ثمَّ يعرَى منه باستلابِ
مثلُ حسامٍ سلَّ من قِرابِ	أو بدرٍ تمَّ لاح في ثعابِ
كأنما صورَّ من شرابِ	صفَّ على ساحاتِهِ الرّحابِ
قطائف“ لطائفُ“ روابِ	لم تحشَ بل صُفّتْ على أصحابِ
في المسكُ والفستق والجُلابِ	كأنها ألسنة الأحابِ
في الشكلِ والنكهةِ والرّضابِ	لملمسها كوجنة الكعابِ
وطعمها كلّذة العتابِ	من بعد صدّ طال واجتنابِ
تنزلُ في الحلق بلا حجابِ	فهي طعام“ وهي كالشرابِ
فالنابُ عنها الدهرُ غيرُ نابِ	والقلبُ في حرصٍ وفي طلابِ

(1) جام : وعاء“ من الفضة، ابن منظور، لسان العرب، 427/2.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص9.

(3) الثعاب : مسایل الماء، ابن منظور، لسان العرب، 98/2.

(4) رواب : ضخمة، ابن منظور، لسان العرب، 127/5.

(5) الجُلاب : ماء الورد، وهو فارسيّ معرب، ابن منظور، لسان العرب، 317/2.

(6) ناب : نافر، مرتفع، ابن منظور، لسان العرب، 30/14.

واليدُ بين السَّيرِ والإيابِ
 كأنها زيارةُ الإغبابِ
 (1) والعمر في الصحة والشبابِ
 في نقلها للضمِّ كالدولابِ

مع أن الحداد يقول أن ذوي الألباب يعجزون عن وصف ذلك الجام، إلا أنه يبدأ بوصف محاسنه، فغشاوته كالجلد في طراوته وحسنه دون أي عيب، ولونه أصفرُ كلون الزعفران والنارنج والعناب، ذهبي كدينار الذهب، أو كالسيف اللامع، أو بدرٍ ظهر على صفحة ماء، وكل هذه الأوصاف لتشويق السامع حتى يصل في البيت العاشر إلى الإفصاح عن ذلك المشبه وهو القطائف المصفوفة دون حشو الغارقة في الفستق وماء الورد. وبعد أن وصف شكلها وملمسها ونكهتها شابه بين لذة مذاقها ولذة ملمس خد الفتاة الكاعب، فهي طرية في المأكَل، غضة لذيذة المذاق، تسرعُ اليد في تناولها كسرعة الدولاب، وهو لا يأكلها كل يوم بل يغبُّ في تناولها بين الحين والآخر حتى لا يملّها.

4- الكُفافة: وهي عجين من السميز يبسط على صوان مستديرة، وفوقه طبقة من

الجبن، ويرشُّ بالقطر بعد أن يشوى على النار.

قال ظافر الحداد يصف صنع الكُفافة⁽²⁾:

وحاذق محكم كُفافته	لا تشبع العينُ منه بالنظرِ
كأنما بسطه العجين على	أكرّاه ⁽³⁾ لما حفت بمستعرِ
ينسج غيماً من السحابِ على	وامض برقٍ يكتنُّ بالمطرِ
كأنه يفتح الفواقع دا	راتٍ على راكدٍ من الغُدرِ
فهي كمثّلِ الشرابِ يعدم من	ها اللمسُ وهما يلوحُ للبصرِ

إنّه صانع كُفافة حاذق، وأحذقُ منه الشاعر الذي وصفه، إذ صوّر بسط العجين على الصواني المستديرة فوق النار المستعرة، وكأنه ينسج الغيم على البرق اللامع، واستدارة صوانيه كاستدارة غدير راكد ألقى فيه بحجر، وهي مثل الوهم الذي لا يستطيع أحد لمسّه.

(1) الإغياب: الزيارة القصيرة، ابن منظور، لسان العرب، 6/10.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص132.

(3) أكرّاه: جمع أكره، وهي الحفرة التي يجتمع فيها الماء، وهي هنا الصينية التي تبسط عليها الكُفافة، ابن منظور، لسان العرب، 169/1.

د- وصف الشراب ما خلا الخمر

تحتل الخمر مكانة بارزة في شعر وصف الشراب، ولها القدح المعلن في الوصف، ولكنني سأستثنيها من دراستي لسببين: الأول: أن ذلك يحتاج إلى بحث خاص، وقد سبق التطرق إليها عند باحثين كثر في ما سمي بغرض الخمریات. وأما الثاني فلأن البحث قد حفل بوصف الطيبات التي نربأ بها عن وصف " أم الخبائث " فالحق تبارك وتعالى يقول : ♥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ♦ (1)، وقد استبدلنا بالخمير وصف الشراب الأكثر شعبية وشهرة في مصر والشام وهو شراب " الفقاع " وهو يشبه إلى حد ما شراب " البيرة " في عصرنا هذا، إلا أنه يخلو من الكحول، فهو شراب شعير يعلوه زبد كثيف، وربما اتخذ من مواد أخرى.

قال الغزولي: "الْفَقَّاعُ يتخذ من أصناف الحلوات، يتخذ من السكر الأبيض النقي بأن يحلّى ماء الشعير بماء الورد، ويطيب بالمسك ويوعى (يوضع في وعاء) ويبرد بالتلج ويستعمل ويتخذ بعضه من العسل وماء الزبيب الحلو السمين، وبعضهم يتخذه من الدبس (العسل الأسود). ومن الناس من يطيّبه بالزنجبيل أو القرنفل، ومنهم من يحلّ شراب التفاح ويصبه في كيزان الفقاع، وجميع أنواع الفقاع شربها النافع يكون قبل الطعام ويصبر عليه حتى ينحدر، فأما بعد الطعام فلا فائدة فيه، غير تجشّوات يسيرة يلتذ الإنسان بخروجها، وأهل دمشق يأخذون الفقاع الحرجي ويسمونه "المسذب" لأنه يعمل في كيزان محشوة بالسذاب (2) البري ويعصرون عليه ليمونا أخضر" (3).

وقد كان الناس يلجؤون إلى شربه تخرجاً من شرب الخمر التي كان يحذّر شاربها، ولذلك نجد أحد الشعراء يقول في الفقاع (4):

قُمْ بِنَا إِنَّا قَصَدْنَا الْإِجْتِمَاعُ	لامدام "وحضرة" وسماع
ليس من شأننا التقيّد بالشر	ب فإن زال زالت الأطماع
إن يكن صدّنا عن الراح ذو الأم	ر وذو الأمر في الأمور مطاع
إن يكن حرّم المدام علينا	فلدينا الحشيش والفقاع

(1) البقرة 172/2.

(2) السذاب : ورقة نبات حرجي طيب الرائحة يلقى في شراب الفقاع فيزيده نكهة، ابن ظافر، غرائب التنبيهات 159 .

(3) الغزولي ، مطالع البدور في منازل السرور 89/2.

(4) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 157.

فالشاعر يرى في الفقاع والحشيش ملجأ من شرب الخمر والوقوع تحت طائلة السلطان ذي الأمر ولم يكن قد صدرت الفتوى بتحريم الحشيش التي حرّمت فيما بعد. وقد أكثر الشعراء من وصفه ووصف كيزانه (جمع كوز) التي كان يحفظ فيها بارداً قال ظافر الحداد⁽¹⁾:

عندنا كيزان فقّا	ع له خبرٌ ومنظرٌ
من رآنا تورّد الأيّـ	دي إليه ثم تصدرُ
ظنّ في أنملنا للـ	لثم تفّاحات عنبرُ

وكثرة ورود الأيدي إلى كيزان الفقّاع كناية عن لذته وشدة الإقبال، ومن رأى ذلك المنظر حسب لون أصابعهم تفاحات عنبر لأنها تلطخت بلون الفقاع الذي يشبه لون العنبر. وقال كشاجم في وصف كيزان الفقّاع⁽²⁾:

مُلمّلاتُ الجسم من صيخودٍ	(3) مقنّعات قطع الجلود
مزرّرات بخيوط سودٍ	كأنما المرء من الوعيد

قد وضع اللّمة⁽⁴⁾ للسّجود
ويبدو من الوصف حرص صانعي الفقّاع على بقائه بارداً، وكذلك فهم يغطّون الكيزان بالجلود وشبه كوز الفقاع الملبّس بالجلد والمغطى بغطاءٍ يحفظ برودته برجل غزير الشعر، نحى شعره جانباً للسجود خوفاً من النار. وقال ظافر الحداد في وصف فقّاعي⁽⁵⁾:

وإلى بفقّاع له	يُحيي بنكهته المّهجُ
شيخ مضت من عمره	في ذلك المعنى حججُ
مزجت يداؤه الطيب في	هـ فكان أظرف من مزج
وحشا قلوب سذابه	منه بكل فم خرج
فكأنه يحشو به	قطع الزمرّد في السبج

والشاعر يُشيد بخبرة صانع الفقاع الذي يصنعه بنكهة تحيي القلوب، وقد مضى على امتهانه لهذه الصنعة سنوات طويلة زادت خبرته فزادت فقّاعه لذة، والقطعة تشير إلى الفقّاع الشامي أو (المسذب) الذي يحشى بورق السذاب ذي النكهة الطيبة.

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص153.

(2) كشاجم، الديوان، ص104.

(3) الصيخود: الهاجرة المثقفة، ابن منظور، لسان العرب، 295/7.

(4) اللّمة : شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة يجاوز شحمة الأذن، ابن منظور، لسان العرب، 333/12.

(5) ظافر الحداد، م، ن، 75.

(6) الخرج : الذي لون بياضه أقل من سواده، ابن منظور، لسان العرب، 55/4.

هـ- وصف مجالس الطعام: وهي لا تحوي صنفاً واحداً من الطعام يمكن تصنيفه ضمن الأطعمة فهي حافلة بشتى المسميات من الطعام في ذلك العصر، وقد استعرض الشعراء في هذه المقطوعات مهارتهم في حشد أكبر عددٍ من الأسماء وتصويرها تصويراً شهيماً، وقد جاء معظم وصفهم في سياق دعوة الأصحاب إلى موائد الطعام، وممن وصف المائدة من الشعراء:.

1- كشاجم حيث قال يصف جفنة الطعام في مزدوجة⁽¹⁾:

وَمِنْ فَرَارِيحِ بَمَاءِ الْحَصْرِ	تَصْلُحُ لِلْمَحْمُومِ أَوْ لِلْمَحْتَمِي
قَدْ سُوِّيتَ أَكْبَادُهَا بَبِيضٍ	وهي كمثل نرجس في روضٍ
وَجَاءَنَا فِيهَا بَبِيضٌ أَحْمَرٌ	كأنه العقيقُ ما لَمْ يُقْشَرُ
حَتَّى إِذَا أَتَى بِهِ مَقْشَرًا	أَبْرَزَ مِنْ تَحْتَ الْعَقِيقِ الدَّرَارَ
كَأَنَّهُ إِذْ حَازَ أَصْنَافَ الْمَلْحِ	أَعَارَهُ تَلَوْنُهُ قَوْسَ قَزَحٍ
وَجَاءَنَا بِرَاضِعٍ لَمْ يَعْتَلِفْ	كَأَنْ قَطْنَا فَوْقَ جَنْبِيهِ نَدْفَ
وَجَاءَنَا فِيهَا بِبَاذَنْجَانٍ	مِثْلَ قَدُودٍ أَكْرَ الْمِيدَانِ
قَدْ قَارَبَ الْهَلْيُونُ	تَقَارِبَ الْكَرَاتِ بِالصَّوَالِجَةِ

(2) بالمازجة

في هذه المقطوعة حشد كشاجم مسميات أطعمة كثيرة، ولكنه لم يغفل عند ذكر كل لون من ألوان هذه الأطعمة أن يأتي بتشبيهه مقابل، فالبيض كالنرجس، وما صبغ منه بالأحمر كان كالعقيق، ولعله في هذا الوصف قصد عيداً كان يلون فيه البيض، فقد تلون البيض بكل لون حتى غدا كقوس قزح في ألوانه، ثم جاءهم كحمل صغير رضيع لحمه كالقطن في نضجه، ثم باذنجان مدور كالكرات التي يلعب فيها الرياضيون بالصولجان ثم تبعه بالهليون وهو (البنجر) الذي يشبه الكرات أيضاً.

وقال كشاجم يصف جونة طعام، ويدعو صديقاً⁽³⁾:

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص154.

(2) الهليون : نبات تؤكل جذوره وهي حمراء ، وهو ما يسمى اليوم بالبنجر، ابن ظافر، غرائب التنبيهات 154.

(3) كشاجم، الديوان، ص306.

(1)	فقد كللت الجونة	متى تتشط للأكل
	لنا أحسن تزيينه	وقد زينها الطاهي
	ث في الروض أفانينه	كما زين صوب الغيب
	ب ما يؤكل مشحونه	فجاءت وهي من أطي
	أردنا لك تحسینه	فمن جدي شهى قد
(2)	نع البقل وطرخونه	فنضرننا عليه نع
	أجدنا لك تسمينه	وفرخ وافرو الزور
	أجدنا لك تطجينه	وطيهوج ⁽³⁾ وفروج ⁽³⁾
(5)	ة في إثر طروينه	وسبوجة ⁽⁴⁾ مقلو ⁽⁴⁾
	إلى جانب زيتونه	وحمرء من البيض
	ر في الأسفاط مكنونه	وطلع كنظام الدر
	ر بالعنبر معجونه	برغف ككسور در
	به الأوساط مقرونة	وحريف من الجبن
	به نفسك مفتونه	وباذنجان داراني
	ك تستعذب هليونه	وهليون وعهدي بـ
	وفي السكر مدفونه	ولوزينجة ⁽⁶⁾ في الدهن
	ة مطبوخ وقنينه	وعندي لك دستيج
(7)	ف منه عطفة النونه	وساق وعدت بالقط
	وفي ألفاظه لينه	له شدة ألحاظ
	لحونا غير ملحونه	وقمري يغنينا
	نأى عن دار محزونه	ألا يأتي لمحزون
	ترى من سكر طينه	فما عذرك في أن لا
لم يبق كشاجم من أنواع الطعام ولم يدر، ويمكن أن تخيل هذه المائدة بكل ما عليها من هذه الألوان من الأطعمة.		

(1) الجونة: وعاء العطار الذي يعد فيه الطيب، وقد استعار اللفظ للطعام لما فيها من الطعام الطيب، ابن منظور، لسان العرب، 428/2.

(2) الطرخون: بقل، طيب، يطبخ باللحم، ابن منظور، لسان العرب، 138/8.

(3) الطيهوج: طائر، قال ابن دريد: ولأحسبه عربياً، ابن منظور، لسان العرب، 210/8.

(4) سبوجة: مخففة من سننوسجة وهي العجين المحشو باللحم.

(5) الطروين: كل طري من الطعام كالسننوسج ونحوه، ابن منظور، لسان العرب، 160/8.

(6) اللوزينج: من الحلواء شبه القطائف تؤوم بدهن اللوز، ابن منظور، لسان العرب، 357/12.

(7) النونة: الثقرة في ذقن الغلام، ابن منظور، لسان العرب، 341/14.

واللافت للانتباه في وصف كشاجم حجم المفردات الأعجمية المعربة في هذه القصيدة وهي الطرخون، والطيهوج، والسبوجة، والطروين، والباذنجان، والهلين، واللوزينج، والدستيجة وهذا يعكس حجم المفردات الأعجمية في الأطعمة لأن معظمها مأخوذ من الروم والفرس الذين برعوا في الطبخ قبل العرب، فالعرب بدو في طبائعهم وليسوا حضراً وقد أخذوا تلك الأطعمة اسماً ومسمى من العجم.

ومما زاد في لذة الطعام تأنق الساقى وجماله، فله نقرة في ذقنه، ولين، في كلامه، وعيونه أخذة، وقد زاد المجلس ترفيهاً صوت المغني الذي يشبه صوت الحمام. إذن فهو مجلس جمع بين الطعام، والشراب، والوجه الحسن والغناء، فقد جمع الشاعر كل لذات الدنيا في هذا المجلس ذلك ولا عذر لصاحبه في أن لا يحضر! .

2- ابن وكيع التنيسي، قال يصف طريقة إعداد وجبة غذائية من اللحم والبصل دون إسراف وتبذير، وقد أرسل مزدوجته هذه لأحد أصدقائه، قال⁽¹⁾:

يا باعثاً لدعوتي غلاماً	وعاتباً من تركنا إماماً
إذا أردت أن تزار في غد	فلا تغال في الطعام واقصد
ابعث فخذ عشراً من الرقاق	تلذها نواظر الأحداق
واعمد إلى مدور من البصل	فإنه أكبر عوان العمل
يحكي لعينيك أخضرار قشره	إذا رماه ناظر بفكره
غلثلاً خضراً على جسوم	بيض رطاب من بنات الروم
حتى إذا أحكمته تقطيعاً	وقلت قد جودته صنيعاً
خلطته باللحم خلطاً جيداً	ولم تزل تخلطه مردداً
حتى إذا أنت أجدت فعله	ثم جمعت الرفاق في شمله
صيرته ياذا العلا سنه	(شابورة) (2) ليست لها سميّه
فلست في فعلك ذا مبذراً	كلا ولا في حقنا مقصراً

إنها مزدوجة من الشعر التعليمي أراد منها تعليم صاحبه كيف يصنع تلك الوجبة البسيطة وهي أشبه بالنثر خالية من التصوير، اللهم إلا في وصفه للبصل، وقد سبق شرح ذلك في باب وصف البصل.

(1) النويري، نهاية الأرب 259/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 388.

(2) الشابورة : اسم تلك الوجبة التي وصفها ابن وكيع، وهي مزيج من البصل واللحم المقلي على رفاق من الخبز.

3- الشريف العقيلي: وقد حفل ديوانه بالكثير من المقطعات التي يصف فيها المائدة، فضلاً عن مزدوجة عارض فيها ابن المعتز ومن شعره قوله⁽¹⁾:

عندي لون "طبخته بيدي	غير رقيق وغير منعقد
وقد أمرنا من الغداة لنا	بشيء جدي مكور الجسد
إلى رخامية ⁽²⁾ مذاقتها	أطيب من عيشة بلا نكد
وجام لوزينج كأي قد	صغت لجيناً منه على برد
فأنشط إلى أن تكون عند أخ	مخلد الشدو منه في الخلد
يغدو على كل من يلم به	أشفق من والد على ولد

إنه يغري أضيفه بجودة الطعام أولاً، وبحسن الضيافة ثانياً، فهو أشفق عليهم من والد على ولد ويبدأ باللحم حيث الجدي المشوي السمين، ثم الرخامية وهي اللبن الغليظ الذي يطفئ حرارة اللحم، ثم الحلوى وهي طبق كبير من اللوزينج الذي يشبهه بالفضة السائلة على البرد في إشارة إلى الوعاء الزجاجي الشفاف الذي وضع فيه اللوزينج. وقال⁽³⁾:

فلا تله بالشغل عمن غدا	إلى اللهو من غيره أشوقا
فقد قامنا طباخنا فائق	بليل أعد لنا الفيقا ⁽⁴⁾
وعباً البوارد في جونة	أحن من الخوف أن تطبقا
ووافى بعقيان ⁽⁵⁾ سنسوسج ⁽⁶⁾	فألبسها منه دسنتيقا ⁽⁷⁾
وخلق عنبر طردينا ⁽⁸⁾	ولولا المقالي لما خلقا
وأبدع في سلق هليونها ⁽⁹⁾	لأنني أمرت بأن يسلقا
وألقي عليها برازديقا ⁽¹⁰⁾	يمزق همي إذا مزقا
وعندي فديتك من بعدها	عصير من الكرم قد عتقا
يجيئك منه الخلق ⁽¹¹⁾ الذي	إذا شئت صيرته زمبقا

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص112.

(2) الرخامية: اللبن الغليظ، ابن منظور، لسان العرب، 180/5.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، 222.

(4) الفيقا: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين، ابن منظور، لسان العرب، 370/10.

(5) العقيان: الذهب، ابن منظور، لسان العرب، 334/9.

(6) السنسوسج: رقائق من العجين محشوة باللحم، حاشية الديوان 222.

(7) الدسنتيق: السوار، حاشية الديوان 222.

(8) الطردين: الطعام المقلي، حاشية الديوان 222.

(9) الهليون: نبات تؤكل جذوره وهي حمراء، وهو ما يسمى اليوم بالبندر، حاشية الديوان 222.

(10) برازديقا: أرغفة، رقائق عليها سمس، وهي ما نسميه اليوم بالبرازق، حاشية الديوان، 222.

(11) الخلق: طيب، يتخذ من الزعفران، ابن منظور، لسان العرب، 197/4.

وفي هذه القصيدة أيضاً حشد كثيراً من الأسماء الأعجمية وهي السنوسج، والدستيق، والطردين، والهليون، والبرازيدق إضافة إلى المقالي والفَيِّق، والخلوق والعصير، وغيرها. وقد جانس الشاعر بين اسم الطباخ واسم اللبن (فائق، فيق) جناساً ناقصاً وشبه السنوسج وهو العجين المحشو باللحم بأساور الذهب ويختم كما هي العادة بالخمير وهو معتق تنبعث منه رائحة“ أشبه بطيب الزعفران.

وقال في قصيدة أخرى (1):

لك عندي مينا من الهليون	حوله عَسَجْد“ من الطُردين
وفراخ“ منها المصوصُ (2) ومنها	ما عدلنا به إلى التطجين (3)
ورضيع“ إذا أتيت أتاناً	منهُ طَبَّاخنا برطب سمين
ولنا مجمع“ ترى منه روضاً	أبيض الجبنِ أسودَ الزيتون
لم يبن فيه بنة“ (4) قط إلا	كان شيئاً للعنبر المعجون
ولنا خرْم (5) إذا ما شربنا	نتحسى منه بأسمر جُوني
وعروسُ كريمة الكرم بكر“	ما لها والد“ سوى الزَرْجُون (6)
لو أتاناً كانون بالثلج فيه	لغنينا بها عن الكانون
ولنا فستق“ يُضاف إلى ما	عندنا من محمّص الأنسون (7)
وشمَّارُ (8) متى بَشْمنا (9) وجدنا	فيه طعم الجوارش (10) الكمون (11)
فاعزم اليوم نصطبج في رياض	كدكاكين باعة المدهون (12)
في رداءٍ من صنعة النار فيه	علم أخضر من الطرخون

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص277.

(2) المصوص : (يفتح الميم) ، اللحم المنقوع بالخل، ابن منظور، لسان العرب، 124/13.

(3) التطجين : القلي، ابن منظور، لسان العرب، 127/8.

(4) البنة : الريح الطبية كرائحة التفاح ونحوها، ابن منظور، لسان العرب، 504/1، ولم يصنّب شارح الديوان بالقول إنها نوع من السمك في نيل مصر، فالسياق والتشبيه لا يدلان على ذلك.

(5) الخرْم : العيش الناعم ، وقيل نبات شجري، ابن منظور، لسان العرب، 77/4، وقال شارح الديوان : هو نبات له زهر“ بنفسجي ، شمه والنظر إليه مفرح جداً ، والجوني : هو الضارب إلى سواد أو حمرة .

(6) الزرجون : الكرم، وهي فارسية معربة، ابن منظور، لسان العرب، 33/6.

(7) الأنسون : حب صغير يشرب منقوعه وله طعم طيب وهو ما نسميه اليوم (اليانسون).

(8) الشَّمَّار : هو الرازيانج ، نبات يؤكل طازجاً ويذهب رائحة الفم ، وهو الشومر في لغتنا.

(9) بَشْمنا : شبعنا حتى تحشأنا ، قال الحسن : تتجشأ من الطعام بشماً، ابن منظور، لسان العرب، 417/1.

(10) الجوارش: من الجرش، وهو صوت يحصل من أكل الشيء الخشن ، ومعنى البيت : أنهم عندما يأكلون الشمار يحدث لأكلهم صوت كصوت من يجرش الكمون.

(11) الكمون : من التوابل ، يضاف إلى الطعام فيكسبه طعماً لذيذاً، قال ابن منظور : حب أدق من السمسم، ابن منظور، لسان العرب، 161/12..

(12) أي أن رائحة الرياص كالروائح العطرة المنبعثة من دكاكين العطارين.

يرى الشاعر في تنويع الطعام وتلوينه في هذه القصيدة إیرازاً لجمال المائدة وإغراءً للمدعو، وقد قسم المائدة إلى خمسة أقسام، جعل في كل قسم نوعاً من الطعام فبدأ بالمقبلات من الهليون والجبن والزيتون، ثم يأتي الطعام بما فيه من فنون تحضيره فالفراخ منها ما نفع بالخل، ومنها ما قلّ قليلاً. وأما الجدي فريضع صغير غضّ اللحم، ورائحته كرائحة المسك والعنبر، ثم الخمر التي تدفئ شاربها ثم الفستق، والأنسون، وأخيراً نبات الشّمار الذي يذهب رائحة الفم ويبقيها طيبة.

ويلاحظ الجنس الجميل بين (كانون وكانون) فالأولى شهر كانون وهو شهر بارد، والثاني الكانون وهو الموقد أو المدفأة.

ويلفت البيت الأخير الانتباه إلى أن الطعام كان يحضّر في ظل البساتين والرياض وهي عادة أهل مصر، فقد كانوا يستمتعون بالخروج وتناول الطعام في الهواء الطلق ولاسيما في الأعياد والمناسبات.

وقال أيضاً يستدعي صديقه إلى مائدة الطعام⁽¹⁾:

يا سيّداً أركان عليائه	في ذروة العيوق	(2) مبنيّه
عندي فروجان ما منهما	إلا ابن هنديّ وهنديّة	
قد عمل الواحد تبالّة	وأصلح الآخر مصلية	(3)
وأفرخ ما بين سنسوسج	عليه أثواب خلوقيّة	(4)
ونصف جديّ بارد أمّه	كما حكى الجلاب	(5) - حوفيّه
ومجمّع بين كواميخه	مخلّلات غير سوقيّة	(6)
ومن بنات البرّ ذُرّاجة	ومن بنات البحر بنيّة	(7) (8)
قد طبخت تلك وهاتيك قد	جاء بها الطاهي مشويّه	
في جونة تهتزّ أعطافها	في حلّ للبقل جيزيّة	(9)
زيتونة صفراء قيسية	وجبنة بيضاء خيسية	(10) (11)

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص298.

(2) العيوق : نجم أحمر مضيء، ابن منظور، لسان العرب، 477/9.

(3) تبالّة : مضمّخة بالتوابل، ابن منظور، لسان العرب، 17/2.

(4) خلوقيّة : ذات رائحة كرائحة الخلق وهو طيب يتخذ من الزعفران، ابن منظور، لسان العرب، 197/4.

(5) حوفيّة : نسبة إلى الحوف وهو جهة مصر تجاه بلبيس، حاشية الديوان 298.

(6) الكواميخ : جمع كامخ وهو نوع من الأدم، ابن منظور، لسان العرب، 155/12.

(7) ذُرّاجة : ضرب من الطير، ابن منظور، لسان العرب، 322/4.

(8) بّيه: نوع من السمك النيلي، دل على ذلك قوله ومن " بنات البحر"، حاشية الديوان 298.

(9) جيزية : نسبة إلى الجيزة، وهي البلدة التي بها أهرامات مصر، حاشية الديوان، 298.

(10) قيسية : نسبة إلى قيس، وهي كورة في مصر حاشية الديوان 298.

(11) خيسية : نسبة إلى خيسة وهي موضع في الحوف الغربي من مصر، حاشية الديوان 298.

لقد بدأ بتمجيد المدعوّ وجعل منزلته بمنزلة النجوم في عليائها، ثم بدأ بوصف مائدته، التي أصل كل طعام فيها، فالفروج هنديّ، والجدي حوفيّ، والمخللات بيتية (غير سوقية)، والبقل جيزية (من الجيزة) والزيتون (قيسية) والجبنة (خيسية) وهدف هذا التأصيل هو بيان جودة أصناف طعامه من خلال تعيين مصادرها.

وقد خلت هذه المقطوعة من الصور والتشبيهات سوى بعض الاستعارات، فقد جعل للسنبوسج أثواباً من الخلق وهو الطيب والزعفران الطيب رائحته، وجعل المائدة تهتز أعطافها فرحاً بالبقل وما سوى ذلك فهو وصف وتعداد لأشكال الطعام وسردّ بارد لأسمائها مع تأصيل نسبتها كما أسلفنا ومن قراءة لديوان الشريف العقيلي يتبين كثرة المقطوعات والقصائد التي قيلت في وصف الطعام ولعل ذلك عائداً إلى حياة ذلك الشاعر الذي كان يحب أن يقيم الموائد واللهو والقصف في بساطينه وحدائق قصوره، وقد وصف تلك الحياة بقوله:

يقولون ما الدنيا فقلتُ شبيبةً	وأمنٌ وعزمٌ دائمٌ وثراءٌ
وعافية زهراء هبّ نسيمُها	وعيش رخيّ نافعٌ وبقاءٌ

(1)

وصف مزدوجة العقيلي:

أما قصيدته الطويلة في مجلس لهوه وطربه والتي سمّيت في ديوانه "بمزدوجة العقيلي" فقد جاءت في استعراض موهبته الشعرية في الوصف ولاسيما أنه يعارض فيها شاعراً كبيراً وهو ابن المعتز الذي كان أميراً وأصبح فيما بعد خليفة وأميراً للمؤمنين، كما أنه رأى فيها تقليداً للأمير ينحدر من آل البيت النبوي، والشريف العقيلي ينحدر من البيت نفسه ولكن من نسل علي بن أبي طالب $\frac{1}{2}$ ، وهذا يعكس صفة التنافس بين الخلافة العباسية المنحدرة من أبناء عم النبي p من عمه العباس وبين الخلافة الفاطمية المنحدرة من أبناء علي وفاطمة الزهراء، وانعكاس ذلك على الأدب، وهذا ما فعله تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، إذ حاول تقليد ابن المعتز في شعره، لدرجة أن النقاد قالوا عن تميم في ترجمته (تشبه بابن عمه ابن المعتز وتشبّث بذيله)⁽²⁾.

(1) الشريف العقيلي الديوان، تحقيق د. زكي المحاسني، 38.

(2) تميم، الديوان، ص15.

وليلة أيقظني معانقي	والبدر قد أشرق في المشارق
وهو استهلال أشبه ببداية قصة، حيث يوقظه صاحبه ذات ليلة، وبعد خمسة أبيات يبدأ العقيلي بوصف الطعام فيقول:	
وجاء بالشراز (2) والبوراني (3)	ضدين مثل الوصل والهجران
كأنها ذاك إذا خلط	(4) صبح مشيب بدجى شعر وخط
ثم لنا جذي قريش (5) مشرق	(6) كأنما إهابه مخلق
ثم لنا فرخ إوز مبتهج	في قدر جوداب (7) لها تصبو المهج
رطب نصيح فائق لذيذ	يعوم في الدهن به السميذ
شبهته بموضع في مهد	عليه ثوب أحمر كالورد
وقد حكمت في قدرها الجودابه	سبيكة من ذهب مذابه
وبعد هذا نرجسية (8) سبت	بحسناها عقلي لما أن بدت
كأنها في زيها عروس	قد فتنت بحسناها النفوس
شبهتها لما أتت في قدرها	بروضة زاهرة بزهرها
كأنما الفستق واللوز معا	فصوص بازهر ودر جمعاً
والبيض مفقوس بها منجم	كأنه لما علاها أنجم
أو أقحوان بالعيون تسحر	أو نرجس في وسط زهر يزهر
ما بين زيتون وعناب درج	لاح لنا منه عقيق وسبج
والجبين لوان فقان قد قلبي	وناصع يبهر عين المجتلي
مثل شوابير (9) لجين وذهب	نيطا بشرشيق (10) أنيق كالرطب

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص301

(2) الشراز: طعام يشهي من الكرفس وبعض البقول (من المقبلات)، حاشية الديوان 301.

(3) البوراني: طعام يشهي من الباذنجان المقلي المخلوط بالبن والثوم والملح، حاشية الديوان، 301.

(4) وخط: من الوخط وهو الشيب، حاشية الديوان 301.

(5) القريش: المطبوخ، حاشية الديوان 301.

(6) مخلق: معطر، من الخلق وهو طيب الزعفران، حاشية الديوان 302.

(7) الجوداب: طعام يتخذ من أرز ولحم ولوز، حاشية الديوان 302.

(8) نرجسية: لون من الطعام يشترك فيه البيض والفستق واللوز، حاشية الديوان، 302.

(9) جمع شابورة: عجين محشو باللحم والبصل، حاشية الديوان 302.

(10) الشرشيق: طائر، ابن منظور، لسان العرب، 82/7.

وقد رتب مائدته وفق الترتيب الآتي:

1- المشهيات: وهي الشراز والبوراني ويدخل في تركيبهما الكرفس والبقول والباذنجان المقلي المخلوط باللبن والثوم والملح، ولأن البقول أسود والبوراني يدخل في تركيبه اللبن الأبيض فقد شبههما بالضدين: الوصل والهجران، وقد طابق بينهما في هذا البيت، وشبه اختلاطهما باختلاط الشعر الأسود بالشيب.

2- اللحوم: وهي الجدي المطبوخ وقد خلط بالطيب والزعفران، وفرخ الأوز المحشو الذي يشبهه برضيع يرتدي ثوباً أحمر مرةً ومرةً بسبيكة من ذهب.

3- الطعام المطبوخ: وهو النرجسية وهي لون من الطعام الذي يدخل فيه البيض والفسق واللوز فقد شبهها بعروس تارةً وبروضة تارةً أخرى، وأما البيض المفقوس فكأنجم السماء، والزيتون والعناب كالعقيق الأحمر والخرز الأسود، وأما الجبن فتحول المقلي منه إلى اللون الأحمر، وبقي الجزء الآخر ناصع البياض كشطائر الذهب والفضة التي أحيطت بطائر أنيق رطب الملمس واللحم.

4- وصف المغني ومجلس الطعام:

ثم وصف المغني في خمسة أبيات، ثم صور انتصاف الليل وساعات السحر وبدء بزوغ الفجر، وهنا حان وقت الغبوق وهو موضوع القصيدة فبدأ بوصف طعام الإفطار وشرابه قائلاً⁽¹⁾:

فجاء والصبح بها لما طلع	كأنه لما استنار ولمع
شيب بدا في عارض الظلام	يلوح أو كصفحة الحسام
مثل عروس للحلى مزيّنة	وهي بأنواع الطعام مشحّنة
قد ألبست من الرقاق الناعم	غلثلاً لذیذة المطاعم
والبيض والجبن مع الزيتون	والنعنع المخلوط بالطرخون
مقطع مع الكرفس المصري	كمثل هذاب ثياب خضر
على خروف وافر مدور	كأنه مرصع بالجواهر
والخل والملح فما نسيهما	علماً بأنّي منه أشتهيها

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص303.

ثم يصف الخمر في أكثر من ثلاثين بيتاً ثم يصف الروض وطيوره وثماره، بقوله:⁽¹⁾
وقد زها تفاحها المضرجُ
وقد علا ليمونها اصفرارُهُ
كما أنه في القُضْب الموائِلِ
كأنما النارنجُ ما بين الثمرِ
نجوم تبر في سماءِ سندسٍ
وقد بدا الأترجُ في الأشجارِ
وقد زها رمانها مع ما زها
فهو كأحقاق على الأغصانِ
لكنّ نقصاً يحصل في القصيدة وينهيها بأربعة أبيات هي خاتمة مزدوجة العقيلي وفيها يقول⁽³⁾:
فلم يزل في لذة وقصفٍ
من حادثاتِ الدهر في أمانٍ
وبعضنا لبعضٍ مواتي
وخرّبت صروفهُ ما عمّرا
وخالصة القول إنّ وصف الطعام والشراب في مزدوجة العقيلي لا يصل إلى حدّ أن
نقول بالوحدة الموضوعية في وصف الطعام والشراب، بل إنّ ذلك الوصف يأتي في سياق
وصف النعيم من الملذات الذي يدخل في ثناياه وصف الروض والخمر والطيور وأشباهاها من
أركان العزّ والشهوات.

4- أبو القاسم الواساني⁽⁴⁾:

"لقد سبقت الإشارة إلى قصيدته في وصف الطعام والشراب التي هي أشبه بقصة فكاكية
ساخرة، وصف فيها الواساني ما جرى له في دعوة أبناء أبي صفوان إلى وليمة حيث أفسدوا
ضيعة التي في قرية "حمرايا" قرب دمشق، وقد جاء وصف الطعام فيها في هذا السياق،
حيث ذكر الواساني ما أكله هؤلاء القوم من وليمته ومن خيرات ضيعة في أبيات جاءت
هجائية مقذعة، قال الواساني:

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص306.

(2) الفلاح : نبات يشبه الباذنجان، حاشية الديوان 306.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص307، وقد أشار الصفدي إلى هذا النقص في كتابة (الوافي بالوفيات) فقال: "قلت كذا وجدت هذه
المزدوجة مثبتة في ديوان العقيلي، والظاهر أن الناسخ لما وصل إلى آخر قوله (وبات في منزل إخوانه) قلب الورقة فانقلبت معه
ورقتان ولم يعلم، فكتب ما ظهر له لأن الكلام هنا أبتّر، إذ يلزمه أن يذكر عيوب الغبوق كما ذكر محاسن الصبوح".

(4) قال عنه الثعالبي: "هو أعجوبة الزمان ونادرته، وفريد عصره وباقعته، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء، وهو في زمانه كابن
الرومي في أوانه"، الثعالبي، بتيمة الدهر 356/1.

ب وبيت من خيره ملآن	أشرفوا لي على زروع وأحطا
(2) وقدر "تغلي على الدادكان	لبن قارس" (1) وخبز كثير
ف دجاج وفائق الحملان	وشواء" من الجداء ومعلو
ن بجبن تشتاقه العارضان	أكلوا لي من الجرادق (3) ألفيـ
شوق بعد الصدود والهجران	وشراب" ألد من زورة المعـ
ر ومالوا إلى سميد الفران	أكلوا لي أضعافها غير مشطو
ن قريصاً بالخل والزعفران	أكلوا لي من الجداء ثلاثي
ها طبيخاً من سائر الألوان	أكلوا ضعفها شواءً وضعفي
لي بعشر من الدجاج السمان	أكلوا لي تباله تبّلت عـ
(5) ري برؤوس الجداء والعصبان	أكلوا لي مضيرة (4) ضاعفت ضرـ
بي وهاجت لفقدها أشجاني	أكلوا لي كشكية (6) قرحت قلـ
ر طرياً من أعظم الحيتان	أكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ
(8) وي ملقى في الخل والأنجدان	أكلوا لي عدلاً (7) من المالح المشـ
(11) ني والمعقلي (10) والصرفان	أكلوا لي من القريشاء (9) والبر
(15) قر (12) والبر (13) دي واللؤلؤي (14) والصيحاني	أكلوا لي ألفا عدل سوى المصـ
(16) ز معاً والخلّاط	أكلوا لي من الكوامخ والجو
جز عن جمعه قرى حوران	ومن البيض والمخلل ما تعـ
(17) فاح والرازقي	فتتوا لي من السفرجل والتفـ
س ثمانين من معيز وضان	ذبخوا لي بالرغم يا معشر النا

- (1) قارس: بارد، ابن منظور، لسان العرب، 106/11.
- (2) الدادكان والدقدان والديقان: أثافي القدر، ابن منظور، لسان العرب، 381/1.
- (3) الجرادق: مفردا جردقة: وهي الرغيف، فارسية معربة، ابن منظور، لسان العرب، 239/2.
- (4) مضيرة: اللحم المطبوخ باللبن حتى يخثر، ابن منظور، لسان العرب، 127/13.
- (5) العصبان: أطراف الغنم والدواب مما يلي المفصل، ابن منظور، لسان العرب، 230/9.
- (6) كشكية: طعام مطبوخ بماء الشعير، ابن منظور، لسان العرب، 103/12.
- (7) عدلاً: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير، ابن منظور، لسان العرب، 84/9.
- (8) الأنجدان: السمن، ابن منظور، لسان العرب، 48/14.
- (9) القريشاء: نوع من الثمر الصلب، ابن منظور، لسان العرب، 109/11.
- (10) المعقلي: الرطب، ابن منظور، لسان العرب، 331/9.
- (11) الصُرفان: ضرب من الثمر، واحتدته صرّفانة وهي ثمرة حمراء صلبة الممضغة كالعلكة، ابن منظور، لسان العرب، 331/7.
- (12) المصفر: الثمر من الرطب المصل بصب عليه الدبس ليلتين وربما جاء بالسين، ابن منظور، لسان العرب، 372/7.
- (13) البردي: ضرب من الثمر يشبه البرني وهو من ثمر الحجاز جيد معروف، ابن منظور، لسان العرب، 368/1.
- (14) اللؤلؤي: ضرب من الثمر الأحمر.
- (15) الصيحاني: ضرب من ثمر المدينة، قال الأزهري: ضرب من الثمر أسود صلب الممضغة، ابن منظور، لسان العرب، 450/7.
- (16) الخلّاط: الجمع بين الثمر والزبيب في إناء، ابن منظور، لسان العرب، 175/4.
- (17) الرازقي: ضرب من عنب الطائف طويل الحبة، ابن منظور، لسان العرب، 204/5.

لقد بالغ الواساني أشدَّ المبالغة في هذا الوصف، ولكنها المبالغة الطريفة التي ترسم صورة كاريكاتيرية ساخرة جاءت في موضع الهجاء والتصوير الظريف المضحك، حيث لم يترك صنفاً من الطعام يخطر بالبال إلا وذكره، وربما أثرى هذا بحثنا لأنه حشد من أسماء الطعام في تلك الفترة ما لا يمكن الوصول إليه، فلقد ذكر للتمر وحده ثمانية أصناف بأسماء متنوعة وهي (القرشاء والبرني واللؤلؤي والصيحاني والمعلقي والصرفان والمصقرّ والبردي) وهذا يدلُّ على أنَّ الواسانيَّ أراد استعراض مهارته اللغوية والمعرفية في سرد أصناف الطعام كالجرادق والجبن والخل والزعفران والتبالة والمضيرة والكشكية والأنجدان والكوامخ والجوز والخلاط والبيض والمخلل والسفرجل والتفاح والرازقي والرماني، ناهيك عن أصناف الثمر سائلة الذكر. كما كرر الشاعر الفعل (أكلوا) إحدى عشرة مرة ليزيد من طرافة الوصف ويدلّل على مدى الكارثة التي حلت به وشراهة ضيوفه الذين أكلوا من المخلل والبيض ما تعجز عنه قرى حوران بأسرها، وقد جانس الشاعر بين (تبالة)⁽¹⁾ و(تبلت) جناس اشتقاق.

ولندع الثعالبى في يتيمته يعلّق على قصيدة الواساني، فيقول:
قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان، وتصرّف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال، وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه التكلف والتلصّص، فهو الذي لا يدرك غوره، ولا يخاض بحره⁽²⁾.
وربّ قائل يقول: هذه عشرون بيتاً! فما بال المائتين الباقيتين؟! فأقول: إن معظمها في وصف أخلاق الأكلة ضيوف الواساني وشراهم ونهمهم في الأكل، وسنلحق جزءاً آخر منها فيما يتعلق بأخلاق الأكلة وصفاتهم.

ومن خلال هذا العرض لقصائد وصف الطعام الشراب في العصر الفاطمي في مصر وبلاد الشام، يمكننا أن نستخلص عدداً من الحقائق الموضوعية حول تقاليد الطعام والشراب من حيث طريقة تحضير الطعام، وأنواعه، وطرق ترتيبه على المائدة، وأنواع الموائد، وأماكن إقامتها، والمدعوون للموائد، كما يمكننا معرفة أخلاق بعض الأكلة وآداب الطعام، وهي على النحو الآتي:

(1) التبالة: أرز مخلوط باللحم، أما تبلت: أثارت حقدي وغضبي، ابن منظور، لسان العرب 17/2.
(2) الثعالبى، يتيمة الدهر، ص364-365.

و- تقاليد المائدة:

أولاً توجيه الدعوة لحضور المائدة : ويكون ذلك عبر إرسال الغلام إلى بيت المدعوّ لدعوته شفويّاً على لسان صاحب الدعوة، وربما بعث معه رقعةً فيها قصيدة كتبها صاحب الدعوة، ويتضح ذلك من خلال قصيدة ابن وكيع التنيسي التي ردّ فيها على صاحبه قائلاً: ⁽¹⁾

يا باعثاً لدعوتي غلامه وعاتباً من تركنا إمامة

ثانياً طريقة ترتيب المائدة : تعتمد فخامة المائدة على كثرة ما فيها من أصناف الطعام، والواضح من خلال القصائد والمطولات التي قيلت في وصف الطعام، أن الطعام بما فيه من وجبات رئيسية ومقبلات كان يوضع كله على مائدة طويلة، يختار المدعو منها ما شاء، فلا يعقل أن يأكل المدعو كل هذه الأصناف التي سبق استعراضها في مائدة واحدة، وهذا يشبه اليوم طريقة (البوفيه المفتوح) والشاعر الحاذق كان يرتّب أصناف الطعام في قصيدته بادئاً بالمقبلات، ثم اللحوم، ثم الحلويات والمكسرات، وبعدها الشراب، وعلى رأسه الخمر ⁽²⁾، وهذا ما يظهر عند كشاجم والشريف العقيلي.

ثالثاً: أنواع الموائد:

أ- المائدة البسيطة: وهي التي تحتوي على صنفٍ واحدٍ من الطعام، خصّصه الداعي للمدعوّ لعلّهم يشغفه بأكل ذلك النوع من الطعام، كالملوخية، أو الرؤوس، أو السمك، أو الشابورة، وغيرها من الأصناف، وهذه القصائد هي من الناحية الفنية أدق تصويراً، وأعمق في عرض دقائق ذلك الصنف وجوانب الجمال فيه، بعيداً عن مجرد السرد لأسماء أصناف الطعام في النوع الثاني من الموائد.

ب- المائدة العظيمة: وهي التي تزخر بأنواع الطعام والشراب ، ولا يترك الشاعر صنفاً من أصناف الطعام والشراب إلا ويذكره، وهذه المائدة غالباً يكون وصفها في القصائد الطويلة وبخاصة عند كشاجم والشريف العقيلي، ولا يكتفي فيها الشاعر بوصف الطعام من مقبلات ومشويات ومشروبات، بل يتعدى ذلك إلى وصف الساقى والمغني والرياض التي تقام فيها الموائد، ناهيك عن وصف الحلويات المقدّمة بشتى أصنافها، ومن أصناف المأكولات:

1- اللحوم: ويعدّ اللحم سيّد المائدة عند العرب في ذلك العصر وكل العصور، سواء أكان لحم خروف، أو جدي، أو حتى لحوم الطيور، ولكن من الملاحظ في بيتي مصر والشام غياب

(1) النويري، نهاية الأرب 259/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 388.

(2) وهذا الترتيب استخلصناه من القصائد المطولة في وصف الموائد عند كشاجم والعقيلي وابن وكيع وغيرهم.

لحوم الجمال عن مائدة الطعام نظراً لبعدهما عن البادية، وغياب لحوم العجول والبقر نظراً لاستخدامهما في حراث الأرض وزراعتها.
وقد كان اللحم يحضّر للمائدة مشوياً أو مطبوخاً، وكان من عادة المصريين حشوه بالبقل، وكانت اللحوم تُعرض متبلةً بالتوابل المستوردة من بلاد الهند .

يقول الشريف العقيلي: (1)

عندي فروجان ما منهما
قد عمِلَ الواحدُ تَبَالَةً
إلا ابنُ هنديٍّ وهندية
وأصلح الآخرُ مصليةً

2 - **الأسماك:** وهي ثلاثة أصناف هي : الأبرميس والراي والبلطي، وهي في مصر أشهر منها في بلاد الشام، وكانت تنقع بالخل، ويتفنن الشعراء في وصفها قبل شئها أو قليها وبعد تحضيرها للأكل.

3 - **الرؤوس:** وكان المصريون والشاميون يتفننون في صنعها، وإعدادها، وتحضيرها، ووالرؤوس أكلة شعبية تباع في الأسواق وهي في متناول الفقراء والأغنياء على حد سواء، وكانت تلف بالرقاق ويتباهى الشعراء بنظافتها وطراوة لحمها.

4 - **المعجنات:** والشاميون أبرع من المصريين في تحضيرها. ومن أصنافها: السنبوسج، والشابورة، والكواميخ بأنواعها، ويدل إعدادها على تأنيق ودقه صنع وتقديم أهل ذلك العصر في تحضير الطعام، وفي قصيدة ابن وكيع التنيسي وصف كامل لطريقة تحضيرها (2).

ويدخل في المعجنات الخبز، ومن أصنافه: الجرادق وهو الخبز الغليظ، والبرازيدق وهو الخبز الرقيق المعجون بالسمن، والحوار، والرقاق وهما خبز رقيق.

5 - **المقبلات:** وهي أكثر الأصناف تنوعاً، وأغزرها مسمى، ومنها: الباذنجان، والهلين، والجبن المقلّي، والطازج، والزيتون، والحصرم، والمخللات، وهذه الأخيرة كانت تسمى " الجوارش " لأنها تحدث في أثناء المضغ صوتاً يشبه الجرش.

رابعاً: أماكن إقامة الموائد: تحتاج إقامة الموائد الفخمة إلى مساحات واسعة تتسع للضيوف من عليّة القوم، ولذلك فإنّ المكان الأمثل لعقد تلك الموائد كان بهواً واسعاً في قصر،

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص298.

(2) أنظر في باب المائدة، ص90.

ولكن هناك إشارات في القصائد تدلّ على أن تلك المآكل - على عادة أهل مصر - كانت تقام في البساتين أو على مشهدٍ منها، وفي هذا يقول زكي المحاسني محقق ديوان الشريف العقيلي⁽¹⁾: "كان الشريف العقيلي يحيا كما يحيا الأمراء والرؤساء وذوو الإقطاع الذين يدرّ عليهم الثراء الأنعم المتوالية، فكانت مآدبه طافحة سخيّة، وفي شعره مقطوعات كثيرة تشير إلى مشاركته خلّانه في طعامه وشرابه، وفيها وصف لهذا الطعام والشراب، والظاهر أنّه كان يقيم مآدبه في بساتينه النضرة الوارفة، فإذا استطعنا من خلال هذه الدعوات أن نستجلي مناظر تلك المقاصف التي كان يعيش في ظلّها الشاعر العقيلي أمكننا أن نتمثّل مجالس لهو وأنسه".

خامساً: ترتيب المائدة : يتضح من خلال القصائد أن هناك تقاليد في مجلس المائدة، فقد كان هذا المجلس يبدأ بالخطوات التالية :

- أ - تناول الطعام بما فيه من مقبلات وطعام دسم.
- ب تناول الحلوى، القطائف أو البسندود أو الخشكناج.
3. تناول الفاكهة والمهضمات كالشمّار وغيره، إذ يقول الشريف العقيلي:
وشمّار متى بشمنا وجدنا فيه طعم الجوارش الكمّون
حيث يلجأ الشاعر والضيوف إلى أكل الشمّار إذا شبع وتجشأ فهو يهضمّ ويطيّب رائحة الفم، ومن المهضمّات والمطيّبات أيضاً شراب الأنسون المحمّص والرازيانج وغيره.
- د- شرب الخمر وما يرافقها من الفستق والمكسّرات.

هـ- بدء الساقى بالغناء هو وجماعة من المنشدين حيث يقول كشاجم⁽²⁾:

وعندي لك دستيجة	مطبوخ وقنيينة
وساق وعدت بالقط	ف منه عطفة النونة
له شدة الحاظ	وفي ألفاظه لينه
وقمري يغنينا	لحونا غير ملحونه

(1) الشريف العقيلي، الديوان، ص15.

(2) كشاجم، الديوان، ص306.

سادساً: أخلاق الأكلة: من خلال دراستي لما تمكنت من الوصول إليه من شعر في وصف الطعام والشراب، تبين لي أن أخلاق أكلة الطعام والشراب لا يرد إلا في باب الهجاء وتصوير شراهة الأكلين، قال أبو القاسم الواساني يصف شراهة من نزلوا بضيعته⁽¹⁾:

يقدّم القوم هاشميّ هربتُ	(2) الشدق	شدق رَحْبُ المعِيّ طويلُ اللسانِ
هو نمسُ الدجاج والبطّ والأوزُ		ز وذئب النعاج والخرفانِ
كلما شقّ الفراريح شققتُ		لغيظي من فعله قمصاني
ليس هذا من شهوة الأكل، هذا		من طريق البغضاء والشنانِ
لست أنساه جاثياً جاحظ العيب		ن عبوساً في صورة الغضباني
كالعقاب الغرثانِ (3) يقتص اللحـ		م ويهوي إلى طيور الخوانِ

لقد صوّر الواساني ضيفه تصويراً كاريكاتيرياً ساخرأ، حيث جعله كبير البطن وصوره كالنمس (وهو الحيوان الذي يفترس الدواجن لا ليأكل ولكن نكاية في صاحب تلك الدواجن) وقد صوّر انقضاضه على تلك الطيور بالعقاب الجائع وهو ينقض على طيور تلك المائدة. وعلى النقيض فقد وصف عبد المحسن الصوري بخل من أضافه فقال⁽⁴⁾:

وأخ مسّة نزولي بقرح	مثل ما مسّني من الجوع قرحُ
قيل لي : إنه جواد كريم	والفتى يعتريه بخل وشحُ
بت ضيفاً له كما حكم الدهن	رُ وفي حكمه على الحرّ قبجُ
قال لي إذ نزلت وهو من السكـ	رة والهـمّ طافح ليس يصحو
لم تغرّبت ؟ قال رسول اللـ	ه والقول منه نصح ونجحُ
"سافروا تغنموا .. وقال قد قا	ل تمام الحديث " صوموا تصحوا"

فقد شاعت الأقدار أن ينزل الشاعر عند مضيف بخيل ضاق به ذرعاً، فسأله عن سبب تغربه، فأجاب الشاعر مستشهداً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "سافروا تغنموا" فذكره المضيف البخيل بقوله صلى الله عليه وسلم "صوموا تصحوا". والقصة لا تخلو من الطرافة والفكاهة.

(1) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، 364/1-365.

(2) هربت الشدق : متّسع الفم، ابن منظور، لسان العرب، 69/15.

(3) الغرثان : الجائع ، ابن منظور، لسان العرب، 40/10.

(4) الثعالبي ، يتيمة الدهر 316/1.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

في

شعر وصف الطعام والشراب في
مصر وبلاد الشام

- 1 - المستوى الموسيقي
- 2 - المستوى البلاغي
- 3 - المستوى التركيبي
- 4 - المستوى النحوي
- 5 - المستوى الدلالي (المعجمي)

أولاً: المستوى الموسيقي

جاءت موسيقى شعر وصف الطعام والشراب انعكاساً لموسيقى الشعر العربي في ذلك العصر، فهو عصر قد شهد تجديداً في موسيقى الشعر وتنوعاً في القافية⁽¹⁾، وقد شاع في شعر

(1) ظهرت قوالب شعرية جديدة ومنها: (القوما وكان كان والسلسلة والموالي) الرباعي والقواويس وغيرها، محمد مصطفى، العروض والقافية، ص112.

وصف الطعام والشراب الرباعيات والمخمسات والمزدوجات، والشعر التعليمي المصرّح الذي يتوافق فيه الصدر والعجز في القافية دون أن يتفق في الروي مع البيت التالي، كما برزت ظاهرة التدوير كثيراً في مقطوعات وصف الطعام والشراب وقصائده. وقد كنت أتوقع أن يكون غالب شعر وصف الطعام والشراب من الأراجيز لأنها الأسهل في النظم، ولكن الحقيقة أن الشعراء قد نظموا في معظم بحور الشعر ومن ضمنها بحر الرجز الذي تبلغ نسبته ما بلغت بقية البحور، وسنقف في بحثنا في المستوى الموسيقي لشعر وصف الطعام على عددٍ من الظواهر الموسيقية كشعر الرباعيات والمخمسات والشعر المزدوج والتدوير، كما سنقف على بعض عيوب القافية التي وردت في هذا الشعر وعلى الضرائر الشعرية فيه.

1 - البحور الخليلية: وقد استوفى الشعراء معظمها في مقطوعات الوصف وفي

القصائد، ولم يأتوا بجديد، فالأوزان هي الأوزان والتفعيلات هي هي، أما الظواهر التجديدية فقد جاءت في القافية والوزن على الأنماط التالية:

أ - الرباعيات: وهي أربعة أشطر (صدران وعجزان) تشابه حرف الروي في صدر وعجز البيت الأول وفي عجز البيت الثاني، وربما تشابهت القافية في الأشطر الأربعة ومن الرباعيات قول كشاجم في حمل مشوي⁽²⁾:

لم أنسه في حلة حمراء	على خوانٍ واسع الفضاء
قد شقّ عن مكنونة بيضاء	تسفر عن مسكية ملساء

فالأسطر الأربعة بالقافية نفسها.

ومنها قول ابن الخياط الدمشقي في وصف الخيار⁽³⁾:

خيارٌ حين تنسبه خيارٌ	لريحان السرور به اخضرارٌ
كأن نسيمه أنفاسُ حبٍ	فليس لمغرم عنه اضطبار

والملاحظ تشابه الأشطر الأربعة في القافية ما عدا الشطر الثالث.

ومنها قول ابن القطاع الصقلّي في وصف الرمان:

رمانةٌ مثلُ نهد العاتق الريم	(1) تزهى بلون شكل غير مذموم
كأنها حقةٌ من عسجدٍ ملئت	من اليواقيت نثراً غير منظوم

فقد تشابهت الأشطر الأربعة عدا الشطر الثالث.

(2) كشاجم، الديوان، ص21

(3) ابن الخياط، الديوان، ص284، والنويري، نهاية الأرب 41/11

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 116

ب المَخْمَسَّات: وهي خمسة أشطرٍ شعرية (انصاف أبيات) تتشابه في القافية

كقول صالح بن مؤنس⁽²⁾ في صفة جدي

جُد لي بجدي نعتُهُ من اسمه
لم يلج التنّور مثلُ جسمِهِ
كأنّ بين جلده ولحمِهِ
لَفَات قطنٍ بسطتْ من شحمِهِ

يؤكل من نعمته بعظمِهِ

ومنها قول كشاجم في قصب السكر⁽³⁾:

أعددتُ عندي لنداماي العجبُ

أبيضَ في ثوبٍ حريرٍ منتخبُ

كأنما ثوبٌ من التبرِ انسربُ

كأنّه أعمدةٌ من الذهبُ

شدُّوا إلى طرفها خُضرَ العذبُ

فهي خمسة أشطر شعرية متفقة في الوزن والقافية

ومنها قول كشاجم في وصف كيزان الفقّاع⁽⁴⁾:

مقنّعاتٌ قطعَ الجلودِ

ملماتِ الجسمِ من صيخودِ

كأنما المرءُ من الوعيدِ

مزرّراتٌ بخيوطٍ سودِ

قد وضع اللّمة للسجودِ

ج الشعر التعليمي (المزدوجات): وقد سَمِيَ بهذا الاسم لأن كل القصائد والأراجيز التعليمية

الشهيرة في علوم النحو والصرف والتجويد قد جاءت فيه، وهو يعتمد التصريح بين الصدر والعجز في البيت، والتنويع في حروف الروي في كل أبيات القصيدة، فالبيت يشكل وحدة في موضوعه ومعناه وينفرد عن سابقه أو لاحقه، وأشهر المقطوعات في ذلك قصيدة ابن وكيع التنيسي في كيفية صنع (الشابورة) وهي لحم وبصل ملفوف برقاق من الخبز، وقد بلغت أحد عشر بيتاً ومنها⁽⁵⁾:

وعاتباً من تركنا إمامة

يا باعثاً لدعوتي غلامه

فلا تغال في الطعام واقصد

إذا أردت أن تزار في غد

يلذّها نواظرُ الأحداق

ابعثْ فخذْ عشرًا من الرقاق

فإنه أكبرُ أعوان العملِ

واعمدْ إلى مدوّرٍ من البصلِ

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر 404/1

(3) ديوان كشاجم 63 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 126 والصفدي، الكشف والتنبيه 384

(4) كشاجم، الديوان، ص 104.

(5) النويري، نهاية الأرب 259/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 388

ولا داعي لذكرها جميعاً، فقد أوردتها سابقاً
ومنها قصيدة كشاجم في وصف جونة الطعام⁽¹⁾:

ومن فراريح بماء الحصرم	تصلح للمحموم أو للمحتمي
قد سوّيت أكبادها ببيض	وهي كمثل نرجس في روض
وجاءنا فيها ببيض أحمر	كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا أتى به مقشراً	أبرز من تحت العقيق الدررا

والشعر التعليمي أو المزدوجات كما تسمّى كلها أراجيز، ومن الواضح أن الشعراء أرادوا أن يتجاوزوا بها عقبة القافية إلى المعاني والأفكار لأن الفكرة هي المقصودة، ولكنه استعاض عن حرف الروي بالتصريع بين البيتين، وأطول تلك الأراجيز أرجوزة الشريف العقيلي في تقضيل الغبوق على الصبوح.

د- التدوير: "هو اشتراك شطري البيت في كلمة، يأتي بعضها في نهاية الصدر، وبعضها الآخر في بداية العجز"⁽²⁾

كقول عبد المحسن الصوري⁽³⁾:

خَلَّتْهُ فِي خِلَالِ أَوْرَاقِهِ الْخَضْرُ رِ وَلَوْنِ اسْوَدَادِهِ وَالظَّلَامُ
فالملاحظ أن آخر تفعيلة للصدر وهي (فاعلاتن) من البحر الخفيف قد انتهت عند حرف الضاد، والراء تأتي في بداية العجز لتكون تفعيلة (فعلاتن) في بدايته.
وعادةً ما توضع إشارة - بين الشطرين أو يرسم حرف الميم بين الصدر والعجز للإشارة إلى التدوير. وأكثر ما يقع التدوير في البحور الخفيفة والمجزوءة.
وهذه الظاهرة لافتة في شعر وصف الطعام والشراب لأن الأوزان الخفيفة والمجزوءات تكثر فيه ومن ذلك قول تميم بن المعز لدين الله الفاطمي⁽⁴⁾:

ما ترى الكرم كيف نضدّ ياقو تاً وأبدى زمرداً منظوماً
وهذا من البحر الخفيف أيضاً، وقد جاءت كلمة (ياقوتاً) بعضها في نهاية الصدر وبعضها في بداية العجز.

ومن المقطوعة نفسها قوله:

كنواصي القيان نظماً وكالشهْ د مذاقاً وكالعبير نسيماً

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 154

(2) محمود مصطفى، أهدى السبيل إلى ما علمني الخليل، 102

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 109 والنويري، نهاية الأرب 151/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 376

(4) تميم، الديوان، ص386.

ومن التدوير في مجزوء الرجز قول ظافر الحداد (1):

كأنما قلوبه
من توأم ومفرد
جواهرٌ لكنمال
أصدافٌ من زبرجد

ومن التدوير في بحر الهزج قول كشاجم (2):

كما زَيْنَ صوبُ الغيبِ
ثِ في الروضِ أفانينه
فجاءت وهي من أطيـ
بِ ما يؤكُلُ مشحونه

ومن التدوير في مجزوء الكامل قول ظافر الحداد في وصف فقاعي (3):

مزجت يداه الطيب فيـ
ـه فكان أطرف من مَرَجْ

ومن التدوير في مجزوء الرمل قوله أيضاً (4):

عندنا كيزانُ فقاً
مَنْ رآنا تورِدُ الأ
ظنَّ في أنملنا لـ
عِ له خبرٌ ومنظرُ
دي إليه ثم تصدرُ
لثَمِ تفاحاتُ عنبرُ

ولا يعتبر التدوير عيباً في النظم، بل ضرورة اقتضتها الأوزان الشعرية الخفيفة التي لا يمكن أن تنتهي فيها التفعيلات مع نهاية الكلمات، فتقضي التفعيلات والأوزان توزيع الكلمة بين شطرين حفاظاً على الوزن والموسيقى.

الضرائر الشعرية:

هي ما وقع في الشعر مما لا يجوز أن يقع في النثر (1) وقد وقع شعراء وصف الطعام والشراب في كثير منها وهي:

(1) ديوان ظافر الحداد 369 والنويري، نهاية الأرب 88/11

(2) ديوان كشاجم 306

(3) ظافر الحداد، الديوان، ص75، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 159 والصفدي، الكشف والتنبيه 402

(4) ظافر الحداد، الديوان، ص153، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 159 والصفدي، الكشف والتنبيه 402

(1) محمود الألوسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر 6

1 - **صرف الممنوع من الصرف** : وذلك بجره بالكسرة أو تنوينه، وهو كثير، وأمثلته في شعر وصف الطعام والشراب أكثر من أن تحصى، نظراً لكثرة ما ورد في وصف الطعام من استخدام للألوان كأحمر وأخضر وأصفر، وهي على صيغة أفعال الممنوعة من الصرف ومن ذلك قول عبد المحسن الصوري⁽²⁾

عنبٌ أسودٌ كانَّ عليه حلاً من حنادس الظلماء

فقد نوّن (أسود) وهي ممنوعة من الصرف حتى يستقيم له الوزن الشعري. ومنه أيضاً قول كشاجم⁽³⁾:

ملتحفاً للحرّ ثوباً أصفرا معتمداً من الحرير أخضرا

فقد نوّن (أصفرا وأخضرا) لإقامة الوزن، ولضرورة القافية أيضاً. ومنه تنوين صيغة منتهى الجموع الممنوعة من الصرف، كقول ابن وكيع⁽⁴⁾

غلثلاً حمراً على جُسوم بيضٍ رطابٍ من بنات الروم

فقد نون (غلثلاً) الممنوعة من الصرف. ومنه قول ظافر الحداد⁽⁵⁾:

جاء بلوزٍ أخضرٍ أصغرُهُ ملءُ اليد

فقد جرّ كلمة (أخضر) ، وهي ممنوعة من الصرف.

2 - **قصر الممدود**: وهو من الضرائر المجمع على جوازها وصحتها⁽⁶⁾ لأنه رجوع إلى الأصل، فأصل الممدود هو القصر، وأمثلته كثيرة ومن ذلك قول كشاجم⁽⁷⁾:

وقدرٍ بها تسلقُ الباقلًا قبيل الصباح لمنْ قد خَمُرُ

فقد قصر كلمة (الباقلًا) والأصل (الباقلاء) للوزن الشعري. ومنه قول ابن وكيع في وصف الباقلاء أيضاً⁽¹⁾:

مَثْبُطَاتٍ كَالهلالِ المبتدي يفتُرُّ عن فيروزٍ رطبٍ ندي

فقد قصر كلمة (المبتدي) وأصلها (المبتدئ) للقافية والتصريع مع (ندي)

(2) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 109 والنويري، نهاية الأرب 151/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 376

(3) ديوان كشاجم 156 والنويري، نهاية الأرب 36/11

(4) النويري، نهاية الأرب 259/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 388

(5) ظافر الحداد، الديوان 369 والنويري، نهاية الأرب 88/11

(6) الألوسي، الضرائر 281

(7) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 124

(1) كشاجم، الديوان 89

ومنه أيضاً قول الشريف العقيلي⁽²⁾:

وقد زها رمّانها مع ما زها لما حوى حسناً وطيباً وبها
فقد قصر كلمة (بها) وأصلها (بهاء) لاقتضاء القافية ذلك وللتصريح أيضاً مع (زها).

3 - جمع (فاعل) على (فواعل): قال الألويسيّ (والذي تحصّل من جميع ما ذكرناه أن جمع فاعل على فواعل من الضرائر الشعرية سواء كان للعاقل على قول أو مطلقاً على قول آخر)⁽³⁾ ومنه قول الشريف العقيلي⁽⁴⁾:

كأنّهُ في القضب الموائل كراتٍ عاجٍ أو نضارٍ نازلٍ
فقد جمع (مائل) (على موائل) للضرورة وزناً وقافية

ومنه قوله أيضاً⁽⁵⁾:

ومجمعٌ بين كواميخه مخلّلاتٌ غيرُ سوقيةٍ
فقد جمع (كامخ) على (كواميخ) على وزن فواعيل وهو أكثر ميلاً نحو الخطأ، إذ أنّ فواعيل ليست واردة قط إلا للضرورة.

4 - زيادة (ما) في حشو البيت لملاءمة الوزن:

قال الألويسيّ (وقد تزايد ما في مواضع مخصوصة مفصلة في محلّها، وقد تزايد في غير تلك المواضع للضرورة الشعرية⁽⁶⁾).
ومن ذلك قول ابن القطّاع الصقلي⁽⁷⁾:

انظر إلى البُسر إنّ صورتهُ أحسنُ ما صورةٍ رأى الرائي

فلقد وضعت (ما) حشواً للوزن الشعري، والأصل (أحسنُ صورةٍ رأى الرائي) فما هنا زائدة ومثله قول كشاجم⁽¹⁾:

مرهفةً ذاتَ شباٍ وحدّ لغيرٍ ما ذحلٍ وغيرٍ حقدٍ
والأصل (لغيرٍ ذحلٍ وغيرٍ حقدٍ) فما هنا زائدة للوزن الشعري

(2) الشريف العقيلي، الديوان، 306

(3) الألويسي، الضرائر، 189

(4) الشريف العقيلي، الديوان، 307

(5) الشريف العقيلي، الديوان، 300

(6) الألويسي، الضرائر، 284

(7) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 113 والصفدي، الكشف والتنبيه 363

(1) كشاجم، الديوان 145

5 - تسكين ميم (لم):

كقول عبيد الله بن أبي الجوع⁽²⁾

شعبانٌ قد صار نضواً ولمْ لمْ نفذْ فيه لهوا؟

والأصل (ولم) ولكنه سكّنها للوزن الشعري. ومثله قول عرقلة الدمشقي⁽³⁾:

يقولون: لمْ أرخصت شعرك في الورى؟ فقلت لهم: إذ ماتَ أهل المكارم

6 تحريك المجزوم بالضم:

وقد أجازَه العلماء في الشعر، ومنه قول العماد الكاتب في وصف الممش⁽⁴⁾:

وجنّاتها محمّرةٌ وجنّاتها فمن يراها مثلي يحبُّ ويعشق

فمن قد جزمت فعل الشرط (يرها) وكان من حقّها جزم الجواب (يحبُّ) بدليل أنه جزم الفعل المضارع بعده (يعشق) وحركه بالكسر لموافقة القافية

7 حذف اللام الواقعة في جواب شرط (لو):

لم يورد الألويسي في كتابه "الضرائر" هذه الضرورة، وهي خطأ نحوي ارتكبه الشاعر لانتلاف الوزن، ولذلك فإننا نضعها في باب الضرائر، وقد وردت في قول تميم بن المعز⁽⁵⁾:

غلطوا حين سمّوا الكرمَ كرمًا لو أصابوا القياسَ قالوا الكريما

والصواب: لقالوا الكريما

8 ضرائر الزيادة: وهي إضافة حروف أو كلمات ليست من مقتضيات التركيب النحوي أو

البلاغي كإضافة اللام بعد الفعل (يحكي) وهو فعل متعدٍ في قول كشاجم⁽⁶⁾

وقشره في الخارج يحكي للزبرجدِ

والصواب (يحكي الزبرجدا) أي يشابهه، ولكنه أقحم اللام حتى يجزّ الزبرجد فيوافق القافية.

ثانياً: المستوى البلاغي

في دراستي للمستوى البلاغي لشعر وصف الطعام والشراب في مصر والشام في العصر

الفاطمي، نظرت إلى الشعر بمقاييس النقد والبلاغة التي كانت سائدة في ذلك العصر، وقد

وقفت في هذا الباب على ثلاثة مستويات بلاغية، هي:

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر 412/1

(3) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء الشام 182/1.

(4) العماد الأصفهاني، الديوان، 316.

(5) تميم بن المعز، الديوان، 386

(6) النواجي، حلبة الكميت 271.

- 1- **التشبيه:** وهو المستوى الأوسع في الدراسة، وقد صنفته حسب أحد تصانيف أبي هلال العسكري⁽¹⁾ في كتابه "الصناعتين" وإن تصرف في ذلك بعض الشيء بما يتفق وموضوع هذا البحث، التشبيه المفرد، والتمثيلي والمقلوب، والاستعارات بأنواعها.
- 2- **الفنون البديعية:** وقد استقرأتها من خلال القصائد والمقطوعات الشعرية، حيث أوردت ما ورد من فنون البديع اللفظية والمعنوية في هذا الغرض من الشعر.
- 3- **الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية:** وخروجها عن مقتضى الظاهر إلى معانٍ بلاغية أخرى.

1- **التشبيه:** وهو أن يثبت للمشبه حكمٌ من أحكام المشبه به، وإقامة المشبه به مقام المشبه لصفةٍ جامعةٍ بينهما⁽²⁾. وهو إما أن يكون تشبيه محسوس بمحسوس، أو تشبيه محسوس بمعقول لأن تشبيه المعقول بالمحسوس والمعقول بالمعقول ليس وارداً في هذا البحث؛ إذ المشبه وهو الطعام والشراب أمرٌ محسوس وليس معقولاً.

ولاحظت أن تشبيهات أهل الشام كانت مختلفة عن تشبيهات أهل مصر نظراً لاختلاف البيئة والمناخ وبعض العادات؛ لأن التشبيه هو ابن بيئته في المقام الأول، وفي هذا يقول الصفدي⁽³⁾.

"وأهل مصر يعذرون في تشبيه الثلج الساقط من الجو إذا قصرّوا عن قرب المشبه من المشبه به لأنه لا يكون في بلادهم ... وتجد تشبيه شعراء مصر للينوفر⁽⁴⁾ يختلف عن تشبيه أهل الشام وغيرهم لأن ذلك اللينوفر غير هذا في الشكل واللون".

ولكنني توسعت أكثر في تصنيف اللون الواحد من التشبيه، فإذا تحدثت عن تشبيه المحسوس بالمحسوس لونا فسوف أفصل هذه اللوحات اللونية الجميلة التي تتداخل فيها الألوان والصور الحسيّة.

أولاً: التشبيه وفق تصنيف أبي هلال العسكري:

أ- **تشبيه المحسوس بالمحسوس:** وهو كما أسلفنا يسيطر على معظم هذا البحث، لأن تشبيه المحسوس بالمعقول كان نادراً في وصف الطعام والشراب بخاصة، وفي بقية الموصوفات بعامة، وقد درسته كما يلي:

(1) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، أديب مصنف شاعر، من آثاره "الصناعتين" و"ديوان المعاني"، توفي عام 395هـ، ياقوت الحموي، معجم الأدباء 6/ 177 والزركلي، الأعلام 2/ 211-212.

(2) عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 62.

(3) الصفدي، الكشف والتنبيه ص 60.

(4) اللينوفر: زهر مختلف الألوان من أزرق وأصفر وأحمر وأبيض، وهو زهرٌ مائي، ابن ظافر، غرائب التنبيهات 89.

1- تشبيه الطعام والشراب بما يشابهه لونا: سيطرت الألوان على التشبيهات في كل الأشعار التي هي موضع الدراسة ولاسيما ما جاء منها في وصف الثمار والفاكهة وحتى الخراف والحملان المشوية، فأول ما يبادر الشاعر إلى وصفه في الموصوف هو لونه، وقد أغنت الموصوفات من الفاكهة الملونة خيال الشعراء، فبادروا إلى تشبيهها بكل ما هو نفيس غالي الثمن، لأن من غايات التشبيه رفع مكانة المشبه إلى مثال يفوقه حسناً وقيمة، ولذلك فقد شَبِّهوا الثمار بالأحجار الكريمة كالياقوت، والفضة، والعقيق، والتبر، والزبرجد، والسبح، وفصوص العاج والزمرد، وغيرها فاختاروا لكل فاكهة ما يوافقها من هذه الأحجار لونا، وعندما تكون الصورة ملونة يدخل فيها أكثر من لون فإنهم يختارون لذلك ما يتعدد ألوانه من هذه الأحجار، وقد اخترت عدداً من الألوان كما وردت في شعر الدراسة، وهي:

1- **البياض والسواد** : وقد ظهر ذلك في وصف أزهار الباقلاء، قال ابن وكيع فيها⁽¹⁾:

كأنمــــا مبيضةً يلوح في ذاك الدعج

خواتمٌ مــــن فضةٍ فيها فصوصٌ من سبج

والألوان هنا واضحة (مبيضة ودعج) وقد جعل السواد كسواد الخرز الأسود (السبح) والبياض كبياض الفضة.

2- **الأسود وحده**: وهذا ما ينطبق على الإجاص بحسب المسمى في ذلك العصر وهو كما أسلفنا ثمرٌ كروي أسود صغير، قال تميم بن المعز⁽²⁾:

وإجاصٍ يشفّ لناظريه كأنّ متونه سبجٌ صقيلٌ

والسبج خرزٌ أسود، ولذلك فالصورة قد سيطر عليها اللون الأسود.

3- **الأسود والأصفر**: وهذان اللونان المختلفان يظهران في قطعة لكشاجم في وصف تينٍ أسود وأصفر حين قال⁽³⁾:

أهلاً بتين جاءنا منضداً على طبقٍ

يحكي الصباح بعضه وبعضه يحكي الغسق

فالمصباح لونه أصفر كلون إشراقه الشمس وهذا التين أصفر، وأما التين الأسود الضارب إلى الحمرة فيشبه لون الغسق.

4- **الأسود والأحمر**: وهذا اللونان للتوت، قال أبو المحاسن الشوّاء⁽¹⁾

وكأنّ التوت في أغصانها لؤلؤٌ بين عقيق وسبج

(1) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات ، ص100.

(2) تميم ، الديوان ، ص410.

(3) النويري، نهاية الأرب، 11/159.

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه ، ص353.

والعقيق أحمر والسبيج أسود

5- الأحمر وحده: وقد جعله ابن وكيع التينسي للبصل عندما شبهه برومي يرتدي غلاي ل حمراء في قوله⁽²⁾:

يحكي لعينيك احمراره قشره
إذا رماه ناظرٌ بفكــــره
غلائلاً حمراً على جسمٍ
بيضٍ رطابٍ من جسمٍ الروم
وجعله ابن الخياط الدمشقي لل نارنج الأحمر فقال⁽³⁾:
ومعشوق نارنج يريك احمراره
خدود عذارى بالعتابِ تضرّجُ

6- الأحمر والأخضر: وهذان وردا خارجاً وداخلاً، وصورته في قول الواواء الدمشقي في وصف البطيخ⁽⁴⁾:

كسلة خضراء مختومة
على الفصوصِ الحمرِ في القطنِ

7- الأحمر والأصفر: وهما لونان للتفاح، وبعض الكمثرى، ومن جميل التصوير ما قاله تميم ابن المعز لدين الله الفاطمي في وصف تفاحة نصفها أحمر ونصفها أخضر، قال⁽⁵⁾:
ومذكرة ريح الحبيب بريحها
وحاكية خديه لي باحمرارها
تجاور لونها احمراراً وخضرة
فيا عجباً من مائها قرب نارها
فهو يشبه خذ التفاحة بخذ الحبيب في حرته ولون النار أيضاً، ولكنه لم يصب عندما جعل اللون الأخضر للماء!.

وهي صورة مشابهة لما قاله عبد الرحمن الواعظ المعري⁽¹⁾:

تفاحة ذكرني نصفها
خذاً الحبيب حين قبلته
ونصفها الآخر شبّهته
صفرة لوني حين ودّعته

(2) الصفدي ، الكشف والتنبيه ص388، والنويري ، نهاية الأرب 259/11.

(3) ابن الخياط ، الديوان ، ص144.

(4) الواواء الدمشقي ، الديوان ، ص277.

(5) تميم بن المعز ، الديوان ، ص191.

(1) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام 191/9.

ومن الجميل أنه لم يختَر لتلك الألوان ما شابهها من الأحجار الكريمة، ولكنه اختار لون البشر في حالات نفسية متعددة، فاختار لون الصفرة في التفاحة ليقابله بصفرة الوجه من الخوف والاكْتئاب لحظة الوداع، واختار اللون الأحمر في التفاحة ليقابله بحمرة وجه المحبوب وتورده خجلاً عندما قبّله، وهذا التصوير أجمل من مجرد المقابلة بين ألوان الفاكهة وألوان الأحجار الكريمة.

8- الأخضر والأسود: وهما لوان للزيتون والعنب، وغالباً ما يكونان مختلطتين، فالعنب الأسود يبدو في وسط أوراقه الخضراء، وأما الزيتون فاللونان يكونان لثمره أخضر تارة وأسود تارة أخرى، قال عبد المحسن الصوري⁽²⁾:

عنبٌ أسودٌ كأنَّ عليه	حلاً من حنادس الظلماء
خلته في خلال أوراقه الخض	ر ولون اسوداده والصفاء
كقموعٍ على أناملٍ سود	لُحْن من كمٍّ لاذةٍ خضراء

فصورة العنب الأسود يبدو من خلال عريشة من الورق الأخضر تشبه أصابع مصبوغة بالحناء برزن من كم فتاة ترتدي حريراً أخضر.

ومما جاء في لون الزيتون الأخضر والزيتون الأسود قول ابن وكيع⁽³⁾:

انظر إلى زيتوننا	فيه شفَاء المهج
بدا لنا كأعين	شُهُل وذاتٍ دعج
مخضرة زبرجد	مسووده من سبج

فأخضر الزيتون كالزبرجد وهو حجر كريم أخضر وأسوده كالسبج، وما كان فيه أسود ضارب إلى الحمرة فهو كالعيون الشُّهل.

9- الأخضر وحده: وهو لون القثاء (الخيار) واللوز الأخضر، وهما أخضران لا تشوبهما شائبة وصورتها لوناً كصورة الزبرجد لأنه الحجر الكريم الوحيد الأخضر. ولذلك قال السري في وصف خياره⁽¹⁾:

زبرجدة حسنت منظرأ	وكافورة بردت ملمسا
لها أخوات لطاف القدود	إذا ما تبرجن خضر الكسا

وقال ظافر الحداد في اللوز⁽²⁾ :

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 376، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 109 والنويري، نهاية الأرب 11/151.

(3) النويري، نهاية الأرب 11/132.

(1) السري الرفاء، الديوان، ص154.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص369، والنويري، نهاية الأرب 11/88.

جاء بلوز أخضر ————— أصغرهُ ملء اليد
جواهرٌ كأنما ال ————— أصداف من زبرجد

10- الأصفر وحده: وهو لون الأترج الذهبي، ولذلك فكثيراً ما شُبِّه الأترج بالذهب والتبر قال السري الرفاء⁽³⁾:

وكانّها ذهبٌ حوى كافورة ————— فغدا بريّاها وراح مطيّبا
صفراء ما عنت لعيني ناظر ————— إلا توهمها سناناً مذهباً

وقال أيضاً⁽⁴⁾:

تبرية اللون في محاسنها ————— كعاشق من حبيبه قنطرا
ولكن هذه المرة خرج عن تشبيهها بالذهب، واختار لون العاشق المحب الأيس من محبوبه لتشابههما في اللون.
11- الأصفر في وسط أخضر: وهو لون المشمش يبدو بين أوراقه الخضراء، وفي هذا يقول العماد الكاتب⁽⁵⁾:

بدت بين أوراق الغصون كأنّها ————— كرات نضارٍ في لجين مطرق

وقد أحسن في تشبيه المشمش بكرات الذهب، ولكنه أخطأ في تشبيه أوراق الشجر الخضراء بالفضة لأن الفضة بيضاء وليست خضراء.

12- الأخضر المصفر: وهو لون السفرجل، فلونه أخضر ضاربٌ إلى الصفرة كلون الزعفران وله صورة لطيفة عند ظافر الحداد الذي يقول في وصف لونه⁽⁶⁾:

يحكي قوارير ماء الورد خالطه ————— فيها من الزعفران المسك بالعسل

وقال ابن الخياط الدمشقي في صفرة الكمثرى⁽¹⁾:

ثمرٌ كأنّ به الـ ————— بي من جوى فيه اصفـرارُ
أبقى الهوى أثـراً به ————— والسُكّرُ يتبعه الخـمـارُ

(3) السري الرفاء، الديوان، ص160، والصفدي، الكشف والتنبيه 349.

(4) العماد، خريدة القصر 1/ 154.

(5) العماد الكاتب، الديوان، ص330، والصفدي، الكشف والتنبيه 355.

(6) النويري، نهاية الأرب 11/ 162.

(1) ابن الخياط، الديوان، ص284.

وقد شبه الشاعر صورة صفرة السفرجل بصفرة العاشق المشتاق إلى محبوبه وقد بدت هذه الصفرة في وجهه.

ومن خلال قصدي واستقراي لتشبيهات ألوان الثمار وجدت أن الشعراء في تلك التشبيهات قد اختاروا أن يشبهوها بأمرين: الأول: الأحجار الكريمة المتعددة الألوان، وذلك لقيمتها العالية ونفاستها رفعا لشأن المشبه. الثاني: وجوه العشاق التي تعكس بألوانها حالاتهم النفسية كالخوف والخجل والاشتياق والحزن وغيرها.

ب- تشبيه الطعام والشراب بما يشابههما شكلاً:

بالنظر إلى المشبه به في غالبية شعر الثمار والطعام والشراب وجدت أن المشبه به لا يعدو في الشكل أحد ثلاثة أمور:

- 1 - **الأحجار الكريمة** : وقد سبقت الإشارة إليها في موضوع اللون، والشعراء إنما اختاروها للمشابهة فيه، ولكن بعض حالات التشبيه كانت تشابهاً في الشكل أيضاً، لقول كشاجم⁽²⁾ في وصف الرمان:
كأنها حقّة فإن فتحتْ فصرّة من فصوص ياقوت
2 - **أجزاء من جسم الإنسان** : وأغلب ذلك في المزج بين الغزل والوصف كتشبيه الثمار بالعنق والخذّ، والرؤوس، والعيون، والكفّ، والثنايا، والنهود، والأنامل، والقذود، والقلوب كقول تميم بن المعز في وصف الخوخ⁽³⁾:
ولمّا لاح لي نشرٌ ذكيٌّ من الخوخ المشبّه بالخدود
ذكرت به ثناياها ولكن ثناياها لها فضلُ المزيدِ
فرائحة الخوخ ذكرت برائحة الحبيب، وشكله ذكره بخدودها مرة، ونهودها مرة أخرى.
3 - **المشاهدات الكونية**: كالهلال والبدر والصبح والغسق والكواكب والثلج وغيرها، ومثال ذلك قول ابن الساعاتي مادحاً وواصفاً البطيخ⁽⁴⁾:
لدى منزلٍ سابغٍ ظلّه بمنزل من أسبغ الله ظلّه
أتانا بأقمارنا وانتنى بهنّ وقد صيغ منها أهله
فقد شبه البطيخ قبل تقطيعه بالقمر بدرًا وشبهه بالأهله بعد تقطيعه.
ج- **تشبيه الطعام والشراب بما يشابههما في الرائحة**:

(2) كشاجم، الديوان، ص78، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 114، والصفدي، الكشف والتنبيه 365.

(3) تميم، الديوان، ص113.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 360.

وهو كثير لا تخلو منه مقطوعة، لأن الرائحة العطرية غالباً لازمة للثمار والفواكه وألزم للأطعمة المطبوخة والمشوية وهي باعث على الشهية وأول ما يقابل الواصف بعد الرؤية وقبل الأكل ومن ألفاظ المشبه به في هذا الباب:

المسك، والكافور، والعنبر، والندّ، والطيب، وشراب الورد، والإذفر، والأرج،
والعبير، والنشر، والصنّدل، والخلوق، والريحق، والريحان.

ومن ذلك قول كشاجم في رائحة البطيخ الأصفر (الشمام)⁽¹⁾:

وزائر زار وقد تعطّرا أسراً شهداً وأذاع عنبراً
وأودعت منه اللهاة السكرًا ينفث في الأنوف مسكاً إذفرا

انظر كيف احتوى هذان البيتان على أربعة ألفاظ للرائحة هي : تعطرا وعنبرا ومسكاً وإذفرا ومن الجدير بالذكر أن مشابهة رائحة الثمار والطعام المطبوخ برائحة العطور سالفة الذكر ليس من قبيل المماثلة؛ بل هناك فرق كبير بين رائحة الشمام ورائحة العنبر أو المسك، ولكن الهدف من تشبيه رائحة الثمار والطعام برائحة تلك العطور هو التعبير عن الرائحة النفّاذة الزكية لتلك الثمار والطعام، وأجمل من رائحة العطور رائحة الحبيب.

يقول ابن الخياط في رائحة خيار⁽²⁾:

كأن نسيمه أنفاس حُبٍّ فليس لمغرم عنه اصطبارُ

د- في الملمس: وغالباً ما يعكس هذا التشبيه للملمس الغضّ أو الناعم أو البارد أو الخشن أو الثقيل، ومن ذلك:

1- البارد: ومثله قول السري الرفاء في وصف خيار⁽³⁾:

زبرجدة حسنت منظراً وكافورة بردت ملمساً

فانظر إليه يجمع بين اللون والشكل والرائحة والملمس فهي كالزبرجدة في لونها والكافورة في عطرها، وأما ملمسها فهو بارد وهي صفة تليق بالخيار، وهو يطفئ العطش إذا كان بارداً.

2- الخشن: ومنه قول كشاجم أيضاً في وصف " الشمام "⁽¹⁾:

(1) كشاجم، الديوان، ص156 والنويري، نهاية الأرب 36/ 11.

(2) ابن الخياط، الديوان، ص16.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص154.

(1) كشاجم، الديوان، ص99، والنويري، نهاية الأرب 36/11.

يا جاني البطيخ من غرسه جنيت منه ثمر الحمد
بظاهر أخشن من قنفذ وباطن أنعم من زبد
فظاهر الشام خشن ولكن ليس كخشونة القنفذ، بل أحسن، وأما الباطن فناعم أنعم من الزبد.
3- الطري: ومنه قول صالح بن مؤنس في صفة جدي⁽²⁾:

كأن بين جلده ولحمه لفات قطن بسطت من شحمه
يؤكل من نعمته بعظمه

فهو غض طري كالقطن لدرجة أنه يؤكل بعظمه لشدة طراوته.
وقد جمع بعض الشعراء ثلاثة ألفاظ للملمس في موصوف واحد، قال قمر الدولة جعفر بن
دّواس المصري في وصف الشام في معرض الهجو⁽³⁾:
فغدوت كالبطيخ لا حلواً بل التـ تشبيه يحكي قائماً أو قاعداً
لا يحمّد الوصاف من أوصافه ما لم يكن خشناً ثقيلًا بارداً
والشاهد في قوله (خشناً ثقيلًا بارداً) وهي صفات ثلاث في الملمس (النقل، والبرودة
والخشونة) حسنة في الشام ولكنها سيئة في حق المهجو.
هـ- في المذاق: وهو أصل الغاية من التشبيه، إذ أن خير ما يغرى به السامع من لذة الأكل
هو طعم المأكول.

والتشبيه فيه على ضربين: ضرب تقليدي وهو تشبيه مذاق الطعام بمذاق السكر أو
الشهد أو العسل أو الخمر، وما يناسب ذلك من وصف لمذاق المشبه.
وضرب غريب فيه تشبيه لذة مذاق المأكول باللذة الجنسية كطعم القبلّة أو مصّ الشفاه واللسان
1 - ومن الضرب الأول قول الوأواء الدمشقي في طعم البطيخ الحلو⁽⁴⁾:

وذاث ريق إن ترشفتـه وجدته أحلى من المنّ
والمنّ هو العسل أو شبهه

وقول الشريف العقيلي في طعم الشمّار (الشومر)⁽⁵⁾:

وشمّار متى بشمنا وجدنا فيه طعم الجوارش الكمّون
وفي هذا البيت تصوير لصوت الأكل وهو الجرّش، حيث يحصل صوت من أكل الشيء
الخشّن عند أكل الشمّار، ثم تصوير لطعم ذلك الشمّار وهو طعم الكمّون .

2- ومن الضرب الثاني وهو المزج بين لذة الطعم واللذة الجنسية قول ابن القيسراني⁽¹⁾:

(2) الثعالبي، بئيمة الدهر 1/ 404.

(3) العماد الكاتب، خريدة القصر / قسم شعراء مصر 218/12.

(4) ذيل ديوان الوأواء الدمشقي 277.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، ص 277.

(1) ابن القيسراني، الديوان، ص 91، والصفدي، الكشف والتنبيه 385.

نزلنا على القصب السكريّ
بحزّ كحزّ رقاب العدا
نزل رجال يريدون نهبة
ومصّ كمصّ شفاه الأحبة

نزلنا على القصب السكريّ
بحزّ كحزّ رقاب العدا

فهو يشبّه مصّ قصب السكر بمصّ شفاه المحبوبة
وقول صالح بن مؤنس في أكل لسان خروف⁽²⁾:

ولأصل اللسان طيبٌ ينسيّ — ك من الطيب مصّ طرف اللسان
فمصّ طرف لسان المحبوبة ليس له اعتبار إذا ما قورن بطعم لسان الخروف، وربّما لم يصب
في تشبيهه!

وقول ظافر الحداد في تشبيه طعم الكمثرى⁽³⁾:

لم أدّيه من فمي إلا وأحسبُهُ — من النهود لذيق العضّ والقُبْلِ
قد ذقتُ من طعمه ما كاد يبلغُ بي — ما ذقتُ من رشف محبوب على عَجَلِ

فلذة الكمثرى كلّذة عضّ المحبوب، وتقيله ورشف فمه، وهو نموذج لتشبيه لذة الطعم بلذة
المحبوب وهو من قبيل مزج الوصف بالغزل.

والخلاصة أن الشعراء قد اختاروا أجمل الأشياء وأندرها وأرفعها قيمة ليشابهوا
بينها وبين الفاكهة والثمار وصنوف الأطعمة، بل لقد شابهوا بين الأطعمة وبين لذائد الدنيا
الأخرى فرفعوا قيمة الطعام وشهوة الأكل ومتعة النظر إلى جمال الأطعمة إلى أعلى الدرجات
وأرقى المشاهدات.

ومن نادر المقطوعات ما جاء في ذم مذاق الفاكهة، وهو ما جاء على لسان أسامة بن
منقذ الذي اعتاد على أكل رمان الشام طيب الطعم، فلما أكل من رمان مصر ذمّه قائلاً⁽⁴⁾:

رمان مصر كأنّهُ ذرةٌ — آكله شاخصٌ من الغُصصِ
والريق فيه فدع سواه إذا — أساغهُ المرءُ كان بالنعصِ

فهو يشبه طعم الرمان بطعم الذرة، وهو ذم لمذاق الرمان، يكاد آكله يموت من
الغُصّة.

ب: تشبيه المحسوس بالمعقول: وهو أعلى درجات التشبيه كما قال الصفي ونسبته أقل
بكثير من تشبيه المحسوس بالمحسوس، ومن أمثلة ذلك :

(2) النعالي، بتيمة الدهر 1/ 404.

(3) النويري، نهاية الأرب 162/11.

(4) أسامة بن منقذ، الديوان، ص 158.

1- تشبيه التمر بالأمنيةّة: قال ظافر الحداد في تشبيه التمر البرني⁽¹⁾:

وأكله طيبةً هنيئةً بنتٌ نخيلٍ حلوةٌ جنيئةً
أحلى من الفرصةِ بالأمنيّة بالغ فيها النضجُ وهي نيّة

فحلاوة التمر أشدُّ من حلاوة ظفر الإنسان بأمنيّته، وهو تشبيه محسوس وهو الحلاوة بمعقول وهو حلاوة الحصول على البغية.

2 - تشبيه الجبن بالحنوّ والإشفاق: قال الشريف العقيلي يصف ألواناً من الطعام ومنها الجبن⁽²⁾.

وجبنٌ كاحتمالٍ وملحٌ كيباض الحنوّ والإشفاق
فقد علمنا الملح أبيض، ولكن هل للحنوّ والإشفاق من لون؟! لقد ألبس الشاعر الحنوّ والإشفاق لوناً أبيض وشبه به بياض الجبن والملح.

3 - تشبيه الحلوى بصفات الممدوح:

ومثله قول ابن قلاقس في حلواء هي البَسَنَدُود⁽³⁾:

وكأنما الحلواء قد عقدت من ذلك المعقود من شيمك
فالحلواء تعقد بالسكر وليس بصفات الممدوح، وقد شبه الحلواء المعقودة بالسكر بما انعقد من الصفات المعنوية للممدوح.

4 - تشبيه القطائف بالعتاب: قال ظافر الحداد في وصف طعم القطائف⁽⁴⁾:

وطعمُها كلذة العتابِ من بعد صدّ طال واجتتابِ
فلذة القطائف كلذة بين حبيبين متعائبين تقابلا بعد طول صدٍ وهجران.

5 - تشبيه السمك بالهلاك أو النجاة:

ومن ذلك قول الشريف العقيلي في وصف السمك البلطي⁽⁵⁾:

لنا من بناتِ الماءِ بيضٌ ألدّ من هلاكِ عدوّ أو نجاةِ صديق
فقد شبه لذة طعم السمك البلطي المحسوسة بلذة هلاك العدو أو نجاة الصديق وهي لذة عقلية نفسية، وإن لم يستخدم أدوات التشبيه، لكنه جعل اللذتين في مجال المقارنة والتشبيه.

ج- بدائع التشبيهات:

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص330.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص224.

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 156.

(4) ابن ظافر، الديوان، ص9.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، ص215.

لا تقع التشبيهات كلها في مستوى واحد من الإجادة، فقد جاء بعضها مكرراً وتقليدياً وعماماً فيما يتقنه جميع الشعراء أو ما يسميه النقاد المعاني العامة المشتركة، فيما جاء البعض الآخر متميزاً يظهر براعة في الوصف، وجودة في التشبيه، وإجادة لا يبلغ سائر الشعراء شأوها، فيما سمّيته "بدائع التشبيهات".

لا بد أن تكون الصورة الفنية مبتدعةً مبتكرة، وهذا ما سنقيس عليه بدائع التشبيهات في هذا الموطن، وقد رأيت عامة التشبيهات في شعر وصف الطعام والشراب مكررة مألوفة عامة، كتشبيه الفاكهة بالأحجار الكريمة في شكلها ولونها، وبالعطور في رائحتها وبالقطن في غضاضتها وطراوتها، وهذا مما يتفق فيه سائر الشعراء، ولا أحد فيه للإبداع مقيلاً، على أن بعض الشعراء قد اختص بصورٍ لم يسبق إلى مثله، وقد تمكنت من حصر عددٍ من بدائع التشبيهات في حدود معرفتي - ودرستها وفق الآتي:

1- صورة التين عند أسامة بن منقذ إذ يقول⁽¹⁾:

أما ترى التين في الغصون بدا	ممزّق الجلد مائل العنق
وكأنه ربُّ نعمة سلّبت	فعاد بعد الجديد في الخلق
أو كأخي شرّة أغيظ فقد	ممزّق جلبابه من الحنق

فانظر إلى الصورة الطريفة للتين إذا بدا ناضجاً ممزق الجلد، وقد صنع له الشاعر صورتين: الأولى، صورة صاحب نعمة عاد فقيراً فبدا ممزق الجلباب، رثّ الهيئة، والثانية، صورة صاحب غصبة ممزق ثيابه من الغيظ، وهما صورتان طريفتان لم يسبق إليهما فريدة وتميزاً

2- صورة العنب عند عبد المحسن الصوري إذ يقول⁽²⁾:

عنبٌ أسودٌ كأنّ عليه	حلاً من حنادس الظلماء
خلته في خلال أوراقه الخض	رٍ ولون اسوداده والصفاء
كقموعٍ على أنامل خـودٍ	لُحْنٍ من كمٍّ لاذةٍ ⁽³⁾ خضراء

والجدّة والطرافة في هذه الصورة هو تصوير العنب الأسود الذي يظهر من خلال عريش العنب الخضراء بصورة أصابع فتيات جميلات صبغن أطراف أصابعهنّ بالحناء، وقد لبسن ثياباً من الحرير الأخضر كما شبّه نعومة أوراق العنب بنعومة أوراق الحرير الصيني.

3- صورة الكمثرى عند كشاجم إذ يقول⁽¹⁾:

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه 373 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 118، وقد أخلّ بها ديوانه.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 376 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 109 والنويري، نهاية الأرب 65 / 11

(3) اللاذة: حرير يصنع في الصين، ابن منظور، لسان العرب، 356/12.

(1) النويري، نهاية الأرب 164 / 11.

ما احمرّ وما اصفر من مرجانه
مذهبةً في الهام من فرسانه
مثلُ تروك الجيش في ميدانه
شيبَ بريقَ الشهد في أغصانه

والطرافة في تشبيه الكمثرى وبقية غصن في رأسها، بخوذة الجندي ذات الرأس المدبب ملقاةً في أرض المعركة، وهو تشبيه فريد.

4- صورة الرؤوس عند كشاجم إذ يقول⁽²⁾:

قد عزمنا على مباحرة الشر
غير ما راق من رفاق هنيء
تلك كالماء ذي الحباب وهاتين
يالأقبالهنّ أول ما يقـ
كأناسٍ توسخّوا بالمناديب
يمتطين الحوَارَ أرؤسَ خرفا
بِ ولكن ما عندنا من طعام
مع هامٍ على عِداد الهام
كَ عليه كطير ماء نيام
بلنّ في جاحم شديد الضرام
لِ وقد أخرجوا من الحمام
نِ وينزلن عنه بيضَ نعام

والبراعة في التصوير هي في تخيل المشبه وإيجاد الشبه القوي بينه وبين المشبه به، فقد شبّه الخبز الذي ظهرت عليه الفقاعات بالماء الذي تظهر على سطحه تلك الفقاعات، وأما الرؤوس فكالطير النائم، وأما الصورة الطريفة فهي صورة الرؤوس المغطاة بالخبز الأبيض المتّشح ببعض السواد وتشبيهه بصورة أناسٍ قد خرجوا من الحمام وهم يرتدون مناديل وسخة، وفي آخر بيت يتجلى اللون الأبيض ليثبت نظافة تلك الرؤوس ونضجها، فهي كبيض النعام لا تشوبها شائبة.

إنها صور فريدة متميزة تعكس قدرة هؤلاء الشعراء على الانفراد بصور من إبداعاتهم لم يسبق لها مثيل، وهذا هو المحكّ الفيصل على إبداع الشاعر وإظهار قدرته الفائقة على التصوير.

د- التشبيهات الرديئة:

(2) كشاجم، الديوان، ص293.

كما أفردنا موطناً لبدائع التشبيهات في وصف الطعام والشراب، فإننا لا بد أن نفرّد باباً للتشبيهات الرديئة التي يمكن تصنيفها وفق التالي:

1- التشبيهات المنفّرة، من المعروف أن الهدف من التشبيه في وصف الطعام والشراب هو بعث الشهية، وبيان جمال المشبه وقيّمته. فإذا بعث التشبيه التقرّز والنفور في نفس السامع فقد جانب الهدف وبذلك فقد وقع الشاعر في الخطأ ولم يصب الغاية، ومن ذلك قول صالح بن مؤمن في وصف الأترج⁽¹⁾:

كأنما أترجّه المصبّـعُ أيدي جناة من زنودٍ تقطّعُ
فقد قصد مدح الأترج فقزّز نفس السامع، لأن صورة الأصابع المقطعة هي صورة باعثة على الاشمئزاز.

2- ومنه قول السريّ الرفاء يصف حملاً مشوياً⁽²⁾:

كسارق حُـدّ من اليدين وطرف مستوقف الطرفين
وهي صورة مقزّزة، فشتان ما بين جديّ مشوي باعث على الشهية وبين صورة سارق مقطوع اليدين!

3- ومن التشبيهات الرديئة أيضاً قول ظافر الحداد في وصف القمح⁽³⁾:

كأنّ سنابل حبّ الحصيد وقد شارفت وقت إبانها
مكانس مضمفورة ربّعت وأرخي فاضل خيطانها
فما موضع الجمال في التصوير، بتشبيه سنابل القمح بالمكانس وهي ما يكنسُ به، وأين الإبداع في هذا التصوير!؟

4- ومنها أيضاً قول كشاجم يصف عناقيد عنبٍ سوداء⁽⁴⁾:

رُحنا إلى حديقـةٍ بكل حُسنٍ محدقة
كأنما عنقودهم زنج جنوا في سرقة
فأصبحت رؤوسهم على الذرا معلقـة

(1) العماد الكاتب ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام 1/ 123.

(2) السريّ الرفاء، الديوان، ص267.

(3) ظافر الحداد، الديوان، ص236، والنويري ، نهاية الأرب 236.

(4) النويري ، نهاية الأرب 151.

ومن رداءة التشبيه تشبيه عناقيد العنب السوداء الباعثة على الشهية برؤوس زنوج معلقة، وهي صورة تبعث على الاشمئزاز وليس على التشهي، وقد خالف هذا غرض الشاعر، فنفر من منظر العنب ولم يرغب فيه، وقد وقع الشاعر في خطأ معنوي أيضاً، فإن الزنج إذا جنوا في سرقة تقطع أياديهم ولا تقطع رؤوسهم!

هـ- المعاني المشتركة:

وهي كثيرة، ولتكرارها يمكن تصنيفها في باب " المعاني المشتركة" التي أصبحت ملكاً للجميع فتشبيه الفاكهة بالأحجار الكريمة سمة يشترك فيها الكثير من الشعراء ولا يمكن تصنيفها في باب السرقات وإنما تكون السرقة في " المعاني الخاصة المبتدعة " التي سنذكر بعضاً منها على النحو التالي:

1- قول الشريف العقيلي في وصف النارنج (1):

ونارنجة بين الرياض نظرتها
على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميّلتها الريح مالت كأكرة
بدت ذهباً في صولجان زبرجد
- يشبه إلى حد كبير قول الواواء الدمشقي (2)
ونارنج تميل به غصون
فيغدو ميلها كالصولجان
لكن الشريف العقيلي جعله صولجاناً من زبرجد أخضر

2- قول ابن وكيع في تشبيه زهر الباقلاء (3):

أشبه أسوده في البياض
دراهم قد ضمخت عنبراً
يشبه إلى حد كبير وصف كشاجم الذي قال (4):
وكأن ورد الباقلاء دراهم
قد ضمخت أوساطها بالعنبر
وكانه من فوق متن غصونه
يرنو بمقلة أقبلي أو أحور

(1) الثعالبي، بتيمة الدهر 1/ 416 و ابن ظافر، غرائب التنبيهات 103.

(2) ديوانه 228 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 105 والصفدي، الكشف والتنبيه 346.

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 100.

(4) النويري، نهاية الأرب 21/11.

و- المبالغة والكذب:

إن التشبيه إذا تجاوز الخيال لم يقبله العقل، ويعدُّ ذلك من الكذب الفني والمبالغة الممقوتة وقد جاء ذلك في عددٍ من المقطوعات الشعرية منها
1- قول كشاجم في وصف دجاجة هندية⁽¹⁾:

دجاجة في شبه السَّمْنَدِ نبيلة وفخرها بالهندِ

فمهما بلغت الدجاجة من عظمها وضخامتها، لا يصح أن تشبه بالفرس.

2- ومن ذلك مبالغة ظافر الحداد في وصف القمح⁽²⁾:

بوركَ في بُرْنًا ومن زرْعَةٍ والحمدُ والشكرُ للذي صنَعَهُ
وفرَّه خصبُ عامنا فيكا دُ المرءُ يحوي من قمحةٍ شَبَعَهُ

وأيُّ من البشر يكاد يشبع من حبة قمح واحدة ! فالدجاجة لا تشبع من حبة قمح ! وهذا من المبالغات الممقوتة المكذوبة حتى لو قال الشاعر " يكاد " لأن " يكاد " من أفعال المقاربة.
3- ومن ذلك وصف شدة البخل في وصف رغيف عند ابن منير الطرابلسي، قال⁽³⁾:

رغيفُهُ مُــــــن ذرَّةٍ يصنَعُهُ أو أصغرا
مبيَّتاً ملفَّفاً مبريقاً مبيكراً
لو جاز في عين الذي يأكله لما درى
أو بلع الصائمُ أُلَـ فأمثله ما أفطرا

وعلى الرغم من محاولته رسم صورة كاريكاتيرية ساخرة لذلك، إلا أنه بالغ جداً في وصف ذلك الرغيف، فأَي رَغِيف لو بلع الصائم ألفاً منه ما أفطرا ؟ !

وخلاصة القول إنه لا معنى لوصف الطعام والشراب بلا تشبيهات، فالتشبيه قد أكسب الموصوف حلَّة من النفاسة وعلوَّ القيمة، كما أظهر مقدرة شعراء ذلك العصر على الوصف والتشبيه، وذلك تأويل ما انطوت عليه تلك الفترة من كثرة المصنفات في التشبيه والوصف ومنها⁽⁴⁾:

"روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات " لأبي سعد نصر بن يعقوب و "الروضة السهلية في الأوصاف والتشبيهات" لأحمد بن محمد السهلي، و "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس"

(1) ديوانه 145.

(2) ظافر الحداد، الديوان، 189.

(3) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء الشام 1-90.

(4) هي مؤلفات ذكرها الصفيدي في (الكشف والتنبيه) وبعضها تم تحقيقه ونشره مثل (التشبيهات من أشعار الأندلس) للكتاني (و غرائب التنبيهات) لعلي بن ظافر، ولا أدري إذا كانت المصنفات الأخرى قد حققت وتم نشرها أم لا.

للكّثاني، و "حلية اللسان وبغية الإنسان في الأوصاف والتشبيهات" للطرطوشي، و "غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات" لعلي بن ظافر الأزدي.

ولكن بعض نقاد ذلك العصر قد عابوا على عددٍ من الشعراء ممن زادوا في وصف الرياض والزهر والفاكهة والثمار، ورأوا في ذلك تجاوزاً وإسفافاً، ومنهم ابن الأثير الذي عاب على ابن المعتز وعلى ابن وكيع كثرة تشبيهاتهم فقال: "إنه من بين أنواع البيان مستوعر المذهب، وهو مقتلٌ من مقاتل البلاغة، وسبب ذلك أنّ حمل الشيء بالمماثلة إما صورةٌ وإما معنى، يعزّ صوابه، وتعسر الإجابة فيه، وقلّما أكثر منه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع من شعراء مصر، فإنهما أكثرا من ذلك لاسيما في وصف الرياض والأشجار والأزهار والأثمار، ولا جرم أنهما أتيا بالغثّ البارد" ⁽¹⁾ يقصد ابن المعتز وابن وكيع، وهذا الرأي كرره الصفدي الذي قال:

"والمجيدُ من المولدين والمتأخرين في التشبيه قليل. وما من شاعرٍ إلا وقد شبّه، ولكن المراد هنا من اشتهر به وكثر في شعره وزاد في استعارته كأبي نواس وابن الرومي وابن المعتز والقاضي التنوخي وأبي بكر الصنوبري وابن طباطبا وابن رشيق وظافر الحداد والسريّ الرفاء وكشاجم وابن وكيع وتشبيهاته ما فاترة المزاج" ⁽²⁾، والرأيان يلتقيان في عبارتين هما قول ابن الأثير "لا جرم أنهما أتيا بالغثّ البارد". وتشبيهاتهما فاترة المزاج" يعني آخر اثنين وهما كشاجم وابن وكيع.

وهذان الرأيان يلتقيان مع ما أشرنا إليه في بحثنا بموضوع " التشبيه " من أن التشبيهات جاءت مكررة مألوفة غير عميقة ولا مركبة، ولذلك فقد أفردنا موطناً في " بدائع التشبيهات " وهي ما رأيت فيه خروجاً عن المألوف المكرر الخالي من الإبداع والفرادة والتميز. غير أن الصفدي عندما يحشد كل هذه الأسماء ويضعها في ميزان واحد فإنه يكون قد جانب الدقة ولم يصب لأنه من غير المعقول أن تضع كل هؤلاء الشعراء في تصنيف واحد من الإجابة أو عدمه في التشبيه؛ فالشعراء يتفاوتون في الموهبة، بل إن شاعراً واحداً قد يصيب هنا ويخطئ هناك كما رأينا ذلك عند كشاجم وغيره.

(1) ابن الأثير، المثل السائر، 54

وهو نصر الله بن محمد الشيباني الجزري الملقب ضياء الدين، صاحب (المثل السائر) توفي 637هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان 64/3، والزركلي الإلام 354/8.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه 113.

أقسام التشبيهات وفق التصنيف التقليدي:

إذا درسنا التشبيهات الواردة في شعر وصف الطعام والشراب وفق التصنيف التقليدي (المدرسي) للتشبيهات، فإننا سنجد في قسمين : أ- التشبيهات ب- الاستعارات. ومن الجدير بالذكر أن شعر وصف الطعام والشراب غني جداً بالتشبيهات المباشرة التي تعرض العلاقة بين المشبه والمشبه به دون أي غموض، وباستخدام أدوات التشبيه بكل أشكالها حروفاً وأسماء وأفعال، وسوف نمثل على كل لون من ألوان التشبيه والاستعارات بأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي على النحو الآتي:

1- التشبيه المفرد: وهو ما كان فيه المشبه واحداً (غير متعدد)، يقابله في الجانب الآخر مشبه به واحد، والعلاقة بينهما علاقة مشابهة، وهو ما ليس بصورة منتزعة من متعدد، وقد قسمه بعض العلماء إلى تقسيمات متعددة بحسب وجود أداة التشبيه ووجه الشبه فمنه:

أ- **المرسل المفصل:** وهو ما صرّح فيه بأداة التشبيه ووجه الشبه، كقول كشاجم في التين الأصفر⁽¹⁾:

كالثلج برداً في صفاء التبر في ريح العبير وفوق طعم السكر
وهي جملة تشبيهية اجتمعت فيها كل أركان التشبيه، فالمشبه هو التين والمشبه به هو الثلج وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه هو البرد.

أو كقول تميم بن المعز في وصف العنب⁽²⁾:

كنواصي القيان نظماً وكالشهـ مذاقاً وكالعبير نسيماً
فالعنب يشبه نواصي القيان في النظم الذي هو وجه الشبه وأداة التشبيه هي الكاف.

ب- **المرسل المجمل:** وهو ما صرّح فيه بأداة التشبيه دون ذكر وجه الشبه، وهو كثير، ومن ذلك قول السري الرفاء في وصف خيارة⁽³⁾:

وعقفاء مثل هلال السماء ولكنها لبست سندساً
فهو يشبه الخيارة العقفاء بهلال السماء، وأداة التشبيه هي (مثل) ولكنه لم يذكر وجه الشبه ومنه أيضاً قول ظافر الحداد في وصف اللون الأخضر⁽⁴⁾:

جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
كأنم زئبره نبت عذار الأمرد

(1) كشاجم، الديوان، ص46.

(2) تميم بن المعز، الديوان، ص386.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص154.

(4) النويري، نهاية الأرب 88/11 ، وظافر الحداد، الديوان، ص369.

فهو يشبه زئبر اللوز (وبره) بالشعر الخفيف الذي ينبت على وجه الشاب الأمرد دون ذكر وجه الشبه وهو نعومة ذلك الزغب مثلاً.

ج- **المؤكد المفصل**: وهو ما صرّح فيه بوجه الشبه وحذفت منه أداة التشبيه ولم أعر على بيت يمثل هذا اللون من التشبيه في وصف الطعام والشراب.

د- **المؤكد المجمل (البليغ)**: وهو ما لم يصرّح به بأداة التشبيه ووجه الشبه، وهو كثير ومنه قول الواساني في وصف الآكل الشره⁽¹⁾:

هو نمسُ الدجاج والبطّ والإوزَ زِ وذئب النّعاج والخرفانِ
فقد شبه الآكل الشره بالنمس تارةً وبالذئب تارةً أخرى، دون أداة تشبيه أو وجه الشبه.
ومنه قول ابن وكيع التنيسي في وصف الزيتون⁽²⁾:

مخضره زبرجدٌ مسودّه من سبج
فقد شبه الزيتون الأخضر بالزبرجد، والزيتون الأسود بالخرز الأسود، دون أداة تشبيه ولا وجه شبه.

2- **التشبيه التمثيلي**: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور⁽³⁾، وكلما كانت عناصر الصورة المركبة أكثر، كان التشبيه أبعد وأبلغ، وهو كثير في وصف الطعام والشراب، ومنها قول ابن وكيع⁽⁴⁾:

كأنّ عناقيد الكروم وظلّها كواكبُ درّ في سماء زبرجدٍ
فالمشبه هو صورة عناقيد العنب المتألّئة وسط الأوراق الخضراء والمشبه به هو صورة الكواكب المتألّئة في سماء خضراء مكونة من الأحجار الكريمة وهي الزبرجد.
ومنه قول تميم بن المعز⁽⁵⁾:

يا حبذا التين لذننا به وليته كان لنا قوتاً
أخضرٌ محمرُّ الحشا خلته زبرجداً يحمل ياقوتاً
فالمشبه هو التين ظاهره أخضر وباطنه أحمر، والمشبه به هو زبرجدٌ قد حمل في باطنه ياقوتاً، علماً بأن الزبرجد أخضر والياقوت أحمر، ووجه الشبه صورة ظاهره أخضر لباطن أحمر.

(1) الثعالبى، يتيمة الدهر 1/ 364، 365.

(2) النويرى، نهاية الأرب 11/ 132.

(3) عبد العزيز عتيق، علم البيان، 86.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 376، وديوان ابن وكيع 52.

(5) العتّابى، نزهة الأبصار في محاسن الأشعار، ص 410.

ومنه أيضاً قول الشريف العقيلي⁽¹⁾:

تأمل فذلك النفس يا صاحٍ منظرًا
حيًا وابلٍ يجري على شجرٍ بدا
دموعٌ حذاها الشوقُ فانهملت على
يبيت به القلبُ الكئيبُ على فكرٍ
به ثمرُ النارج كالأكبرِ التبرِ
خدودٍ تراءت تحت أنقبةٍ خضرٍ

فالمشبه صورة ثمر النارج تسيل عليه حبات المطر وقد بدا بين الأوراق الخضراء والمشبه به صورة دموع على خدود تظهر من تحت نقاب أخضر.

3- التشبيه المقلوب: وهو جعل وجه الشبه أظهر في المشبه منه في المشبه به، وغرضه

المبالغة كأن نقول : البدرُ يشبه وجهها

ومنه قول أبي العباس الكحلّ في وصف سمك الراي⁽²⁾:

كأنه في سعيِرِ القلي منقايًا صبّ تقلُّبه كف الهوى كمدًا
فقد شبه سمك الراي المقلّي وتحت النار المستعرة، بالمحبّ العاشق الذي يعاني الحسرة والألم
ومهما يكن من أمر المحب وتحسّره، فلن يبلغ ما يقاسيه من يلقي في مقلاة فوق نارٍ مستعرة !
ولذلك فوجه الشبه في المشبه أظهر منه في المشبه به.

ومنه أيضاً قول الشريف العقيلي في وصف سمك الأبرميس (الرّعاش)⁽³⁾:

أما ترى الأبرميس مضطرباً كأنه قلب عاشق رجف
فقد شبه اضطراب حركة " الإبرميس " وكثرة تقلبه، باضطراب قلب العاشق، ومهما يكن من
اضطراب قلب العاشق حركته، فلن تبلغ مقدار ما يتقلب السمك في الشباك، فالسمك يتحرك
من مكانه، بينما القلب تزيد دقاته ليس إلا؛ ولذلك فإن وجه الشبه أظهر في المشبه منه في
المشبه به.

والتشبيه المقلوب قليلٌ في شعر وصف الطعام والشراب، لأنه يحتاج إلى طرفة في
الوصف وحسن في التشبيه لا يتهيأ لكثير من الشعراء.

ثانياً- الاستعارات: الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه، وتقسم إلى ثلاثة أقسام: تصريحية
ومكنية وتمثيلية، وقد ورد في شعر وصف الطعام والشراب منها الآتي:

1- الاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه
به للمشبه.

(1) الصفي، الكشف والتنبيه 346، 347 و ابن ظافر، غرائب التنبيهات ص 106.

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر، 1/ 434 و ابن ظافر، غرائب التنبيهات ص 151.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص 215 .

ومنها قول تميم بن المعز يصف العنب⁽¹⁾:

ما ترى الكرم كيف نضدّ ياقو تأ وأبدى زمرداً منظوماً

فقد شبه العنب بالياقوت، ثم حذف المشبه وهو العنب، وصرّح بالمشبه به وهو الياقوت على سبيل الاستعارة التصريحية.

كما شبه العنب أيضاً بالزمرد ثم حذف المشبه وهو العنب، وصرّح بالمشبه به وهو الزمرد على سبيل الاستعارة التصريحية.

2- الاستعارة المكنية: وهي ما حذف فيه المشبه به وصرّح فيه بالمشبه، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو القرينة تدل عليه، ومنه:

قول ابن وكيع في وصف الطلع⁽²⁾:

كأنه لما بدا ضاحكاً في العين تشبيهاً وتقديراً
درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافورا

والاستعارة هي في قوله "ضاحكاً" فقد شبه الطلع بإنسان يضحك، ثم حذف المشبه به (الإنسان) وأبقى شيئاً من لوازمه (ضاحكاً) على سبيل الاستعارة المكنية. ومنه قول الشريف العقيلي يصف الخمر في ختام مائدة⁽³⁾:

بنت كرم تختال بين الندامى في ثياب فضية الأطواق

فقد شبه الخمر بفتاة تختال، ثم حذف المشبه به (الفتاة) وأبقى شيئاً من لوازمه (تختال) على سبيل الاستعارة المكنية.

(1) تميم، الديوان، ص386.

(2) ابن وكيع، الديوان، ص56، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 110.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص224.

الفنون البديعية:

تكسب الفنون البديعية الشعر رونقاً وجمالاً، لأنها حليةٌ يترزين بها اللفظ والمعنى وقد عرفه ابن خلدون بقوله "هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوعٍ من التتميق، إما بسجعٍ يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو توريةٍ عن المعنى المقصود بإيهام معنىٍ أخفى منه، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك"⁽¹⁾. هذا إذا كانت عفوية غير متكلفة، أما إذا كانت متكلفة يسرف الشاعر في صناعتها على حساب المعنى فقد انحطَّ شعره، وأصبح زينةً دون جسم يترزين بها، قال أبو هلال العسكري "إن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة"⁽²⁾ وقد حفل شعر وصف الطعام والشراب بالمحسنات البديعية؛ لأن الفترة التي جعلناها قيد الدراسة في هذا البحث- وهي أواخر القرن الرابع الهجري والقرنان الخامس والسادس- هي فترة ازدهار علم البديع وتفنن الشعراء في حشده في القصيدة الواحدة، وسنتحدث عن الفنون البديعية وفق الآتي:

1- المحسنات البديعية اللفظية أو ما يسمى بالبديع اللفظي : وهو ما كان الحسن فيه راجعاً الى اللفظ أصلاً وإلى المعنى تبعاً، وقد درست منها الجناس، وردّ العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم، والتصريع.

الجناس: وهو اتفاق الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، قال ابن المعتز "التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعرٍ وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"⁽³⁾ وقد ورد من الجناس في شعر وصف الطعام والشراب الآتي:

أ- الجناس التام: وهو اتفاق الكلمتين اتفاقاً تاماً في نوع الحروف ترتيبها وحركتها وعددها، ومن لطيف الجناس الذي وقع في شعر وصف الطعام والشراب المجانسة بين اسم الموصوف وصفته، ومن ذلك قول ابن الخياط الدمشقي في وصف الخيار⁽⁴⁾:

خيارٌ حين تنسبُهُ خیارُ لريحان السرور به اخضرارُ

فقد جانس بن اسم الخيار وبين صفته خيار.

ب- الجناس الناقص: وهو اختلاف أحد الشروط كاختلاف حرف واحد بين الكلمتين أو اختلاف في الترتيب أو الحركة ومنه قول ظافر الحداد في وصف سمك الراي⁽⁵⁾:

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص1066.

(2) أبو هلال العسكري ، الصنائع ، ص267.

(3) ابن المعتز ، البديع ، ص25.

(4) ابن الخياط، الديوان، ص16.

(5) ظافر الحداد، الديوان، ص6.

أيا سيداً نال أعلى الرتب
أما لك في الراي رأيٍ فإن
وحاز الكمال بأوفى سبب
له صفة أوجبت أن يحب

فقد جانس بين (راي) و (رأي) جناساً ناقصاً.

ومن الجناس بين الموصوف وصفته قول تميم بن المعز لدين الله الفاطمي⁽¹⁾:

غلطوا حين سمّوا الكرم كرمًا لو أصابوا القياس قالوا الكريما

فقد جانس بين (اسم الكرم) وبين (الكريم) وهي صفته

ومن جميل الجناس المجانسة بين ثلاث كلمات في بيت واحد، قول رضي الدولة أبي سليمان يستهدي شعيراً ويشكو الفقر⁽²⁾:

فجد لي به وارحم - فديتك - شاعراً قصاراه أن يجزي شعيراً بشعره

فقد جانس بين كلمات (شعر وشعير وشاعرا) في مجانسة أظهرت على وجه المقارنة بين الشعر والشعير انحطاط قيمة الشعر، وهو المعنى الذي أراده الشاعر.

ج- جناس الاشتقاق: وهو أن يجانس بين كلمتين مشتقتين من جذر واحد ومما جاء فيه قول السري الرفاء في وصف النارج⁽³⁾:

محمولة حملت عجاجة عنبر فإذا سرى ركب النسيم أثارها

فقد جانس بين (محمولة وحملت) جناس اشتقاق لأنهما من جذر (حمل)

ومنه أيضاً قول كشاجم في وصف البطيخ⁽⁴⁾:

وزائر زار وقد تعطرا أسراً شهداً وأذاع عنبراً

فقد جانس بين (زائر وزار)

وخير ما يختم به موضوع الجناس في وصف الطعام والشراب مجانسة الشريف العقيلي بين خمس كلمات في بيت واحد، وذلك في معرض وصفه لسمك الراي، ودعوة صديقه لأكله قائلاً⁽⁵⁾:

برواحها للروح والريحان

يأتيك في غلف من المرجان

فاجعل لروحك راحة في يومنا

واعزم على بلوره الرطب الذي

(1) تميم، الديوان، ص386.

(2) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 45/12.

(3) الصفي، الكشف والتنبيه 345 والنويري، نهاية الأرب 113/11.

(4) كشاجم، الديوان، ص156، والنويري، نهاية الأرب 36/11.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، 287.

فقد جانس بين كلمات (الرُّوح والراحة والروح والريحان) في جناسٍ عذب أكسب المعنى طرافةً ومما سبق يتبين أن الجناس في شعر وصف الطعام والشراب قد جاء عفويّاً وبسيطاً غير متكلف، وقد سخره الشعراء لغرضٍ إظهار صفات الموصوف، والجمع بين جمال اسمه وجمال صفاته، وقد أحدث ذلك الجناس جرساً موسيقياً زاد تلك الموصوفات حسناً وإبداعاً في النظم، وقد سقنا تلك الأمثلة منه على سبيل التمثيل لا الحصر.

2- لزوم ما لا يلزم : قال القرويني "أن يجيء قبل حرف الروي أو في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع"⁽¹⁾، قال ابن المعتز هو "إعنائت الشاعر في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له"⁽²⁾، يلزم نفسه. وقد ورد ذلك في بعض المقطوعات الشعرية في وصف الطعام والشراب ومنها قول تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي⁽³⁾:

يا حبذا التينُ لذنا به وليته كان لنا قوتاً
أخضرٌ محمرُّ الحشا خلتهُ زبرجداً يحمل يا قوتاً

فقد تكلف قافية ثلاثة حروف هي (قوتا).

ومنه قول ابن وكيع:

أما ترى النخل حاملاتٍ بُسراً حكى لونه الشقيقا
كأنما خوصه عليه زمرّداً مثمراً عقيقا

وقد تكلف قافية (قيقا) في هذين البيتين

على أن سلوك الشعراء في وصف الطعام والشراب هذا المسلك الوعر يعود إلى أن الأبيات قليلة جداً، ولا تعيي شاعراً ذرباً ذرباً أن يلزم نفسه بعدة حروف في القافية لعدد قليل من الأبيات.

3- رد العجز على الصدر: وهو أن ترد الكلمة في بداية البيت، ثم تعود لتتكرر في نهايته وقد سمّاه ابن المعتزّ (رد أعجاز الكلام على ما تقدّمها)⁽⁴⁾، وهو أنواع وألوان كثيرة، وعند استقراء هذا الفن البديعي في شعر وصف الطعام والشراب وجدت منه الكثير، ومنه قول تميم بن المعزّ في البيت الثاني⁽⁵⁾:

يا حسنة من شجرٍ أينعت أغصانُهُ واحتملت مشمشه
كأنما جمّشهُ عاشقٌ فاصفرّ خوفاً منه إذ جمّشهُ

فانظر إلى لفظ (جمشه) يرد في أول البيت وفي آخره.

(1) عبد العزيز عتيق، البديع، 232.

(2) المرجع السابق 233.

(3) العنابي، نزهة الأبصار في محاسن الأشعار، 410.

(4) ابن المعتزّ، البديع 47، وقد سمّاه بعض المتأخرين من رجال البديع (التصوير).

(5) تميم، الديوان، ص 254.

ومنه قول ابن وكيع التنيسي⁽¹⁾:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه فياحسنه من منظرٍ حين هتكنا
فقد ردّ لفظ (هتكنا) في العجز على مثله في الصدر (هتكنا)
ومنه قول الشريف العقيلي⁽²⁾:

وخلق عنبر طردنيها ولولا المقالي لما خلّقنا
ردّ لفظ (خلّقنا) في العجز على مثله في الصدر (خلّق)
ومنه قول السري الرفاء⁽³⁾:

إن شين ذو روقين ناجمين فإنه زينٌ بغير شين
ردّ لفظ (شين) على مثله (شين)
ومنه قول ابن الساعاتي⁽⁴⁾:

لدى منزل سابغ ظلّه بمنزل من أسبغ الله ظلّه
فقد رد عبارة (أسبغ الله ظلّه) على مثلها في الصدر (سابغ ظلّه)
ومنه قول سليمان بن حسان النصيبي⁽⁵⁾:

ما رأينا مثل هذا الراي حسنا ما رأينا
فقد ردّ عبارة (ما رأينا) في آخر البيت على مثلها في أوله.

4- التصريح: "وهو أن يكون الشطر الأول على قافية الشطر الثاني"⁽⁶⁾ وقد عدّه البلاغيون
سجعا في البيت الشعري، قال ابن سنان الخفاجي: "أما التصريح فيجري مجرى القافية، وليس
الفرق بينهما إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه،
وإنما شبه مع القافية بمصراعي الباب"⁽⁷⁾:

وقد اعتاد الشعراء العرب أن يصرّعوا البيت الأول في القصيدة فقط، وبعضهم تكلف
التصريح في عدد آخر من الأبيات.

وقد ورد التصريح في عدد من مقطوعات وصف الطعام والشراب، وهو شائع في بحر
الرجز ومشطوره، قال كشاجم⁽⁸⁾:

(1) ابن وكيع، الديوان، ص134، والصفدي، الكشف والتنبيه 360 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 111.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، ص222.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص267.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 360.

(5) النعالي، بئمة الدهر 1/ 437.

(6) محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، ص303.

(7) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة 214، وهو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي (423-466)، العماد الأصفهاني، خريدة

القصر (178/9)

(8) كشاجم، الديوان، ص156، والنويري، نهاية الأرب 11/ 36.

وزائر زار وقد تعطرا
وأودعت منه اللهاة السكرًا
ملتحفًا للحرّ ثوباً أصفرا
يظنه الناظر إن تصورا
أسرَّ شهداً وأذاع عنبراً
ينفثُ في الأنوف مسكاً إذفرا
معتمداً من الحرير أخضرا
دبّ الدُّبى بمتنه فائثرا

فقد جعل كشاجم قافية الراء المشبعة بالفتحة الطويلة في كل صدر، وصرع بين كل صدر وعجز بتلك الراء.

ويبدو أن كشاجم قد أكثر من ذلك، وهناك خمس مقطوعات مصرّعة عنده في وصف الطعام والشراب، فمنها أيضاً⁽¹⁾:

وباقلَاء حسنِ المجـرّد
مسكِ الثرى شهد الجنا مخضد
ورقّة تشفي أوامَ الكبـد
ريّان من ماء السحابِ الأجود
كالعقد إلا أنّه لم يعقد
أو كبنات اللؤلؤ المنضد
مثبطات كالهلال المبتدي
يباع مسعود الأعزّ الأسعد
ذي رونق يكحل عين الأرمـد
وموقع برّد حرّ الصّدي
إما السماكيّ وإما الأسدي
أو كالفصوص من أكفّ الخرد
في طيّ أطراف من الزبرجد
يفترّ عن فيروزج رطب ندي

وقد صرّع بين كل بيت من أبيات المقطوعة التي وصلت إلى سبعة أبيات بالذال المكسورة وممن صرّع أيضاً تميم بن المعز الفاطمي في وصف الجبن عندما قال⁽²⁾:

وزولةٍ مقربةٍ مسنّـه
في قالبٍ أسفله مشنّـه
كالبدر لما لاح في الدجّـه
وحولها غيد كأنهنّـه
يرمين عن كحلٍ عيونهنّـه
ريفيّة تقذفُ بالجبنّـه
ثم بدت بيضاء مقبئنّـه
أعذبُ من ريق حبيب بُنّـه
برزن من حور نساء الجنّـه
لواحظاً أمضى من الأسنّـه

(1) كشاجم، الديوان، ص 89.

(2) تميم، الديوان، ص 421.

2- المحسنات المعنوية:

وهي ما كان الحسن فيه راجعاً الى المعنى أصلاً والى اللفظ تابعاً: وقد وجدت في شعر وصف الطعام والشراب أربعة أصناف منه وهي:

1 -الطباق: وهو ما صرّح به بإظهار الضدين⁽¹⁾ وهو ثلاثة أنواع منها طباق السلب، وطباق الإيجاب، وإيهام التضاد وللطباق أثرٌ في إبراز المعنى، فالضدُّ يظهر حسنه الضدُّ وأمثله في وصف الطعام والشراب كثيرة، ولكنها لا تصل إلى درجة الجناس في كثرة أمثله، ومنها قول كشاجم في تين بعضه أصفر وبعضه أسود⁽²⁾:

أهلاً بتينِ جاءنَا
منضداً على طبقٍ
يحكي الصباح بعضُهُ
وبعضُهُ يحكي الغسق

فقد طابق بين (الصباح والغسق)، وهذا "إيهامُ التضاد" فالصباحُ عكسه ليس الغسق، وإنما وهم بلفظه أنه ضده، وهو مثل قول الشاعر:

ييدي وشاحاً أبيضاً من سيبه
والجوُّ قد لبس الوشاح الأغبر
فإن الأبيض ليس بضد الأغبر، وإنما يوهم بلفظه أنه ضده.
ومن الطباق أيضاً قول كشاجم⁽³⁾:

نلمم بتينٍ لذَّ طعاماً واكتسى
حسناً وقارب منظراً من مخبرٍ
فقد طابق بين (منظر ومخبر) ليدل على جودة التين باطناً وظاهراً.
ومنه أيضاً قول السري الرفاء في وصف خيارة⁽⁴⁾:

محجبةٌ عن شمسِ النهار
وبارزةٌ لنسيم المــــسا
يطول اللسانُ بإطرائها
ويصبحُ عن ذمّها أخرسا

فقد طابق بين (محجبة وبارزة) وبين (إطرائها وذمها)
ومنه أيضاً مطابقة العماد الكاتب في وصف المشمش بقوله⁽⁵⁾:

طلوا بماء النضار ظاهره
لباطنٍ في حشاهُ نارُ طِلا
جليُّ تبرٍ على عرائس أغـ
صانٍ كنَّ من قبلها عطـلا
فقد طابق بين (ظاهر وباطن).

(1) عبد العزيز عتيق، علم البديع، 79.

(2) النويري، نهاية الأرب 11/ 159.

(3) النويري، نهاية الأرب، 11/ 159.

(4) السري الرفاء، الديوان، ص 154.

(5) العماد الكاتب، الديوان 330 والصفدي، الكشف والتنبيه 355.

ومنه أيضاً قول السري الرفاء في وصف حمل مشوي⁽¹⁾:

إن شين ذو روقين ناجمين فإنّه زينٌ بغيرِ شينٍ

فقد طابق بين (شين وزين) طابق إيجاب، وطابق بين (شين وغير شين) طابق سلب. ويمكننا القول إن الطباق في وصف الطعام والشراب قد جاء طباقاً عفويّاً بسيطاً، غير متكلف، ولا كثيرٍ وقد سخره الشعراء لخدمة المعنى وهو جمال الثمار والأطعمة في مختلف حالاتها وتقلباتها في ظاهرها وباطنها. وقد عمل الطباق على إبراز المعاني وتأكيداها في نفس المتلقي.

2- حُسْنُ التعليل: وهو من المحسنات البديعية المعنوية، وفيه يأتي الشاعرُ بتعليل غير واقعي لوصفٍ أو فكرة إنما يبتدع من خياله تعليلاً لها يدّعي أنه السبب فيما يحدث، وجمال حسن التعليل أن يكون فيه لطف وطرافة.

ومنه في وصف الطعام والشراب قول العماد الكاتب في وصف المشمش⁽²⁾:
كأنّ مذاب الشهد فيهِ مجسّدٌ أجدّ له عهدُ الرحيقِ المعتقّ
وما أصفّرَ إلا خوفَ أيدي جنّاته فليس له أمنٌ من المتطرّق

فانظر إلى حُسْن تعليل العماد لصفرة لون المشمش، فهو يعلل ذلك بخوف المشمش الدائم ممن يأتي لقطافه وهو تعليلٌ فيه لطفٌ وطرافة.

ومنه قول للشريف العقيلي في وصف سمك الأبرميس⁽³⁾ :

أما ترى الأبرميس مضطرباً كأنّه قلب عاشقٍ رجفٍ
لما رأته المياه مرتعداً فيها كستهُ جواشن الصدف
فظلّ من لذة السرور بها يفتح منه مواضع الشنف

فالشاعر يعلّل وجود الصدف على جلد سمك الأبرميس تعليلاً طريفاً، إذ أنّ المياه حين رأته مرتعداً من البرد كسته تلك الأصداف، فأصبح مسروراً يحرك شفاهه، وهي حركة دائمة عند السمك أجاد الشاعر أيضاً في تعليلها تعليلاً طريفاً.

3- التقسيم: وهو ذكر أجزاء المعنى الواحد مقسمةً، مع استيفاء جميع تلك الأقسام قال أبو هلال العسكري : "هو أن تقسم الكلام على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه،

(1) السري الرفاء، الديوان، ص267.

(2) العماد الكاتب، الديوان، ص316 ، والصفدي، الكشف والتنبية، ص354.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص204.

كقوله تعالى ♥ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ♦⁽¹⁾ وهذا أحسن التقسيم لأن الناس عند رؤية البرق ما بين خائفٍ وطماع، ليس فيهما ثالث⁽²⁾.

وقد وجدت ذلك في بعض شعر وصف الطعام والشراب، ومنه قول الشريف العقيلي⁽³⁾:

يقولون ما الدنيا فقلت : شبيبةً وأمنٌ وعزمٌ دائمٌ وثراءٌ
وعافيةٌ زهراء هبَّ نسيْمُها وعيشٌ رخيٌّ نافعٌ وبَقَاءٌ

فقد قسمَ المعنى العام وهو الدنيا إلى أقسامها كلها وهي: الشبيبة، والأمن، والعزم، والثراء، والعافية الزهراء، والبقاء.

ومنه قول الشريف العقيلي أيضاً⁽⁴⁾:

والجبْنُ لوانان : فقانٍ قد قَلِي وناصعٌ يبهرُ عينَ المجتلي

فقد قسمَ الجبن إلى لونين، واستوفى هذين اللونين بلون مقلّي بنيٍّ والآخر ناصعٌ غير مقلّي.

ومنه قوله أيضاً⁽⁵⁾:

ومن بنات البرِّ درّاجَةٌ ومن بنات البحر بُنيّة
قد طبخت تلك وهاتيك ق د جاء بها الطاهيُ مَشْوِيّة

فقد قسمَ الطعام إلى نوعين : بنات برِّ وبنات بحر، ثم يبين ما حل ببنات البرِّ من الطبخ، وما حلّ ببنات البحر من الشواء.

ومن ذلك قول أبي القاسم الواساني⁽⁶⁾:

أشرفوا لي على زروع وأحطا بٍ وببيت من خيرِه ملآنِ
لبنٌ قارسٌ وخبزٌ كثيـــــرٌ وقدورٌ تغلي على الدادكانِ

فقد قسم خيرات البيت إلى ثلاثة أقسام هي اللبن والخبز والقذور التي تغلي.

(1) الرعد 12/13

(2) أبو هلال العسكري، الصناعتين 341.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص38.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص302.

(5) المصدر نفسه 300.

(6) الثعالبي، بتيمة الدهر 1/ 360.

4- **المقابلة:** وهي الإتيان ببعض الكلمات، ثم اتباعها بأضدادها قال أبو هلال العسكري "وهي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه المقابلة أو المخالفة ⁽¹⁾ كقوله تعالى ♥ **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً** ♦" ⁽²⁾ ، وقد استخدم الشعراء المقابلة في وصف الطعام والشراب، ومن ذلك، قول كشاجم في الطبخ ⁽³⁾:

بظاهر أحسن من قنفذ وباطن أنعم من زبد

وقال الشريف العقيلي في سمك الراي ⁽⁴⁾:

يرد المثالي وهو أبيض ساطع ويعود منها وهو أحمر قان

وقال أيضاً ⁽⁵⁾:

ومن بنات البر دراجة ومن بنات البحر بنية

فقد قابل بين البر والبحر وبين الدراجة وهي ضرب من الطير وبين البنية وهو ضرب من السمك. ومن المقابلة الطريفة قول ابن قلاقس في وصف البطيخ: ⁽⁶⁾

إذا فصلت للأكل كانت أهلة وإن لم تفصل فهي بدر تمام

فقد قابل بين (فصلت ولم تفصل) و(أهلة وبدر تمام)

ثالثاً: الأساليب الإنشائية:

الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه، وقد قسمه علماء البلاغة إلى قسمين، هما: الأول الطلبي: وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، كالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، والثاني غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله صيغ كثيرة منها، صيغ المدح، والذم، وصيغ التعجب. وصيغ القسم والرجاء والعقود وغيرها.

إن شعر وصف الطعام والشراب غني بالأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية، وفيما يلي رصد على وجه التمثيل لا الحصر لأهم الأساليب الإنشائية التي حفل بها هذا الشعر في وصف الطعام والشراب.

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين ، 337.

(2) التوبة 82/9.

(3) كشاجم، الديوان، ص99، والنويري، نهاية الأرب 36/11.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص287.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، ص298.

(6) ابن ظافر، غرائب التنبيهات ، 121.

الإشياء الطلبية: وقد عثرت على أمثلة لخمس أنواع منه، هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني وتحدثت عنها على النحو الآتي:

الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد يأتي بالفعل الصريح أو باسم الفعل، وبالمضارع المقرون بلام الأمر، وبالمصدر النائب عن فعله، ومعظم صيغ الأمر في شعر وصف الطعام والشراب قد وردت بفعل الأمر الصريح، وكلُّها قد خرجت عن معنى الأمر الأصلي إلى معانٍ أخرى، وأهم المعاني التي خرجت إليها هي:

أ- الدعاء: وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعفو والرحمة وما أشبه ذلك، ويكون بصيغة الأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى شأنًا منه. ومنها قول رضي الدولة أبي سليمان يستهدي شعيراً ويشكو الفقر⁽¹⁾:

فجُدْ لي به وارحم - فديتك - شاعرا قصاراه أن يجزى شعيراً بشعره
فقد خرجت صيغة الأمر (فجُدْ) إلى المسألة ورجاء الجود والدعاء.

ب- الالتماس: وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظرء المتساوين قدراً، ومنزلة. وهو الغالب في شعر وصف الطعام والشراب، لأن معظمه مراسلات بين أصدقاء وأنداد، كقول كشاجم مخاطباً صديقه⁽²⁾:

اسمِعْ مقالاً من أخ ذي ودٍّ وذاك أني كنتُ حلفَ وجْدٍ
وقول ظافر الحداد يستدعي صديقاً له لأكل الراي⁽³⁾:
فبادرْ فنحن بشطّ الخليج على روضةٍ رقمتها السُحب
وقول الشريف العقيلي يستدعي صديقاً له أيضاً⁽⁴⁾:
فاجعل لروحك راحةً في يومنا برواحها للراح والريحانِ
واعزمْ على بلوره الرطب الذي يأتيك في غلفٍ من المرجانِ

ج- النصيح والإرشاد: وهو الطلب الذي لا تكليف فيه ولا إلزام، وإنما يحمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة، والإرشاد، كقول ابن وكيع يرشد صاحبه كيف يطبخ (الشابورة)⁽⁵⁾:

فاعمِدْ إلى مدوّرٍ من البصل فإنّه أكثر أعوانِ العملِ

(1) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 48/12.

(2) كشاجم، الديوان، ص145.

(3) ظافر الحداد، الديوان، ص6.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص287.

(5) الصفيدي، الكشف والتنبيه 388 والنويري، نهاية الأرب 259/11.

وقوله أيضاً يلفت الانتباه إلى جمال الزيتون (1):

انظرْ إلــــى زيتوننا فيه شفاء المهج

ومنه قول أبي القاسم القطّاع يلفت الانتباه إلى حديثه عن البيض (2):

اسمّع عن البيض وصف مضطلع بالوصف ماضي الجنان نحريـر

وقد استخدم فعل الأمر (اسمّع) لهذا الغرض، وهو النصيح والإرشاد.

د -الإباحة: وتكون حين يتوهم المخاطب أن الفعل محظور عليه، فيكون الأمرُ إذنًا له

بالفعل، ولا حرج عليه في الترك ومنه كقول الشريف العقيلي (3):

وانعم بما يأتيك من نسرينه متردياً بشقائق النعمان

فما عليه نعم أم لم ينعم ؟

والإباحة قد تحمل معنى العتاب كقول رضي الدولة أبي سليمان (4):

فاتركونا معاشر الجند واغنوا بدرور الأرزاق كلّ أوان

وارتعوا جزور ذي الدولة الها مي نداها في أطيب اللحمان

واشغلونا بما به يُشغل الهرُّ رُ لنفع أو خيفة العدوان

والإباحة في الأفعال الأربعة: (اتركونا، واغنوا، وارتعوا، واشغلونا)، فهو عاتبٌ عليهم لأنهم أكلوا ما لذّ وطاب من اللحوم، وتركوا له ما يترك للقطة من فتات.

هـ - التعجب: وهو ما جاء على صيغة (أفعل به)، كقول كشاجم (5):

أحببْ بتين جاءنــــا مثل نهود الخــــرد

فقد استخدم الفعل (أحببْ) على صيغة (أفعلْ) لإنشاء التعجب. ومنه قول ظافر الحداد في وصف الكمثرى (6):

أكرم بزورته لوانها اتصلتْ أو أنه كان فيها غير منفصل

النهي: وهو طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام ولكنه خرج عن معناه الأصلي في بعض شعر وصف الطعام والشراب إلى معنيين هما:

أ - النصيح والإرشاد: وهو طلب الكف عن القيام بالفعل، لا على وجه الإلزام، ولكن على وجه النصيحة كقول أبي العباس الكحال يستدعي صديقاً له لأكل الراي ناصحاً له (7):

(1) النويري ، نهاية الأرب 11 / 156.

(2) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 156.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص 287.

(4) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء مصر 12 / 50.

(5) النواجي ، حلية الكميت 271.

(6) النويري، نهاية الأرب 11 / 162.

(7) الثعالبي ، يتيمة الدهر 1 / 434، و ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 151.

لا تدّخر لغدٍ مالاً ولا سبداً فليس يعلم خلقٌ هل يعيش غداً
ولا تضيّع سروراً جاء عن كتبٍ عجزاً فتكتسب التوبيخ والفندا
فقد استخدم صيغتي النهي (لا تدخر) و(لا تضيّع) ناصحاً صديقه ألا يفوت على نفسه لحظة
السرور والابتهاج ومنه قول ابن وكيع⁽¹⁾:
إذا أردت أن تزارَ في غدٍ فلا تغالِ في الطعام واقصد
فهو ينصح صديقه ألا يغالي في تحضير الطعام، وأن يقتصد في ذلك، مستخدماً صيغة النهي
(فلا تغالِ) على سبيل النصيحة والإرشاد.

ب- **الالتماس**: وهو طلب الكف عن القيام بالفعل، الصادر من أُنّاد نظراء، كقول الشريف
العقيلي يدعو صديقاً له⁽²⁾:

فلا تلهُ بالشغلِ عمن غداً إلى الله من غيره أشوقاً
فهو ينهى صديقه، ملتماً إليه أن لا يلهو بالشغلِ عن الانضمام إليه، فهما صديقان يشتاقي
أحدهما إلى الآخر.

الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بأداة خاصة، لكنه في شعر
وصف الطعام والشراب خرج عن معناه الأصلي، إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز، بل أنه
لم يرد قطُّ على سبيل الاستفهام الحقيقي، ومن المعاني التي خرج إليها الاستفهام:
أ- **التقرير**: وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، إثباتاً ونفيّاً لغرض من
الأغراض، وهو أكثر المعاني التي خرج إليها الاستفهام، ففي كثير من المقطوعات يبدأ
الشاعر بلفت الانتباه إلى جمال الثمار بقوله: أما ترى التين ؟، أما ترى الكرم ؟ أما ترى
المشمس ؟ أما ترى النخل ؟ والغرض من ذلك كله لفت الانتباه والاستعانة به على افتتاح
المقطوعة ومن ذلك قول أسامة بن منقذ⁽³⁾:

أما ترى التين في الغصون بدا ممزقَ الجلدِ مائلَ العنق
وقول تميم بن المعز لدين الله الفاطمي⁽⁴⁾:

ما ترى الكرم كيف نضدّ يا قو تاً وأبدى زمرداً منظوماً ؟

وقد حذف همزة الاستفهام للضرورة.

وقول الشريف العقيلي⁽⁵⁾:

أما ترى الأبرميس مضطرباً كأنه قلبُ عاشقٍ رجف

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه 388، و النويري، نهاية الأرب 11/ 159.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، ص222.

(3) الصفدي، الكشف والتنبيه 373، و ابن ظافر، غرائب التنبيهات 118.

(4) تميم، الديوان، ص386.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، ص204.

وقول ابن وكيع التنيسي⁽¹⁾:

أما ترى النّخل طارحاً بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب

ب- التعظيم: وهو أن يحمل الاستفهام معنى الصفات الحميدة للموصوف هو الطعام ومنه قول كشاجم في وصف الخشكناج⁽²⁾:

منّ لذاك الطبرزد المدقوق ولذاك اللون النقيّ الدقيق ؟

وقول عرقلة الدمشقي⁽³⁾:

أأحداق بيض أم حديقة نرجس أتت بين مصفرٍ إلينا ومبيضّ؟

فهو يعظم صفات " أحداق البيض " إلى درجة لم يستطع أن يفرق بينها وبين حديقة النرجس لتشابههما في الصفار والبياض.

ج- الاستبطاء: وهو عدُّ الشيء بطيئاً في زمن انتظاره وقد يكون محبوباً منتظراً، وذلك كقول كشاجم يصف جونة الطعام ويدعو صديقه لحضورها⁽⁴⁾:

متى تنشط للأكل فقد كلّتَ الجونَـة ؟

فقد زين المائدة، وبات ينتظر صاحبه الذي أبطأ عنه، متسائلاً متى يأتي.

د- التعجب: وهو أن يعجب السائل من تصرف فيسأل عنه، ومثله قول عرقلة الدمشقي على لسان أصدقاء له⁽⁵⁾:

يقولون : لم أرخصت شعرك في الوري ؟!

فقلت لهم : إذ مات أهل المكارم

وقول عبيد الله بن أبي الجوع⁽⁶⁾:

شعبان قد صار نضواً ولمْ لمْ نفذْ فيه لهوا ؟!

النداء: وهو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف عنها مناب الفعل، وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق كالإغراء، والتحسر، والزجر، والتعظيم، والتحقير وغيرها، ومن خلال تتبعي لما ورد منها في شعر وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي، تمكنت من التوصل إلى المعاني الآتية:

(1) النويري ، نهاية الأرب 11 / 126.

(2) كشاجم، الديوان، ص238.

(3) العماد ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام 1 / 212.

(4) كشاجم، م.س، ص306.

(5) العماد ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام 1 / 182.

(6) الثعالبي ، يتيمة الدهر، 1 / 411.

أ -الإغراء: ويحمل معنى الإشادة بالمنادى، ومنه قول ظافر الحداد (1):
أيا سيداً نال أعلى الرتب
وقد استخدم حرف النداء (أيا) وهو للبعد تعظيماً لشأن المنادى.
ومثله قوله أيضاً (2):

أيا سيدي وأخي لا تغب
فهو استخدام حرف النداء (أيا) تعظيماً للمنادى وترغيباً له في الحضور.
وقد سار على طريقتهم في تعظيم شأن المنادي بالحرف نفسه وهو (أيا)، ولكنه زاد في رفع منزلة المنادي الى أن سواه بالنجوم.
ومنه قول الشريف العقيلي (3):

يا سيداً أركان عليائه
ب -التعجب: وهو أن تستخدم أداة النداء للتعجب من جمال المنادى، ومنه قول ظافر الحداد (4):

فيا حسنة وهو بين الشباك
فهو يستخدم أداة النداء (يا) للتعجب من حسن سمك الراي يضطرب بين الشباك تعجباً سماعياً.
وقول تميم بن المعز (5):

تجاوز لونها اخضراراً وحمرة
وقد استخدم أداة النداء (يا) للتعجب من تجاوز الماء والنار!
وقول كشاجم يصف رؤوساً (6):

يا لإقبالهنّ أول ما يقـ
وقد استخدم الشاعر حرف النداء (يا) للتعجب من جمال تلك المشاهدات وهي السمك والتفاح والرؤوس.

ج - التحسر: وهو أن يستخدم الشاعر حروف النداء ليبيد حزنه وتحسره على المنادى.
كقول أسامة بن منقذ في وصف الكمثرى (7):

يا لهف نفسي على زيارته
وهو يتحسر على أنه لم يزر أشجار الكمثرى قبل جفاف الندى في ساعات الصباح الباكر.

(1) ظافر الحداد، الديوان، ص6.

(2) ظافر الحداد، م، ن، ص61.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص298.

(4) ظافر الحداد، م، س، ص6.

(5) تميم بن المعز، الديوان، ص191.

(6) كشاجم، م، س، ص293.

(7) الصفي، الكشف والتنبيه، 373، وابن ظافر الأزدي، غرائب التنبيهات، ص118.

5- التمني: وهو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، أما إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله فيصبح ترجياً، ومن التمني قول تميم بن المعز بن رمان⁽¹⁾:
 ليتَه يطفئ الذي بي من الشو ق إلى وجهه بقرب التداني
 فهيهات أن يبرّد الرمان شوق المحبوب إلى رؤية وجه حبيبته، ولذلك فاستخدام الحرف " ليت " وهو هنا للتمني، لأن ذلك أمر بعيد لا يرجى حصوله.

ثانياً الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً، كصيغ المدح والذم، وصيغ التعجب، والقسم وقد تحدثت عنها وفق الآتي:

1- صيغ المدح والذم: وأفعاله نعم وبئس وحبذا ولا حبذا، والأشيع في شعر وصف الطعام والشراب استخدام صيغ المدح، لأن الوصف يهدف إلى مدح الموصوف لا إلى ذمه في هذا الغرض، ومن ذلك قول كشاجم⁽²⁾:

يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الأكاليلا
 في جنة ذلّت لقاطفها قطوفها الدانيات تذليلا

فهو يمتدح ذلك اليوم الذي اجتمع فيه مع صحبته، ولم يجد أفضل من فعل المدح (حبذا) ليعبر عن ذلك.

وقول السري الرفاء⁽³⁾:

ياحبذا تحية رحتُ بها مسرورا
 إذ جاءني يحملها طبي يباهي الحورا

فالشاعر يمتدح تلك التحية التي قدمها إليه صاحبه وهي هدية من الفاكهة، واستخدم الفعل حبذا للتعبير عن ذلك.

وقول الشريف العقيلي في وصف الراي⁽⁴⁾:

ولحبذا كافوره سيما إذا ما خلّفتُهُ حرارة النيران

فقد أراد امتداح رائحة السمك المشوي التي شبهها برائحة الكافور مستخدماً الفعل (حبذا).

2- التعجب: وهو تفضيل شيء على غيره في وصف من الأوصاف، ويأتي قياسياً بصيغتين " ما أفعل " و " أفعل به " ومما جاء منه على صيغة " أفعل ب " قول كشاجم⁽⁵⁾:

(1) تميم، الديوان، ص 437.

(2) النويري، نهاية الأرب 183/11.

(3) السري الرفاء، الديوان، ص 148.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص 287.

(5) النواجي، حلبة الكميت 271

مثل نُهود الخُرْد

أحِبُّ بَتِينَ جَاءَنَّا

وقول ظافر الحداد في الكمثرى⁽¹⁾:

أكرم بزورته لو أنها اتصلتْ
أو أنه كان فيها غير منفصل

أما الصيغة الأولى (ما أفعل) فلم أجد -فيما قرأت من شعر- في وصف الطعام والشراب ما يوافقها مثلاً عليها.

3- القَسَم: ويكون بأحرف الباء أو الواو أو التاء، أو بالفعل (أقسم) ومشتقاتها ومثيلاتها

ولم أعر سوى على مثال واحد فيه، وذلك في قول عبيد الله بن أبي الجوع⁽²⁾:

فبالمــــودة إــــلا
بكرت للقصف عــــدوا

فالشاعر يستحلف صاحبه بالمودة التي تجمعها أن يسرع إلى مائدة الطعام.

وأخيراً فقد لاحظت تنوع الأساليب الإنشائية في شعر وصف الطعام والشراب، وقد خرج معظمها عن مقتضى الظاهر إلى معانٍ مجازية أخرى، مما أكسب المقطوعات معاني بلاغية طريفة.

ثالثاً - المستوى التركيبي:

يبحث المستوى التركيبي في نسق مقطوعات وصف الطعام والشراب وقصائدها، وفي نظم الجملة الشعرية والعناصر المكونة لتلك الجملة.

وقد جاء شعر وصف الطعام والشراب في بنيتين شعريتين متفاوتتين في الحجم، ومختلفتين في البناء، فأما البنية الأولى فهي المقطوعة الشعرية التي تتراوح بين بيتين وعشرة أبيات، وأما الثانية، فهي القصيدة الكاملة في وصف الطعام والشراب والتي تزيد على سبعة أبيات طالت أم قصرت.

ولا يخفى على أحد أنَّ تركيب المقطوعة الشعرية القصيرة التي تقال في لحظة انفعالية معينة أمام مشهد مثير لقريحة الشاعر، فيصف ما يراه، أو يحُمِّل على وصف ما يراه، هي غير تركيب القصيدة التي تقال وفق نيّة مبيّنة للشاعر يحشد لها كل قوّته، ويتكلّف لها الألفاظ وطول النفس، ويرغب أن تكون علامة بارزة بين القصائد، ويحرص على أن تكون قصيدة ذات أبعاد موضوعية وفنية توافق عمود الشعر العربي أو تخالفه في بنائها وتركيبها، وقد تناولت في دراستي المستوى التركيبي على النحو التالي:

(1) النويري، نهاية الأرب 11/ 162.

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر 1/ 412.

1) البنية التركيبية لمقطوعات وصف الطعام والشراب حسب أنماط بداياتها:

نظمت دراسة البنية التركيبية لمقطوعات وصف الطعام والشراب حسب أنماط بداياتها لأني وجدت الشعراء ينوِّعون في استخدام الأدوات التي تنصدر عباراتهم الشعرية، فهم يكثرّون من استخدام حروف التشبيه، والاستفهام، والنداء، والشرط، والتمني، والعرض، والتحضيض، والتأكيد، كما أنهم يتعمّدون البدء بأسماء الموصوفات مقترنة بواو رب أو بأفعال المدح والتعجب وفق غاية هي تحقيق فائدة تركيبية أو بلاغية أو موسيقية، وقد رتبت حديثي عنها وفق الترتيب التالي:

أ- الافتتاح بحروف التشبيه مقترنةً باسم الموصوف، مثل قول ابن وكيع (1):

كــــــــــــأنّ أوراق وردٍ	للبلاقلَاء بهيــــــــــــــــــــه
خواتمّ من لحيــــــــــــــــــــن	فصوصها حبشيــــــــــــــــــــة

فقد صدّر المقطوعة بحرف التشبيه " كأن " مقترناً بأوراق الباقلاء ومنه قول المشتهدى
الدمشقي بقوله (2):

كأنمــــــــــــا الفستق المملحُ إذْ	جاء به من سقّاك صهباءَ
مثلُ المناقير حين تفتحها	ورقُ حمام لتشرب الماءَ

فقد قرن حرف التشبيه " كأن " باسم الموصوف وهو " الفستق "، ومثله قول ابن وكيع التينسي (3)

كأنّ ورد الباقلاء إذ بدا	لناظريه أعينٌ فيها حــــــــــــــــور
كمثل ألحاظ اليعافير إذا	روّعها من قانصٍ فرطُ الحذرُ

وقد قرن حرف التشبيه أيضاً باسم المشبه وهو ورد الباقلاء.

وقول تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي (4):

كأن الراي حين أتى طرياً	بأذنانٍ كمحمرّ العقيق
بلسقيّات بلورٍ لطافٍ	بأسفلها بقايا من رحيق

واففتح أبياته أيضاً بالتشبيه مقروناً باسم المشبه وهو سمك الراي الطري.

ويتضح من خلال بدء الشاعر بحروف التشبيه مقرونة باسم الموصوف انصراف همّ الشاعر إلى إظهار قدرته على التشبيه، وإبداع صورة مقابلة لصورة المشبه تزيد في حسنه وترفع من شأنه.

(1) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات ص99.

(2) الصفدي، الكشف والتنبيه ص382.

(3) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات ص99.

(4) تميم، الديوان، ص303.

ب- البدء باسم الموصوف منفرداً: وذلك كقول ابن الخياط⁽¹⁾:

خيارٌ حين تنسبه خیارُ
لريحان السرور به اخضرارُ
فقد بدأ باسم الموصوف دون أي أداة تشبيه معه.
وقول أسامة بن منقذ⁽²⁾:

رَمَّان مصرَ كأنه ذرةٌ
آكله شاخصٌ من الغُصصِ
وقد بدأ باسم الموصوف منفرداً وهو الرمان.
وقول ابن القطاع الصقلي⁽³⁾:

رَمَّانةٌ مثل نهد العاتق الريمِ
تزهي بلونٍ وشكلٍ غير مضمومٍ
ولم يجد أجمل من البدء باسم الموصوف وهو رمانة..
وقول عبد المحسن الصوري⁽⁴⁾:

عنبٌ أسودٌ كأن عليه
حلاً من حنادسِ الظلماءِ
وقد أفرد المقطوعة بالبدء باسم الموصوف مخصصاً بالوصف وهو عنبٌ أسود.

ارتأى الشعراء هنا أن يصدّروا مقطوعاتهم باسم الموصوف منفرداً رغبةً في عنونتها باسمه مجرداً ليبرز لفظه في مقدمة المقطوعة، وقد يأتي اسم الموصوف مضافاً، أو منعوتاً أو متبوعاً بأداة التشبيه مباشرةً.

ج- البدء باسم الموصوف مقترناً بواو ربّ:

وهو كثير، لأنها الأكثر مناسبة لافتتاح القصائد، وهذا ما أكده ابن هشام في معرض حديثه عن واو ربّ، إذ يقول: "وَحَجَّتْهُمُ افْتِتَاحُ الْقَصَائِدِ بِهَا"⁽⁵⁾. ومنها قول تميم بن المعز⁽⁶⁾:

وإِجَاصٍ يَشْفُ لِنَاظِرِيهِ
كأنّ متونه سبجٌ صقيلُ
فهو يفتتح المقطوعة بواو رب مقرونة باسم الموصوف (وإِجَاصٍ)
وقول الشريف العقيلي⁽⁷⁾:

ومشمش نثرْتُهُ
كأنه إذ تراءى
على الرياضِ رياحُ
لناظري أمّاح

(1) ابن الخياط، الديوان 284 والنويري، نهاية الأرب 41/11.

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، ص158.

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 116.

(4) الصفدي، الكشف والتنبيه 376 والنويري، نهاية الأرب 156/11 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 109.

(5) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 2/362.

(6) تميم، الديوان، ص410.

(7) الشريف العقيلي، الديوان، ص96.

فقد افتتح المقطوعة باسم الموصوف مسبقاً بواو رب (ومشمش).
وقول الوأواء الدمشقي⁽¹⁾:

ونارنج تميلُ به غصونٌ فيغدو ميلها كالصولجان
افتتح المقطوعة بواو مقرونة باسم الموصوف وهو النارنج.
وكذلك قول الشريف العقيلي⁽²⁾:

ونارنجة بين الرياضِ نظرتها على غصنٍ رطبٍ كقائمةٍ أغيد
وقول ابن وكيع التينسي⁽³⁾:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه فيا حسنة من منظرٍ حين هتكا
فهو يفتتح بواو رب مقرونة باسم الموصوف وهو (الطلع).
ومثله قول الحداد ظافر الحداد⁽⁴⁾:

ورؤوسٍ جاءت بكل رئيسٍ قد تناهت في كل معنى نفيسٍ

د- البدء بالكناية عن الموصوف أو صفته مسبوقة بواو رب :

ويهدف الشاعر من ذلك أن يشوق السامع بما يقصد من الوصف، أو أن يلغز في الموصوف وغرض " التلغيز"⁽⁵⁾ شاع في ذلك العصر وما بعده، وذلك مثل قول كشاجم في البطيخ (الشمام)⁽⁶⁾:

وزائرٍ زار وقد تعطرا أسراً شهداً وأذاع عنبـرا
وأودعت منه اللهاة السكرأ ينفثُ في الأنوف مسكاً إذفرا
ملتحفاً للحرّ ثوباً أصفرا معتمداً من الحرير أخضرا
يظنه الناظرُ إن تصورا دبّ الدُّبى بمتته فأترا

والملاحظ أن الشاعر لم يذكر اسم الموصوف في أي من الأبيات الأربعة، بل كنى عنه بلفظ (الزائر) في بداية المقطوعة.

أو قول تميم بن المعز في وصف تفاحة⁽⁷⁾:

ومذكرة ريح الحبيب بريحها وحاكية خديه لي باحمرارها
تجاور لوناه اخضراراً وحمرة فيا عجباً من مائها قرب نارها

(1) الوأواء الدمشقي، الديوان 228 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 105 والصفدي، الكشف والتنبيه 346.

(2) الثعالبي، ينيمة الدهر 1/ 416 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 103.

(3) ابن وكيع، الديوان 134 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 361 والصفدي، الكشف والتنبيه 361.

(4) ظافر الحداد، الديوان، ص173.

(5) التلغيز: هو غرض شعري شاع في العصر الفاطمي وما بعده من العصور الأدبية، وهو التعمية على اسم الموصوف بهدف إثارة ذهن السامع لمعرفته.

(6) كشاجم، الديوان، ص156، والنويري، نهاية الأرب 11/ 36.

(7) تميم، الديوان، ص191.

فهو لا يصرح باسم الموصوف وهو التفاحة، بل يستخدم الكناية عنها بصفتها وهي (مذكرة ريح الحبيب).

أو قول السريّ في وصف الخيار⁽¹⁾:

وعقفاءً مثلَ هلال السماء ولكنها لبست سندساً
زبرجدةً حسنت منظراً وكافورةً بردت ملمساً

فهو يكتفي بصفة الخيار وهي (عقفاء) ويتبعه بتشبيه (مثل هلال السماء).

وقول ابن قسيم الحموي في وصف الرمان⁽²⁾:

ومحمرّة من بنات الغصون يمنعها ثقلها أن تميّدا
منكسةً التاج في رأسها تفوق الخدود وتحكي النهودا
تقضُّ فتقرُّ عن مبسم كأنّ ب من عقيق عقودا
كأنّ المقابل من حبّها تغورُ تقبل منها خدوداً

وقول السريّ الرفاء⁽³⁾ وفي وصف النارج:

وبديعة أضى الجمال شعارها صبغ الحيا صبغ الحياء إزارها
فكأنها في الكفّ وجنة عاشق عبث الحياء بها فأضرم نارها
محمولةً حملت عجاجة عنبرٍ فإذا سرى ركب النسيم أثارها

والملاحظة في المقطوعات السابقة أن الشاعر لا يذكر اسم الموصوف، بل يترك ذلك للسامع ليستخرجه من خلال أوصافه لها، أي أنه لغز له ليفكر ويستخرج الموصوف.

هـ- تصدير المقطوعة بأفعال المدح (يا حبذا) و(أفعل بـ) :

ويقصد الشاعر بذلك ترغيب السامع بالموصوف، ونقل التجربة الشعورية اللذيذة إلى السامع بالبداء بالفعل (يا حبذا) أو فعل المدح الذي على وزن أفعل بـ، ومثل ذلك قول كشاجم⁽⁴⁾:

أحببُ بتينِ جاءنـا مثلَ نهـود الخـردِ

فقد بدأ مقطوعته بفعل المدح (أحببُ) للترغيب فيه، وهو على صيغة (أفعل بـ).

وقول تميم بن المعز في التين أيضاً⁽⁵⁾:

يا حبذا التين لذنا بهـ وليتـهـ كان لنا قوتاً

(1) السري الرفاء، الديوان، ص154.

(2) العماد الكاتب، خريدة القصر / قسم الشام 1/ 431.

(3) النويري، نهاية الأرب 113/ 11 والصفدي، الكشف والتنبيه 345.

(4) النواجي، حلبة الكميت، 271.

(5) العنابي، نزهة الأبصار، 410.

وقد استخدم فعل المدح (حبذا) للتعبير عن مدى استمتاعه بأكل التين.
وقال السري الرفاء في الدستبويه (1):

يا حبذا تحيُّه
رحتُ بها مسرورا
إذ جاءني يحملها
ظبيُّ يباهي الحورا
فقد بدأ مقطوعته بقوله (يا حبذا) للتعبير عن إعجابه بتلك الهدية النفسية.

و- تصدير المقطوعة بالأفعال التي تلفت الانتباه:

وذلك مثل (أنظرُ وأما ترى)
ومنه قول الشريف العقيلي (2):

أما ترى الأبرميس مضطرباً
كأنه قلب عاشق رجف
فهو يحاول لفت انتباه السامع بقوله: أما ترى؟ لإشراكه في متعة رؤية السمك وهو يرتجف في الشباك.
وقول ابن وكيع (3):

أما ترى البُسرَ الـذي
قد حاز كلَّ العجب
لأفتاً انتباه فهو يحاول لفت انتباه السامع الى جمال البسر الذي حوى كل العجائب!
وقول ابن القطاع الصقلي فيه أيضاً (4):

انظرُ إلى البسرِ إن صورته
أحسنُ ما صورة رأى الرائي
فهو يطلب من السامع أن يستمتع بصورة البسر، وجمال منظره.
وقول ابن وكيع (5):

أما ترى النخل طارحاً بلحاً
جاء بشيراً بدولة الرطب
وهو يلفت الانتباه إلى البلح الذي سيؤول الى رطب بعد حين.
وقول ابن وكيع أيضاً (6):

انظرُ إلى زيتوننا
فيه شفاء المـهـج
إنه يلفت الانتباه إلى جمال الزيتون، لأن النظر إليه يشفي القلوب.
وقول أسامة بن منقذ (7):

أما ترى التين في الغصون بدا
ممزق الجلد مائل العنق

(1) السري الرفاء، الديوان، ص148.

(2) الشريف العقيلي، الديوان، ص216.

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 112.

(4) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 113 والصفدي، الكشف والتنبيه 363.

(5) ابن وكيع، الديوان 134 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 111 والكشف والتنبيه 361.

(6) النويري، نهاية الأرب 11/ 132.

(7) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 118 والصفدي، الكشف والتنبيه 373.

فهو يلفت الانتباه الى جمال صورة التين وهو ممزق الجلد، في إشارة إلى نضوجه. والواضح أن هذه الأفعال قد تصدرت تلك المقطوعات للفت انتباه السامع إلى جمال مشهد الثمار والمأكولات.

ز- تصدير المقطوعة بالأفعال الماضية المناسبة للسرد القصصي:

وفيه تبدو المقطوعة كأنها قصة مشهد ما يرويها لنا الشاعر، وفي ذلك أيضاً تشويق وشدً لانتباه السامع، منه قول كشاجم⁽¹⁾:

رُحنا إلى حديقة	بكل حسنٍ محدقة
كأنمنا عنقودها	زنجٍ جنوا في سرقة
فأصبحت رؤوسهم	على الذرا معلقة

فهو يصدر مقطوعته بالفعل الماضي (رحنا) لمناسبة السرد القصصي.

ومثله قول ابن القيسراني⁽²⁾:

نزلنا على القصب السكّريّ	نزول رجال يريدون نهبه
بحزٍ كحزّ رقاب العدا	ومصّ كمصّ شفاه الأحبه

فهو يبدأ مقطوعته بالفعل الماضي (نزلنا) لمناسبة سرد قصته.

وقول كشاجم في طبق من الفاكهة⁽³⁾:

أحضرنا الناطور من بستانه	في طبق ينطق عن إحسانه
لونا من الرائع في أوانه	أهدى له الجوهر من ألوانه

فهو يصدر مقطوعته بالفعل (أحضرنا) لمناسبة السرد.

وقول ظافر الحداد⁽⁴⁾:

جاء بلوز أخضر	أصغره ملء اليد
---------------	----------------

وقول كشاجم⁽⁵⁾:

قد أتانا الذي بعثت إلينا	وهو شيء في وقتنا معدوم
طلعة غضة أتتنا تحاكي	سقطاً فيه لؤلؤ منظوم

وكلها قد بدأت بأفعال ماضية (جاء، نزل، أحضر، أتانا...).

وخلاصة القول إن الشعراء قد اختاروا تصدير مقطوعاتهم بما يناسب الوصف والتشبيه كحروف التشبيه، أو ما يناسب بدايات القصائد والمقطوعات كإورب مقترنة باسم

(1) النويري، نهاية الأرب 151.

(2) ابن القيسراني، الديوان، 91 و الصفدي، الكشف والتنبية 385.

(3) النويري، نهاية الأرب 162 / 11.

(4) ظافر الحداد، الديوان 369، والنويري، نهاية الأرب 88 / 11.

(5) النويري، نهاية الأرب 125 / 11 وابن ظافر، غرائب التنبهات 111.

الموصوف أو ما يلفت انتباه السامع كأفعال (انظر وأما ترى) أو ما يناسب السرد القصصي من الأفعال الماضية، أو التعمية على السامع بالبده بصفات الموصوف أو كنياته تشويقاً له.

البنية التركيبية لقصائد وصف الطعام والشراب:

إذا استعرضنا قصائد وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي وجدناها -على الأغلب- عبارة عن رسائل شعرية يبعث بها صاحب وليمة إلى صديق له، يستدعيه فيها لتناول الطعام عنده، وحتى يبعث في نفسه حب الشهوة إلى الأكل فإنه يصف ما لذ وطاب من الطعام والشراب مستخدماً في ذلك تقنياته الفنية كلها ومهاراته الإبداعية والفنية، ويُسْتثنى من ذلك مطولتا الواساني والشريف العقيلي اللتان نظمتا في أغراض أخرى، فالأولى كانت في الهجاء، والأخرى في المعارضة، وإن كان الموضوع هو نفسه وصف الطعام والشراب. وسنبحث في تركيب قصيدة وصف الطعام والشراب من حيث طريقة افتتاحها، وتركيبها، وألفاظها وسردها ووحدتها الموضوعية على النحو الآتي:

أ - افتتاح قصائد وصف الطعام والشراب: يكثر الشعراء من افتتاح قصائدهم بأدوات الاستفهام، والنداء، والنهي، والعرض، لتعبر في مجموعها عن غرض واحد وهو دعوة الصاحب أو الصديق دعوة مباشرة للإقبال على المائدة وتلبية الدعوة، ويكون ذلك مدخلاً لوصف ما حفلت به المائدة من ألوان الطعام ومن أمثلة ذلك

1- قصيدة كشاجم في دعوة صاحبه⁽¹⁾ التي يصدرها باسم الاستفهام (متى)

متى تتشط للأكل ؟ فقد كللتِ الجونة
وقد زينها الطاهي لنا أحسن تزيينة

فهو يصدر القصيدة باسم الاستفهام (متى) مستبطناً حضور صديقه إلى وليمته التي أعدها له خصيصاً.

2- قصيدة ظافر الحداد يستدعي صديقاً لأكل الملوخية⁽²⁾ التي يفتتحها بحرف النداء (أيأ)

أيأ سيدي وأخي لا تغب فعندي لك اليوم ما يستحب
ملوخيةً سبقت وقتها وجاءت كهينة خضر الزغب

فهو يصدر القصيدة بحرف النداء (أيأ) مغرياً صديقه بالحضور ومعظماً لشأنه.

(1) كشاجم، الديوان، ص306.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص61.

3- قصيدة أبي العباس الكحلّ يستدعي صديقاً له لأكل الراي⁽¹⁾ التي يفتتحها بأداة النهي "لا"

لا تتّخر لغدٍ مالا ولا سبدا
فليس يعلمُ خلقٌ هل يعيش غدا
خذُ من زمانك ما جاد الزمان به
فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبدا

فهو يقدم إليه نصيحة ثمينة يفتتحها بحرف النهي (لا) ليغريه بالقدوم وتلبية دعوته.

4- قصيدة ظافر الحداد بلسان من دعاه وقلّى سمكاً⁽²⁾ يفتتحها بحرف النداء " أيا "

أيا سيّداً نال أعلى الرتبُ
وحاز الكمال بأوفى سببُ
أما لك في الراي رأيٌ فإنّ
له صفةً أوجبت ما يحبُّ

فقد بدأ بحرف النداء (أيا) تعظيماً لشأن مدعوه، وإغراءً له بالقدوم لأكل السمك.

5- قصيدة الشريف العقيلي في الدعوة لأكل السمك⁽³⁾ وقد افتتحها بعرض ما عنده من

ألوان الطعام حيث يقول:
عندي جعلتُ فداك من نُدمانٍ
رايٍ قريبُ العهد بالغدرانِ
يقلّي لنا في الوقت حين يجيئنا
فيجيئنا كسبائك العقِيانِ

فهو يفتتحها بقوله (عندي) عارضاً ما عنده لصديقه، مغرياً إياه بالقدوم لأكل سمك الراي.

6- ومثله قوله أيضاً في الدعوة إلى مائدة أيضاً⁽⁴⁾:

لك عندي جمع من الهليونِ
حوله عسجدٌ من الطردينِ
وفراخٌ منها المصوص ومنها
ما عدلنا به إلى التطجينِ

وهو الشاعر نفسه يفتح قصيدته بقوله (عندي) أو ربما يكون ذلك بصمة أسلوبية ينفرد بها الشريف العقيلي.

7- وقول الشريف العقيلي أيضاً في استدعاء صديق له إلى مائدة الطعام⁽⁵⁾ مفتتحاً بحرف

النداء "يا"

يا سيّداً أركان عليائِهِ
في ذروة العيوق مبنية
عندي فروجان ما منهما
الا ابن هنديّ وهنديّة

ومن ذلك يتضح لنا مدى حرص الشعراء على افتتاح قصائدهم بتلك الأدوات، وذلك للتعبير عن عرض واحد هو دعوة ذلك الصديق وإغرائه بالقدوم إلى تلك المائدة.

(1) الثعالبي، بئيمة الدهر 1/ 434 و ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 151.

(2) ظافر الحداد، الديوان، ص6.

(3) الشريف العقيلي، الديوان، ص287.

(4) الشريف العقيلي، الديوان، ص277.

(5) الشريف العقيلي، الديوان، ص298.

وصف الطعام والشراب:

بعد سردي أساليب افتتاح القصائد والمقطوعات التي أشرت إليها آنفاً، ينقسم الشعراء إلى قسمين: الأول، يركز على صنف واحد من المَطعومات يبذل فيه غاية وسعه في وصفه وتزيينه وتشبيهه، والإحاطة بجوانبه شكلاً، ولوناً، وطعماً، ورائحة، كما ورد في وصف سمك الراي في ثلاث قصائد، أو في وصف الملوخية⁽¹⁾.

والثاني، يبدأ بعد الافتتاح بحشد أسماء الطعام وألوانه، أكثر من ذكر الأسماء، مقلداً في التشبيه والوصف، كما في قصيدة كشاجم التي ذكر فيها (الجدى والنعنع والطرخون والهليون والبيض والجبن والبادنجان واللوزينج والزيتون وغيرها) أو في مطولة الواساني التي حشد فيها عشرات الأسماء لمختلف المَطعومات. وفي رأيي أن التركيز على مطعم واحد، وتغطية أوصافه والكشف عن جوانب جماله الحسي والتذوقي هو أفصح وأبلغ، لأنه في إبانة عن مدى إجادة الشاعر في البلوغ بموصوفه غاية الكمال وترغيب السامع فيه من شاعر يسرد أصناف المَطعومات سرداً بارداً خالياً من التشبيهات والأوصاف.

حشد أسماء الأطعمة والأشربة في القصيدة:

يخرج المستقرئ لقصائد الطعام والشراب - ولاسيما تلك التي تعتمد فيها أصحابها حشد أسماء الأطعمة - بقائمة طويلة من مسميات الطعام في ذلك العصر، التي تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، ولذلك فإن الباحث يحتاج إلى معجم متخصص يبحث فيه عن معاني تلك الموصوفات، وخصوصاً أن معظمها أعجمي، وإذا تمثّلنا على ذلك بقصيدة كشاجم سالفة الذكر، فإننا نجد فيها ألفاظ (الطرخون والطيهورج والسبوجة والطروين والبادنجان والهليون واللوزينج والدستيجة) وهذا يعكس حجم المفردات الأعجمية في الأطعمة، لأن معظمها مأخوذ من الأعاجم (الفرس والروم) الذين برعوا في الطبخ قبل العرب، وذلك لأنهم كانوا أهل حضارة ومدنية أكثر من العرب. ومن مقطوعة أخرى للشريف العقيلي نجد ألفاظ (السنبوسج والدستيق والطردين والهليون والبرازيدق وغيرها)، وقد جاء حديثي عن أسماء الأطعمة والأشربة على النحو الآتي:

(1) أنظر قصيدة "الملوخية" لظافر الحداد، ص 89.

الترادف اللفظي:

نظراً لأن وصف الطعام وإعداده وتحضيره محصورٌ في حقل معجمي واحد، فإن الشاعر يلجأ إلى الألفاظ المترادفة حتى لا يكرر اللفظ الواحد، فيؤدي ذلك إلى ضعفٍ ظاهر عنده، وإلى مجاجةٍ في السياق وملل ينتاب القارئ، ولذلك فإن الترادف في استخدام الألفاظ في وصف الطعام والشراب يحقق عند الشاعر هدفين، هما: الأول تجنب التكرار، والثاني استعراض مهارته اللغوية في الوصف، وإلمامه بالحقل المعجمي لألفاظ الطبخ، وأسماء المطعومات، وهذا ما فعله الواساني، إذ ذكر في بيتين ما يزيد على ثمانية أنواع من التمر وذلك في قوله⁽¹⁾:

أكلوا لي من القريشاء والبر نيّ والمعقلي والصرفان
ألف عدلٍ سوى المصقرّ والبر ديّ واللؤلؤي والصيحاني

ولدى بحثي في معاني تلك المسميات وجدتها كلها من أنواع التمر، فالقريشاء هو التمر الصلب، والمعقلي هو الرطب، والصرفان هو التمر الممضوغ كالعلكة، والمصقر هو التمر الذي يصبّ عليه الدبس، والبردي هو التمر الحجازي الأحمر. فماذا أراد الواساني سوى أن يظهر مهاراته في معرفة كل تلك الأصناف.

التكرار: يقع التكرار في قصائد وصف الطعام والشراب ومقطوعاته في موضعين لا ثالث لهما: **الأول التكرار المعنوي:** وهو تكرار المعاني والصور والتشبيهات والنسق عند الشاعر نفسه حيناً وبين الشعراء أنفسهم حيناً آخر، وقد يكون التكرار بريئاً ناتجاً عن التأثر، أو هو من قبيل وقوع الحافر مكان الحافر، أو من قبيل السرقة الأدبية. ومن قبيل تكرار الشاعر نفسه قول ابن وكيع في مقطوعة يصف الطلع⁽²⁾:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه فيا حسنه من منظر حين هتكنا!
وقوله في مقطوعة أخرى يصف الطلع أيضاً:

طلع هتكنا عنه أثوابه من بعد ما كان مستوراً

فهو يكرر الصورة نفسها، وهي هتك الثوب عن الطلع الذي يغطي حتى ينضج بسرعة. ومن تكرار الصور قول ابن الخياط في وصف النارج⁽³⁾:

ومعشوق نارج يريك احمراره خدود عذارى بالعتاب تضرّج

(1) النعالي، بتيمة الدهر 362 / 1.

(2) ابن وكيع، الديوان، 56 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 110.

(3) ابن الخياط، الديوان، ص44.

وهي الصورة نفسها في وصف النارنج عند السريّ الرّفاء حيث يقول⁽¹⁾:

فكأنها في الكف وجنة عاشق عبث الحياء بها فأضرم نارها

وهو تشبيه لون النارنج الأحمر بلون خدّ العاشق الذي يحمّر خجلاً.

والثاني التكرار اللفظي: وهو كثير، والمقصود به تكرار اللفظة الواحدة في المقطوعة

الواحدة أو القصيدة، مما لا يقع في باب الجناس أو ردّ العجز على الصدر. ومنه تكرار حروف التشبيه وحروف العطف، وبعض الحروف الأخرى، وتكرار الأفعال تكراراً مقصوداً ومنه تكرار حروف التشبيه تكراراً متتالياً لقول أبي العباس الكحلّ في وصف الراي⁽²⁾:

رايٍ طريٍّ كبيرٍ القدّ تحسبُهُ	في لونه فضةٌ بيضاء أو بردا
كأنّ كفّاً عليه زرّرت قطعاً	من اللجين صغار النظم أو زردا
كأنّ قاله قد بالقليّ ألبسه	من الشقائق أثواباً له جُـددا
كأنّه في سكير القلي منقلياً	صبّ ثقلبُهُ كفُّ الهوى كمدا
كأن يا قوّة حمراء هلّ لها	صواغها ذهباً بالحسن متحدا
كأنّه كان في نهر الحياة فما	يكاد يُسلمُ منه روحهُ الجسدا

والتكرار يدل هنا على غنى المقطوعة بالصور الفنية، ولكن الشاعر باستطاعته تجنب

تكرار لفظ أداة التشبيه " كأنّ " على هذا النحو، وسلوك مسلك آخر في التشبيه يغنيه عن

تكرار لفظ " كأن " ومن تكرار الواو للعطف، وهو حرف ربط قول كشاجم⁽³⁾:

وفرخٌ وأفـرر الزورِ	أجدنا لك تسمينه
وطيهوجٌ وفـروجٌ	أجدنا لك تطحينه
وسبوجةٌ مقلـو	ةٌ في إثر طروينه
وحمرأٌ من البيض	إلى جانب زيتونة
وظلـعٌ كنظام الدر	رٍ بالعنبر معجونه

وهو تكرارٌ لا غنى عنه لأن الواو هي حرف العطف الذي يربط به بين كل هذه

المسميات ومن تكرار " قد " في مطلع البيت، قول ظافر الحداد في وصف الملوخية⁽⁴⁾:

وقد نُقيتْ قبل تقطيفِها	بكفّي لبيبٍ خبيرٍ دَرَبْ
وقد غادرتها حدودُ المـدى	كما غادر الصبرُ قلبَ المحبِّ
وقد أحكمتُ بفراخِ الحمـامِ	ودُهْنِ الدجاجِ وصغرِ الكبِّ

(1) النويري ، نهاية الأرب 11 / 133 و الصفدي ، الكشف والتنبيه 345.

(2) النعالي ، بتيمة الدهر 1 / 434 و ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 151.

(3) كشاجم، الديوان، ص306.

(4) ظافر الحداد، الديوان، ص61.

وهو تكرار أضعف المقطوعة، فلا مبرر لبدء كل بيت بعبارة " وقد " وهو من التكرار الرديء الذي ليس له فائدة بلاغية أو معنوية.

ومن تكرار الفعل قول الواساني⁽¹⁾ :

أكلوا لي من الجرادق ألفـ	نِ بجبنٍ تشتأقه العارضانِ
أكلوا لي أضعافها غير مشطو	رٍ ومالوا إلى سميدِ الفرانِ
أكلوا لي من الجداء ثلاثـ	نَ قريضاً بالخلِّ والزعفـرانِ
أكلوا ضعفها سواءً وضعفها طيبـ	خاً من سائرِ الألوـوانِ
أكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضرـ	ري برؤوسِ الجداء والعصبانِ
أكلوا لي كشكية قرحت قلـ	بي وهاجت لفقدها أشجانـي
أكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ	رِ طرياً من أعظم الحيتانِ
أكلوا لي عدلاً من المالح المشـ	ويّ ملقى في الخلِّ والأنجـدانِ
أكلوا لي من القريشاء والبرـ	نيّ والمعقليّ والصرفانِ
ألف عدلٍ سوى المصقرِّ والبرـ	ديّ واللؤلؤي والصيحاني
أكلوا لي من الكواميخ والجو	زمعاً والخلاط والأجبانِ

لقد كرّر الواساني الفعل " أكلوا " في أحد عشر بيتاً متتالياً ليؤكد الكارثة التي حلت به من شراهة ضيوفه، وجعل الفعل " أكلوا " مدخلاً لسرد ما أكله الضيوف في ذلك (الغزو) على ضياعه ومزروعاته ولكنّ التكرار أضعف القصيدة فنياً لأنه بالغ في تكرار هذا الفعل. وخلاصة القول إن التكرار المادي في وصف الطعام والشراب جاء أحياناً لخدمة المعنى، كالتوكيد، والمبالغة في الوصف، وأحياناً جاء تكراراً مضعفاً لفنّيّات القصيدة ولقدرة الشاعر، وأحياناً ثالثة أتى ضرورياً لاقتضاء المعنى كحروف الربط وحروف التشبيه غير المتتالية.

أما التكرار المعنوي، فمنه تكرار الشاعر لبعض الصور الفنية وفي ذلك ضعف واضح، وأما التكرار في المعاني والصور الذي وقع بين الشعراء فأمرٌ لا بد منه لوقوع التأثير والتأثير بينهم.

(1) الثعالبي ، بئيمة الدهر ج 3 361.

رابعاً: المستوى النحوي

يتناول المستوى النحوي أبرز سمات الجملة التي تناولت شعر الطعام والشراب، من حيث طبيعة هذه الجملة اسمية أم فعلية، وعناصر هذه الجملة، والتراكيب النحوية التي تلتحم لتكون سياقاً لغوياً يمكن أن يحكم عليه بالجودة أو الرداءة .

وقد وقفت على عددٍ من الظواهر النحوية التي رأيتها بارزةً في شعر وصف الطعام والشراب ومنها: نوع الجملة، وأحوال المسند إليه من حيث التعريف والتكثير، وظاهرة الفصل، والحذف، وتكرار العناصر النحوية، والحق أنّ هذه القضايا ليست قضايا نحوية صرفة، وإنما هي مما يقع في باب القضايا النحوية ذات الأبعاد البلاغية والدلالية، وقد درست هذا المستوى ضمن الآتي:-

أ- أحوال الجملة في شعر وصف الطعام والشراب

تسيطر الجملة الاسمية على النسبة الكبرى من شعر وصف الطعام والشراب، ولاسيما في المقطوعات الشعرية القصيرة، وسبب ذلك أن الشاعر يصدر الجملة باسم الموصوف أو كنيته ليخبر عنها واصفاً جمالها، وبديع صنعها، كما أن المقطوعة الشعرية هي عبارة عن وصف لمشهد صامت ليس فيه حركة، وحتى لو بدأ الشاعر مقطوعته بفعل، فهو يبدوه بفعل يلفت الانتباه إلى فضل الموصوف، وسرعان ما تبدأ الجمل الاسمية بالتوارد بعده.

أما في قصائد وصف الطعام والشراب الطويلة نسبياً، التي فيها سردٌ لكيفية إعداد الطعام فقد لاحظت كثرة الجمل الفعلية؛ لأن المشهد يصف حركة وأحداثاً متوالية.

1- المسند إليه: بدأنا بالكتابة عن المسند إليه، لأنه هو مثار اهتمام الشاعر وتركيزه، فالمسند إليه هو المقصود بالوصف، وغالباً ما يكون المسند إليه هو المبتدأ، ذلك أن غالبية الجمل اسمية، والمسند إليه هو إما اسم الطعام أو كنيته أو صفته، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المستوى التركيبي.

والظاهرة الأبرز في حال المسند إليه في جملة الوصف الشعري هي تنكيره، ولذلك سنقف عليها بشكل من التفصيل:

*** تنكير المسند إليه:** يقع المسند إليه وهو اسم الفاكهة أو الطعام في معظم المقطوعات نكرة، فما الغاية التي من أجلها نكر الشعراء أسماء موصوفاتهم، وكيف بدأوا مقطوعاتهم بالنكرة ؟

يجمع علماء النحو على أن النكرة هي الأصل، والمعرفة هي الفرع، فالنكرة تدل على العموم الذي يعرفه جميع الناس، وأما التعريف فيقصد به شيء يعرفه بعضهم ولا يعرفه بعضهم الآخر ولذلك فقد وقف عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" طويلاً أمام كلمة "حياة" في قوله تعالى ♥ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ♦⁽¹⁾ ليوضح المعاني البلاغية لتتكرر كلمة "حياة" في هذه الآية.

وأما ما يعيننا من تتكسر لاسم المقصود بالوصف في المقطوعات، فالمقصود به إبراز المقصود بالوصف وهو موصوف مهم لا يبلغ كنهه ولا يعرف قدره، مما يضفي عليه هالة من التعظيم، كقول العرب: إنَّ له لإبلاً وغنماً (بالنكرة) يقصد بذلك تعظيم عددها وتكثيره، ولذلك قال السحرة لفرعون ♥ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ♦⁽²⁾ نكروا الأجر لتعظيمه.

وفي هذا يقول الزمخشري في معرض تفسيره لتتكرر "الماء" في قوله تعالى ♥ وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض⁽³⁾ وقوله تعالى "فمن يأتيكم بماءٍ معينٍ" ♦⁽⁴⁾

قال: "فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدها بالشكر الدائم ويخافوا نفادها إذا لم تشكر"⁽⁵⁾.

وفي بحثنا أكثر من عشرين موقعاً نكرت فيها الواصفون من الشعراء أسماء الطعام تعظيماً لشأنه ولكن كيف استطاعوا فنياً البدء بالنكرة؟ إذ أنه لا يجوز البدء بالنكرة إلا لمسوّغ. والجواب هو أنهم لجأوا إلى إلصاق المبتدأ بواو ربّ في أغلب المقطوعات كقولهم (وإجاص، وباقلاء، وزائر، وطيب، وذات ريق، ومذكرة، وعقفاء ومحمرة، ومهد، ومشمش وأشجار موز، ومعشوق نارنج...) فهو مرة يقرن الاسم الصريح بواو رب، ومرة كنيته أو وصفه بواو رب.

وأحياناً يلجأ الشاعر إلى تسوية البدء بالنكرة بتخصيصها بالوصف أو بالإضافة كقول عبد المحسن الصوري⁽⁶⁾:

عنبٌ أسودٌ كأنَّ عليه حلاً من حنادس الظلماء
فقد خصص (عنب) بالوصف (أسود)

(1) البقرة 96/2.

(2) الأعراف 113/7.

(3) المؤمنون 18/23.

(4) الملك 30/67.

(5) الزمخشري، الكشاف 102/2.

(6) النويري، نهاية الأرب 151/11، وابن ظافر، غرائب التنبيهات 109، والصفدي، الكشف والتنبيه 376.

والخلاصة أن شعراء وصف الطعام والشراب قد لجأوا إلى تنكير أسماء الثمار والطعام إمعاناً في تعظيمها.

ب الفصل: يطلق مصطلح " الفصل " على ما يصيب البيت الشعري من الفصل بين العناصر النحوية المتلازمة، كالفصل بين المضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف وحرف العطف والمعطوف، والفصل بين إن وأخواتها م جهة وأخبارها من جهة أخرى، مما يؤدي إلى قبح في النظم وصعوبة في التوصل إلى المعنى، وإن كان قد صنف بعض ذلك في باب الضرورات الشعرية، إلا أن فيه إضعافاً لتركيب الجملة نحواً ومعنى كما أسلفنا.

ويعدُّ الفصل ظاهرة في شعر وصف الطعام والشراب، ولاسيما في باب الفصل بين كأن واسمها من جهة وخبرها من جهة أخرى، وذلك عائدٌ إلى أن الصورة الشعرية تبدو في أغلب الأحيان مركبة، وما إن يبدأ الشاعر بوصف صورة المشبه بعد حرف التشبيه " كأن " حتى يكون قد ابتعد بكأن واسمها عن خبرها بسطر أو أكثر.

ولكن باب فصل كأن واسمها عن الخبر ليس هو الباب الوحيد في الفصل كما سنوضح أبواب الفصل على النحو التالي:

1 -فصل " كأن " واسمها عن خبرها": وهو أوسع باب كما أسلفنا، ومنه قول ظافر الحداد في وصف القمح⁽¹⁾:

كأنّ سنابل حب الحصيد	وقد شارفت وقت إبانها
مكأنس مضمفورة رُبعتْ	وأرخي فاضل خيطانها

وقد فصل بين كأن واسمها وبين خبرها بست كلمات ومنه قول ابن قلاقس السكندري⁽²⁾:

كأن بأجباد عقد النخيل	بخضر الملابس سمر الغواني
قلائد منظومة من جمان	تميد غراماً كما تنتثني

وقد فصل هنا بين كأن وخبرها المتقدم من جهة وبين اسمها المتأخر (قلائد) من جهة أخرى حتى وقع الخبر في بيت والاسم في بيت آخر.

وقول تميم بن المعز يصف الراي⁽³⁾:

كأنّ الراي حين أتى طرياً	بأذناب كمحمرّ العقيق
بلسقيات بلورٍ لطافٍ	بأسفلها بقايا من رحيق

(1) ديوانه 236 والنويري ، نهاية الأرب 16 / 11.

(2) الصفدي ، الكشف والتنبيه 364.

(3) تميم، الديوان، ص303.

فقد فصل بين (كأن الراي) وبين الخبر (بلسقّيات).

2- الفصل بين الفعل والفاعل:

ومنه قول ظافر الحداد في وصف فقاعي⁽¹⁾:

وَأَفْـَـى بِفَقَّاعٍ لَهُ
شَيْخٌ مُضَتْ مِنْ عَمْرِهِ

يَحْيَى بَنَكَهْتَهُ الْمُهْجُ
فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى حُجْبُ

فانظر كيف فصل بين الفعل (وافى) وبين فاعله (شيخ^{١٨})، وهذا فيه شيءٌ من التبرير إذ أنه يريد أن يشوّق القارئ إلى معرفة من هو ذلك الرجل الذي وافى بذلك الفقاع الذي يحيي بنكهته المهج، فكأنه يزيل عنه الستار بعد خمس كلمات في تركيب الجملة، وقد جاء هذا الفاعل نكرة إمعاناً في تعظيمه، فهو رجلٌ أيُّ رجل.

وانظر في المقطوعة نفسها كيف فصل بين الفعل (مضت) وبين فاعله (حججٌ) وهي
نكرة أيضاً للدلالة على كثرتها وطولها، حتى يزيد في خبرة ذلك الشيخ.

3- الفصل بين الفعل والمفعول به:

ومنه قول ابن وكيع⁽²⁾:

يُحْكِي لَعِينِيكَ احْمَرًا قَشْرَهُ
إِذَا رَمَاهُ نَاضِرٌ بِفَكَرِهِ

غَلَاثِلًا حَمْرًا عَلَى جِسْمِهِ
بَيْضَ رَطَابٍ مِنْ جِسْمِ الرُّومِ

فقد فصل بين الفعل (يحكى) وبين مفعوله ببيت كامل، مما أضعف التركيب النحوي للجملة.

ومنه قول عبد المحسن الصوري⁽³⁾:

رِ وَلَوْنِ اسْوَدَادِهِ وَالصَّفَاءِ
لُحْنٍ مِنْ كَمٍّ لَازِدَةٍ خَضِرَاءِ

فقد فصل بين الفعل والفاعل والمفعول به الأول للفعل (خلته) وبين المفعول به الثاني وهو شبه الجملة (كقموع) إذ إن الفعل (خال) ينصب مفعولين.

4- الحذف: هو إسقاط أحد عناصر الجملة اسمية كانت أم فعلية، ما يزيد التركيب

النحوي جملاً. قال عبد القاهر الجرجاني: "وهو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب

(1) ظافر الحداد، الديوان 75 وابن ظافر ، غرائب التنبيهات 159 والصفدي ، الكشف والتنبيه 402.

(2) النويري، نهاية الأرب 11/ 109 والصفدي، الكشف والتنبيه 388

(3) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 109/ ، النويري ، نهاية الأرب 11/ 151 والصفدي ، الكشف والتنبيه 376.

الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين⁽⁴⁾.

ومن الحذف، حذف المبتدأ، وحذف الفعل، وحذف المفعول به، وحذف الموصوف وإبقاء الصفة، ومنه حذف الحروف، كحروف النداء وغيرها.

ويأتي الحذف لعلم السامع به، كقوله تعالى ♥ ووجد عليه أمة من الناس يسقون ♦⁽¹⁾ أي يسقون أغنامهم. وقد وردت ظاهرة الحذف في شعر وصف الطعام والشراب في أكثر من موضع ومنها:

أ - حذف المبتدأ: وذلك في قول كشاجم في وصف رمّانة⁽²⁾:

كَأَنَّهَا حَقَّةٌ فــــان فتحت فصرةً من فصوص ياقوت

وتقدير الكلام (إن فتحت فهي صرة) فقد حذف المبتدأ الواقع في مطلع الجملة الاسمية التي هي جواب الشرط، ما أضفى على المعنى جمالاً، فالرمّانة حقة فإن فتحت فسرعان ما تصبح صرةً من ياقوت، وهذه السرعة وانقلاب الحال ناسبها أن يحذف المبتدأ ليقع السامع على صورتها وهي صرة بعد أن قال " فتحت " .

ومن حذف المبتدأ قول عرقلة الدمشقي في مقلّي بيض⁽³⁾:

أُحْدَاقُ بَيْضٍ أَمَ حَدِيقَةِ نَرْجِسٍ أَتَتْ بَيْنَ مَصْفَرٍّ إِلَيْنَا وَمَبِیْضٍ

فقد حذف المبتدأ وتقديره (أهذه أحداق بيضٍ أم حديقة نرجس؟)

ومنه قول كشاجم في وصف كيزان فقاع⁽⁴⁾:

مَلْمَلَمَاتِ الْجِسْمِ مِنْ صِيخُودٍ مَقْنَعَاتٍ قَطَعَ الْجُلُودِ

وتقدير الكلام (هي ململلمات الجسم) وذلك لعلم السامع باسم المسند إليه وهو كيزان الفقاع.

ب - حذف المفعول به: ومنه قول كشاجم عن البطيخ⁽⁵⁾:

يُظَنُّهُ النَّاضِرُ إِنْ تَصَوَّرَا دَبَّ الدُّبَى بِمَتْنِهِ فَأَثَرَا

فقد حذف المفعول للفعل (تصورا) والأصل (إن تصوّر صورته).

ومنه قول كشاجم أيضاً⁽⁶⁾:

مَتَى تَنْشِطُ لِلْأَكْلِ فَقَدْ كَلَّتِ الْجَوْنُ

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 146.

(1) القصص 23/28.

(2) كشاجم، الديوان 78 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 114 والصفدي، الكشف والتنبيه 365.

(3) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء الشام 1/ 212.

(4) كشاجم، الديوان 104.

(5) كشاجم، الديوان، 156 والنويري، نهاية الأرب 11/ 36.

(6) كشاجم، الديوان، 306.

والأصل (فقد كَلَّتِ الجونةُ مائدتنا) ، وهو حذف للضرورة الشعرية، إذا أن الوزن والقافية تقتضي الوقوف عند كلمة (الجونة).

ج- حذف الفعل: ومنه قول تميم بن المعز في وصف الرمان⁽¹⁾:

بأبي من سعى يبردّ عني حرّاً بعض الغداء بالرمّان
وتقدير الكلام (أفندى بأبي من سعى يبرد عني) وهو حذف واجب.

د- حذف الموصوف وإبقاء الصفة : وهو كثير، وإن كان في باب النحو يسمّى حذفاً، فهو في علم البيان الكناية، ومن ذلك قول السريّ الرّفاء⁽²⁾:

وعقفاءً مثل هلال السماء ولكنها لبست سندساً
وتقدير الكلام (وخياره عقفاء).

وقول الواواء الدمشقي⁽³⁾:

وذاث ريق إن ترشّفته وجدّته أحلى من المنّ
وتقدير الكلام (وبطیخة ذات ريق).
وقول السريّ الرّفاء⁽⁴⁾:

وبديعة أضحى الجمال شعارها صبغ الحيا صبغ الحياء إزارها
وتقدير الكلام (ونارنجة بديعة) وإنما يكون الحذف في هذا الباب لعلم السامع به، أو للتلغيز في الموصوف.

هـ- حذف الحروف: كحذف حرف النداء في وقول رضي الدولة أبي سليمان يستهدي شعيراً⁽⁵⁾:

إليك ابن إبراهيم راحة مشتاكٍ لنفثةٍ مصدور شكاً حرّاً صدره
وتقدير الكلام (يا ابن إبراهيم)

ومنه حذف (لا) من (لا سيما)، في قول الشريف العقيلي⁽⁶⁾:

ولحبذا كافوره سيما إذا ما خلّفته حرارة النيران
والأصل (ولاسيما) وقد خفف الياء للضرورة الشعرية أيضاً.

(1) تميم، الديوان، 437.

(2) السريّ الرّفاء، الديوان، 154.

(3) الواواء الدمشقي، الديوان، ص 277.

(4) النويري، نهاية الأرب 113 / 11 والصفدي ، الكشف والتنبيه 345.

(5) العماد الكاتب ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام 48 / 12.

(6) الشريف العقيلي، الديوان، ص 287.

والخلاصة أن الحذف في شعر وصف الطعام والشراب قد جاء موافقاً لفطرة الشعراء اللغوية التي توجب الحذف إكمالاً لجمال التراكيب، ولكن بعض الحذف جاء لضرورة الشعر والقافية.

5- الاعتراض: ويطلق عليه البلاغيون اسم (الحشو)، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام بحجة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض بلاغي، ولا تغير في المعنى إذا انتزعت من السياق. وفي شعر وصف الطعام والشراب بعض العبارات التي جاءت حشواً لغرض بلاغي ومنها: قول ظافر الحداد (1):

تأمل - فدتك النفس - يا صاح منظرا يبيت به القلبُ الكئيب على فكرٍ

فعبارة (فدتك النفس) جاءت لمدح المخاطب ولفت انتباهه إلى جمال المنظر. ومنه قول الشريف العقيلي (2):

عندي - جعلتُ فداك - من ندمان رأيٌ قريب العهد بالغدران
فعبارة - جعلتُ فداك - جاءت حشواً لمدح المخاطب.

ومنه قول الشريف العقيلي أيضاً (3):

ونصف جدي باردٍ أمُّه -كما حكى الجلابُ- حوفيّه
فعبارة - كما حكى الجلاب- جاءت حشواً، زيادة في الإيضاح، ومعناها: على ذمة من جلبه. وقوله أيضاً (4): وعندي - فديتك - من بعدها عصيرٌ من الكرم قد عتقنا
فالاعتراض والحشو في شعر وصف الطعام والشراب جاء في أغلبه للمدح ولفت الانتباه.

6- أنماط تركيب الجملة الفعلية:

جاءت الجملة الفعلية في وصف الطعام والشراب ضمن الأنماط التقليدية للجملة في اللغة العربية من فعل وفاعل، أو فعل وفاعل ومفعول به، ولكن اللافت للانتباه في تركيب الجملة الفعلية كثرة ورود صيغ المبني للمجهول مع نائب الفاعل، واستخدام الفعل الماضي في نسبة أكبر من استخدام الفعل المضارع، وقد عرضت هذه الأنماط كما يلي:

(1) ابن ظافر ، غرائب التنبيهات 106 والصفدي، الكشف والتنبيه 346.

(2) الشريف العقيلي، الديوان 287.

(3) المصدر نفسه 300.

(4) المصدر نفسه 222.

أ - كثرة ورود صيغ المبني للمجهول: وقد جاء ذلك لغرض بلاغي هو علم السامع بمن أبدع وخلق وصّور وهو الله - تبارك وتعالى - ومثل ذلك "ذُلَّتْ، حُمِلَتْ، خُلِطَ، مُلِئَتْ، زُيِّنَتْ، أودِعَتْ، صِيغ، جُمِعَتْ، لُطِّفَتْ..".

ب كثرة ورود صيغ الأفعال الماضية: وذلك لمناسبة السرد القصصي أو للتحرّس، ولاسيما في القصائد الطويلة كقصيدة الواساني فقد سرد فيها كل ما حدث بأفعال ماضية متوالية مثل (أشرفوا، وأكلوا وفتتوا وذبحوا وشقّق..). والتحرّس على أيام الوليمة وما حصل فيها.

ت استخدام الفعل المضارع: وذلك لبث الصورة الحية في المشهد المصّور، كمقطوعة تميم بن المعز في وصف صانعة الجبن حيث الأفعال (تَقْذِف، يرمين..).

7- سيطرة الأسماء المشتقة على المقطوعات الشعرية

تحتل الأسماء المشتقة النسبة الكبرى في مقطوعات شعر وصف الطعام والشراب كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل، ولكل منها غاية بلاغية ودلالية، فاسم الفاعل يؤدي دور الفعل المضارع، واسم المفعول يؤدي دور الفعل المبني للمجهول، والصفة المشبهة وهي كثيرة تدل على ثبات الصفة في الموصوف، وأما أفعال التفضيل فتأتي في سياق المقارنة بين الموصوف وبين ما يفوقه أو يقصر عنه من أمثله ونظرائه.

رابعاً: المستوى الدلالي والمعجمي

وهو غاية ما يريد الشاعر أن يتوصّل إليه من معنى، إذ أنّ التركيب والعناصر الصرفية والنحوية والتشبيهات قد لا تصل بالشاعر إلى المعنى الذي يقصده، ولذلك فإن هذا المستوى قد احتلّ جانباً من النقد المنصبّ على التناقض في الدلالة بين ما أشار إليه التركيب وما قصد الشاعر أن يصل إليه.

وقد أجاد بعض شعراء وصف الطعام والشراب في بلوغ المعنى الذي يقصدونه، بينما أخفق آخرون. وغاية الغايات في شعر وصف الطعام والشراب هي الإبانة والإفصاح عن جمال الموصوف وهو الطعام وإظهاره في صورة بديعة تعكس انفراده وتميزه، وبالتالي يجدر الثناء على الشاعر لحسن وصفه وبلوغه من إجادة الوصف ما لم يبلغه غيره، وهذا هو ميدان التنافس بين الشعراء.

لكن بعض الشعراء مزج بين الوصف وبين غيره من الأغراض، فلم يكن الوصف هو الحاجة الرئيسية ولكنه أراد أن يبلغ بالوصف معاني الغزل أو الهجاء أو المديح أو التلغيز. وفي حديثنا عن المستوى الدلالي والمعجمي لشعر وصف الطعام والشراب سوف نتناول خروج شعر الوصف إلى الأغراض الأخرى، وفساد المعنى عند عددٍ من الشعراء، والخطأ في الدلالة، والتضمين، والمعجم اللغوي لألفاظ الشعر، وعيوب المعاني، والتكلف في طلب القافية وقد درست ذلك وفق الآتي:

أولاً: المستوى الدلالي:

1 خروج شعر الوصف إلى معان ودلالات أخرى:

خرج بعض الشعراء فيما قالوه من شعر في وصف الطعام والشراب من مجرد الوصف إلى معانٍ أخرى أهمها:

أ - المزج بين الوصف والمديح: وهو أن يجمع بين وصف الطعام والشراب ومدح مقدّم ذلك الطعام وقد يجعل المدح مدخلاً لوصف الطعام والشراب، وهو الغالب، كقول ابن الساعاتي مادحاً⁽¹⁾:

لدى منزلٍ سابغٍ ظلّه	بمنزل من أسبغ الله ظلّه
أتانا بأقمارنا وانثنى	بهنّ وقد صيغ منها أهله

(1) الصفدي، الكشف والتنبيه 360

فهو يدعو للذي أقام بمنزله أن يديم الله عزّه وكرمه، ثم يصف البطيخ كيف قطعه الممدوح
جاعلاً منه أقماراً وأهلاً.

وقد صدر ظافر الحداد قصيدته في وصف الملوخية⁽¹⁾ بالمدح وختمها بالمدح، فقال في أولها
أيا سيدي وأخي لا تغبُ فعندي لك اليوم ما يستحبُ
وختمها بقوله:

فبادرْ إلينا فكلُّ إلى
وما قصدنا بك إلا الجمال
قدومك ملتفتٌ مرتغبُ
لأنك روضةُ أهل الأدب

بل جعل بعضهم مدح المدعوِّ إلى الوليمة تقليداً لافتتاح قصائد وصف الطعام، فقال الشريف
العقيلي⁽²⁾:

يا سيذاً أركان عليائه
عندي فروجان ما منهما
في ذروة العيوق مبنيه
إلا ابنُ هنديٍّ وهنديّه

وهنا جعل الممدوح في علياء النجم، وخاطبه بالسيّد، جاعلاً ذلك استهلاً لبدء القصيدة.
ومثل ذلك مقطوعة أبي القاسم القطّاع في وصف العجّة⁽³⁾:

أبا الحسن استمع قلبي وبادرْ إلى ما تشتهي تفديك نفسي

إذن فقد جعل الشعراء المدحَ مدخلاً سهلاً لوصف الطعام والشراب، لما في ذلك من إغراء
للمدعوِّ بالوفود إلى الأكل.

ب - وقد يجعل الشاعر المدخل إلى قصيدته في الوصف، البدء بأبياتٍ من الحكمة، كقول
أبي العباس الكحلّ في مستهلّ قصيدته في وصف سمك الراي⁽⁴⁾:

لا تدخر لغد مالاً ولا سبداً
فليس يعلم خلقٌ هل يعيشُ غداً
خذْ من زمانك ما جاد الزمان به
فليس يرجعُ وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إنْ نشطت له
وجئت زادت أياديكَ الجسامَ يداً

(1) ظافر الحداد، الديوان 61

(2) الشريف العقيلي، الديوان 298

(3) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء الشام 212/1

(4) الثعالبي، بتيمة الدهر 434/1 وابن ظافر، غرائب التنبيهات 151

ج- المزج بين الوصف والهجاء:

ومنه مشابهة المهجوّ بصفات الموصوف من الطعام كالفاكهة، كقول قمر الدولة أبي

طاهر جعفر بن دواس المصري يهجو⁽¹⁾:

فغدوتَ كالبطيخ لا حلواً بل التـ
لا يحمّدُ الوصّاف من أوصافه
تَشْبِيهِ يَحْكِي قائماً أو قاعدا
ما لم يكن خشناً ثقيلاً باردا

فقد تشابه المهجو مع البطيخ (الشّمَام) الذي أحسن ما يكون عندما يكون خشناً ثقيلاً باردا وهي صفات تحسن في الشمام ولكنها سيئة في المهجّو.

ومنه قول ابن منير الطرابلسي يهجو⁽²⁾:

رغيفُهُ من ذرّة
مبيّناً ملفّفاً
لو جاز في عين الذي
أو بلع الصائمُ أُلـ
يصنّعه أو أصغرا
مبريقاً مبيكرا
يأكلُهُ لما درى
فاً مثله ما أفطرا
به تحدّى البشرأ
كأنما خبّأه

فلقد بالغ في وصف ذلك الرغيف وصغره إمعاناً في هجاء المهجّو لبخله.

د- المزج بين الوصف والغزل: وهو كثيرٌ عند تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي، ومن

ذلك قوله في وصف تفاحة⁽³⁾:

ومُذَكِّرةٌ ريحَ الحبيبِ بريحتها
تجاوز لونها أخضاراً وحمرةً
وحاكيةٌ خديه لي باحمرارها
فيا عجباً من مائها قرب نارها

فالشاعر يمزج بين ريح التفاحة وريح المحبوبة، واحمرار التفاحة واحمرار خدّ المحبوبة.

ومثله قول عبد الرحمن الواعظ المعري⁽⁴⁾:

تفاحةٌ ذكرني نصفها
ونصفها الآخر شبّهته
خدّ الحبيب حين قبّلته
صفرةً لوني حين ودّعته

فالشاعر يمزج بين وصف التفاحة والغزل مزجاً لا يمكن الفصل فيه بين الوصف والغزل.

(1) العماد الكاتب، خريدة القصر/ قسم شعراء مصر 218/12

(2) العماد الكاتب، خريدة القصر/ قسم شعراء الشام 90/1

(3) تميم، الديوان 191

(4) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء الشام 97/9

ومثله قول تميم أيضاً في وصف الخوخ (1):

ولمّا فاح لي نشرٌ ذكيٌّ من الخوخ المشبّه بالخدود
ذكرتُ به ثناياها ولكن ثناياها لها فضلٌ المزيد

فالخوخ يشبه الخدود ويذكر الشاعر بما أخفته المحبوبة داخل ثوبها مما يفوق الخوخ وصفاً وهو مزج بين الوصف وبين الغزل الصريح بالمحبوبة.

ومنه قول ظافر الحداد في وصف الكمثرى (2):

لله وافد كمثرى ذكرتُ به ما كنتُ أعهدُ من أيّامي الأولِ
لم أدنيه من فمي إلا وأحسبُهُ من النهود لذيقِ العضِّ والقبْلِ
قد ذقت من طعمه ما كاد يبلغ بي ما ذقتُ من رشفِ محبوبٍ على عجلِ
فانظر كيف يمزج بين اللذة في تذوق الكمثرى ولذة العض والقبول إلى درجة أنك لا تعرف أهو شغوف بالكمثرى أم بالعض والقبول، فلا حدود تفصل بين الوصف والغزل هنا.

هـ- الوصف والتلغيز:

التلغيز: شعر يصف فيه الشاعر الموصوف دون الإفصاح عن اسمه بهدف إثارة ذهن السامع لمعرفة اسمه (3)، وقد امتزج هذا الغرض بالوصف، لأن لبّه هو بيان صفات الموصوف، وهو كثيرٌ أيضاً في شعر باب وصف الطعام والشراب، ويمكن إدراج أية مقطوعة في وصف الطعام والشراب لا يصرّح فيها باسم الموصوف في باب التلغيز. ومن التلغيز في الوصف، قول ابن قسيم الحموي في وصف الرمان (4):

ومحمرّة من بنات الغصو نِ يمنعها ثقلها أن تميدا
منكسة التاج في دستها تفوق الخدود وتحكي النهودا
تُفضُّ فتفتّر عن مبسم كأنّ به من عقيق عقودا
كأنّ المقابل من حبّها تغورّ تقبّل فيها خدودا

فلقد وصف الرمان دون ذكر اسمه، فهو يلغز فيه، لكنه أبان عنه إبانة واضحة في وصف ظاهره وباطنه، فلا بد للسامع أن يفهم مقصوده دون أدنى شك. ومنه أيضاً قول كشاجم ملغزاً في قصب السكر (5):

(1) تميم، الديوان، 113

(2) النويري، نهاية الأرب 162/11

(3) ويسميه بعضهم "الإلغاز"، بقولهم: ألغز فلان كلامه: إذا ورّى وعرض ليخفي (الرافعي، تاريخ آداب العرب 417/3).

(4) العماد الكاتب، خريدة القصر/ قسم شعراء الشام 431/1

(5) كشاجم، الديوان، ص 63، وابن ظافر، غرائب التنبيهات، ص 126، والصفدي، الكشف والتنبيه، ص 384.

أعددتُ عندي لنداماي العجبُ
أبيضٌ في ثوبٍ حريرٍ منتخبُ
كأنما ثوبٌ من التبرِ انسربُ
شدوا إلى طرفها خُضرَ العذبُ

2- عيوب المعاني والدلالات

والمقصود به ما يخطئ الشاعر في الوصول إليه من المعاني، فيصل إلى معانٍ أخرى لا يريدُها ومن ذلك قول أسامة بن منقذ في ذمِّ رَمَّانٍ مصر⁽¹⁾:

وليس يرضى اللبيبُ عيشته ولكن زريقٌ في القفص

يريد بهذا البيت أن يعبر عن اضطرابه لأكل رَمَّانٍ مصر على الرغم من رداءة طعمه، فكأنه كالعصفور (زريق) لا يملك من أمره شيئاً، لكنه نسي أن الرَمَّان هو مما لا يضطر الإنسان إلى أكله، فهو يملك أن لا يأكله قط، فما الذي يضطر إنساناً إلى أكل رَمَّانٍ رديء. ومنه أيضاً قول ابن أبي الجوع في وصف جدي⁽²⁾:

من بعدِ تقديمِ جدِّي مسمَّنٌ ظلَّ يُشوى

له ثلاثون يوماً يحبو إلى الضرع حبوا

وقد أراد الشاعر أن يعبر عن مدى صغر سنِّ ذلك الجدي وطراوة لحمه، لكنه قال (يحبو إلى الضرع حبوا) والمعروف أن الجدي لا يحبو مهما كانت سنه صغيرة، فالحبو صفة للإنسان وليست للجدي! ولذلك فقد وقع الشاعر في عيبٍ لم يصل به إلى ما أراد حتى لو قصد بذلك صغر سن الجدي.

ومنه أيضاً قول كشاجم يصف جفنة الطعام⁽³⁾:

ومنْ فراريحِ بماءِ الحصرمِ تصلحُ للمحمومِ أو للمحتمي

إنه يريد أن يعبر عن مدى جودة تلك الفراريح ولذّة طعمها، فقال إنها تصلح للمحموم (المصاب بالحمى) والمعروف أن المحموم لا يأبه للفراريح ولا لغيرها، فالطعام لا تطيبه إلا العافية وهو بقوله " تصلح للمحموم" ينفي صلاحها للمدعو، وقد جانب الصواب في ذلك الوصف.

ومن عيوب المعاني قول ابن وكيع في وصف الباقلاء⁽⁴⁾:

طرّف الباقلاء فيه بورِدٍ ناظرٍ اللحظِ من عيون الحورِ

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 158

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر 412/1

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 154

(4) نفسه، 98

ببياضٍ سواده فيه يحكي

سبجاً نابتاً على بلورٍ

والمعروف أنّ السبج هو خرزٌ أسود، والخرز لا ينبت، كما أن البلور لا يصلح
للإنبات، والعبارة لا تصلح على المجاز ولا على الاستعارة لأن المشبه به يجب أن يكون مما
اعتاده وألفه السامع، ولم نعتد رؤية السبج نابتاً ولا البلور منبتاً للسبج.

ومن الأخطاء التاريخية قول ظافر الحداد في وصف الرؤوس⁽¹⁾:

جلّ مقدارها فأصلح ما كا نت هدايا كسرى إلى بلقيس

فقد أخطأ إذ وهم أن كسرى هو الذي بعث بالهدايا إلى بلقيس، والحقيقة التاريخية أن سليمان
الحكيم هو الذي تلقى الهدايا من بلقيس.

3- التضمين: وهو تمام وزن البيت قبل تمام المعنى، وبعبارة أخرى: افتقار البيت الأول إلى
البيت الذي يليه ليتم معناه، قال المرزباني: "التضمين عيب شديد من الشعر، وخير الشعر ما
قام بنفسه، وخير الأبيات عندهم ما كفى بعضه دون بعض"⁽²⁾.

وعلى الرغم من أنّ العديد من الكتاب في فنون البلاغة قد جعلوا التضمين في باب عيوب
القافية إلا أنني اخترت وضعه في باب الدلالة لما له من علاقة بالمعنى، وتأسياً ببعض من
جعلوه في باب المعاني والدلالات وهو الأولى، ومنهم الأخفش وابن جني.

وكثيرٌ من الأبيات في غرض وصف الطعام والشراب افتقرت إلى تمام المعنى
باستقلالها عما بعدها، وهو كما سبق عيبٌ من عيوب المعاني، ومنه قول عبد المحسن
الصوري في وصف العنب⁽³⁾:

خَلَّتْهُ فِي خِلَالِ أَوْرَاقِهِ الْخَضْرُ رِ وَلَوْنِ اسْوَدَادِهِ وَالصَّفَاءِ
كَقَمُوعٍ عَلَى أَنْامِلٍ خَوْدٍ لَحْنٌ مِنْ كُمٍّ لَأَذَةِ خَضِرَاءِ

والواضح أن معنى الفعل (خلته) لا يتم إلا بقوله (كقموع) في مطلع البيت الثاني.
وقول ابن وكيع عن البلح⁽⁴⁾:

كَأَنَّهُ وَالْعَيُونَ تَنْظُرُهُ إِذَا بَدَا زَهْرُهُ عَلَى الْقُضْبِ
مَكَاحِلٌ مِنْ زَمَرْدٍ خَرِطَتْ مَقْمَعَاتُ الرُّؤُوسِ بِالذَّهَبِ

(1) ظافر الحداد، الديوان 173

(2) المرزباني، الموشح، 261

(3) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 109 والنويري، نهاية الأرب 151/11 والصفدي، الكشف والتنبيه 376

(4) النويري، نهاية الأرب 126/11

فلم يتم معنى البيت الذي بدأه (بكأنه) إلا بقوله (مكاحل) في البيت الثاني.

ومنه قول ظافر الحداد في وصف كيزان الفقّاع⁽¹⁾

مَنْ رَأَا تَوْرِدَ الْأَيْـ
دِي إِلَيْهِ ثُمَّ تَصْدِرُ
ظَنَّ فِي أَنْمَلْنَا لِلْـ
لَثْمِ تَفَاحَاتِ عَنبِرُ

فلم يتم معنى البيت الأول الذي ابتداءً بالفعل (من رأنا) إلا بالجواب في البيت الثاني (ظن..). ولا ريب أن في التضمين إخلالاً بوحدة الموضوع في البيت الواحد، إذ عدّ النقاد الوحدة الموضوعية في القصيدة تكون في وحدة البيت واستقلاله عما قبله وعما بعده، ولذلك عدّوا التضمين من عيوب المعاني.

4- التكلّف في طلب القافية

يعجز بعض الشعراء عن الكلمة الأخيرة في العجز التي تلبي طلب القافية من حيث الموسيقى وطلب المعنى من حيث شدة اقتضاء القافية لذلك المعنى، فيحاول أن يجرّ المعاني لتلك القافية حيناً أو إلى جرّ اللفظ المناسب للقافية إلى ذلك المعنى، وعلى الرغم من قصر المقطوعات فقد وقع الشعراء في تكلف القافية كقول أبي القاسم القطّاع في وصف عجة⁽²⁾:

أَبَا الْحَسَنِ اسْتَمَعَ قَوْلِي وَبَادِرُ
إِلَى مَا تَشْتَهِي تَفْدِيكَ نَفْسِي
فَعَنْدِي عُجَّةٌ تَزْهِي بِلَوْنِ
كُلُونِ الْبَدْرَ فِي عَشْرِ وَخَمْسِ

فقد اضطر إلى حرف السين المكسورة كحرف للروي، واقتضى المعنى (ليلة البدر في تمامه) فقال (في عشرٍ وخمس) وجاء بكلمة (خمس) بعد كلمة (عشر) ليواطئ قافية السين، والعرب تقول (كالبدْر في الليلة الخامسة عشرة) ولا تقول (في عشر وخمس) ومنه قول ابن الساعاتي⁽³⁾:

وَأَشْجَارُ مَوْزٍ نَزَلْنَا بِهَا
كَخَضِرِ الْبَنُودِ إِذَا نَشَرْتُ
فِيَا شُكْرَ اللَّهِ أَلْطَافَهَا
وَجَاذِبَتِ الرِّيحُ أَعْطَافَهَا
وِإِلَّا قَدُودٌ عَذَارَى رَقَصْنَ
فَظَلَّتْ تَتَاضَلُ أَسْيَافَهَا

(1) كشاجم، الديوان 104

(2) العماد الكاتب، خريدة القصر، قسم شعراء الشام، 178/9

(3) ابن الساعاتي، الديوان، 186/2، والصفدي، الكشف والتنبيه، ص 379

فما معنى عبارة (فظلتَ تناضل أسيفها) التي ألصقها ابن الساعاتي في آخر عجز من المقطوعة؟ وما علاقتها بالمعنى؟ إلا أن يكون حشواً قد جاء به لمماثلة حرف الروي وهو الفاء

ومنه قول ظافر الحداد في وصف الرؤوس⁽¹⁾:

صغارٌ لها سِمَنٌ ظاهرٌ	يدلُّ على حذقِ عُلَّافِها
حكّت قطع القطنِ مندوفةً	إذا فارقت يدَ ندَّافِها
كأن تماثيل أجسامها	وأفواهها تحت آنافِها
خليعُ الطرايرِ ببيضاً وقد	تفتّق ما فوق أطرافِها

فانظر إلى قوله (وأفواهها تحت آنافها) وهل الأفواه تقع فوق الأناف؟ فما الداعي لأن يقول وأفواهها تحت آنافها؟ إلا أن تكون القافية. ومن عجب أنها جاءت قافية متكلفة تشبه قافية ابن الساعاتي المتكلفة في المقطوعة السابقة.

ثانياً: المستوى المعجمي:

من دراستي لشعر وصف الطعام والشراب ظهرت لي حقول معجمية كثيرة، ومن خلال دراستي لها، أمكنني الحديث عنها وفق الآتي:

1 - حقل الطبيعة: وهي أوسع الحقول المعجمية لأن الثمار التي هي موضوع

البحث تدخل ضمنها، وقد قسمتها إلى مجموعات لفظية هي:

أ - الظواهر الطبيعية وهي: الهلال، والبدر، والأقمار، والصباح، والغسق، والوبل،

والسماكي، والأسدي، والبرد، والثلج، والنسيم، والسهل، والجبل، وقوس قزح، والروض، والكواكب، والسماء، والعيوق.

ب - الأزهار وهي: الورد، والزهرة، والريحان، والنارنج، والشقيق، والكمأ، وقضيب الرند، والخرم، والنسرين.

ج - الحيوان: الطباء، والصقور، والباشق، واليعافير (الغزلان)، والخروف، والجدي، والجزور، والذئاب.

(1) ابن ظافر، غرائب التنبيهات 149

د- الثمار: وهي: الإبنج، والأترج، والدستنبويه، والإجاص، والباقلاء، والبصل،
والبطيخ، والتفاح، والرازقي (العنب)، والتوت، والتين، والثوم، والخوخ، والخيار،
والرمّان، والزيتون، والشعير، والفسنق، وقصب السكر، والقمح، والكمثرى، والمعقلي،
والصُرفان، والمصقّر، والبرديّ، واللؤلؤي، والصيحاني، والخُلّاط، والطلع، والرطب.
هـ- الطيور: الطيافير، والنعام، والقمرى، والدّرّاجة، والشرشيق، والعقاب، والبط،
والإوز، والدجاج.

2 أدوات الزينة:

ب الأحجار الكريمة: الذهب، والعقيان، والزبرجد، والفضة، والمرجان، والجواهر،
والدنانير، والتبر، والنضار، والسَّبج، والجُمان، والبلور، والفصوص الحبشية،
واللجين، والخواتم، واللؤلؤ، والفيروزج، والعاج، والفصوص الحُمر، والعقيق،
والياقوت، والعسجد، والدر، والودع، والزمرد.
ت العطور: العنبر، والمسك، والإذفر، والأرج، والنَّشْر الذكي، والكافور، والزعفران،
والعبير، والحناء، والخلوق، والندّ.

3 -حقل الألوان: الأبيض، والأحمر، والأصفر، والأخضر، والأسود، والخرج.

4 -حقل المرأة: وقد قسّمته إلى أقسام هي:

ب أجزاء من جسم المرأة: الزنود، والأيدي، والأطراف، والكفّ، والعيون، والجلد،
والقدود، والخدود، والنواصي، والأنامل، والمُقل، والأثداء، والجيد، والذراعين،
والنهود، والصدر.
ت صفات المرأة الجمالية: الحور، والخرّد، والدعج، والغيد، والعدارى، والمُخدّرات.

5 -ألفاظ الأكل والشرب: المصّ، والشرب، والاشتفاف، والرشف، والذوق، والعضّ، والجرش.

6- حقل الطعام المطبوخ:

لقد جعل شعر وصف الطعام والشراب بأسماء الأطعمة المطبوخة، التي مهّرت يد الإنسان في إعدادها، وقد صنفت أسماءها وفق الآتي:

ت - أسماء الأطعمة:

- 1 -المقبلات: النعنع، والطرخون، والزيتون، والجبن، والبادنجان، والشرّاز، والبوراني، والكرفس، والهليون، والخلّ، والتبّالة.
 - 2 -الخبز: ومن أسمائه: الجُرّادق (الخبز السميك)، والرُقّاق، والبرازيدق، والحُوار.
 - 3 -اللبّ: ومن أسمائه: الفُيَّق، والرخامية.
 - 4 -المشويّات: الخروف، والجدي، والدجاجة، والطيهوج، والفروج، وفراخ الحمام، والكبّ، والجوزاب.
 - 5 -المقليّات: الطاجن، والطردين، والسكّاج، والمقال، والعجّة، والسمك.
 - 6 -المطبوخات: المضيرة، والكشكية، والملوخية، والنرجسية.
 - 7 -سقط الذبيحة: المعلاق، والمصران، والرّيه، والطحال، والرؤوس(الهام).
 - 8 -المعجنّات: السنْبوسج، والشابورة، والكواميخ.
 - 9 -الأسماك: الأبرميس، والراي، والبلطي، والرّعّاش، والبنّي.
 - 10 -الحلويات: القطائف، والبسندود، والخشكانج، واللوزينج.
- ث -أدوات الطبخ وتحضير المائدة:
- الجونه، والمشنّه، والجاحم، والبلسقية، والأسكرُجة، والدستيجة، والصحاف، والقدر، والجام، والقنينة، والدادكان.
- 6 -حقل الأماكن الجغرافية: العراق، والشام، ومصر، وتّئيس، وقيس، والجيزة، والخيس، والحوّف

الخلاصة

ومن الدراسة الفنية لشعر وصف الطعام والشراب يتبين أن هذا الشعر قد مثل الخصائص الفنية للوصف في العصر الفاطمي أصدق تمثيل. وقد احتل نسبة كبيرة من غرض الوصف، فقد اتخذ هذا الغرض لإبراز مقدرة الشعراء على الوصف، كما أن الشام ومصر بطبيعتيهما الخلابتين قد بعثتا إلهام الشعراء، خصوصاً وأن الطعام يبعث قرم الشهوة والإلهام، يقول الشاعر عرقلة الدمشقي⁽¹⁾:

والشام شامةٌ وجنة الدنيا كما	إنسانٌ مقلتها الغضبيضة جلق
من آسها ل ك جنة لا تنقضي	ومن الشقيق جهنم لا تحرق
سيما وقد رقم الربيع ربوعها	وشياً به حدق البرايا تحرق
في نيرب ضحكت ثغور أقاحه	لماً بكاه العارض المتألق

وقد حفل هذا الغرض بالفنون البلاغية كالتشبيه والمحسنات البديعية، كما أثرى علم الباحثين بقاموس من معجم خاص، وهو معجم ألفاظ الطعام والشراب في ذلك العصر، ناهيك عن نطقه بتقاليد الأكل والمائدة الخاصة بذلك العصر. ويظهر غرض وصف الطعام والشراب جانباً من غرض المراسلات الإخوانية الشعرية حيث جاء عدد كبير من القصائد والمقطوعات في دعوة الصديق إلى الوليمة وإبراز ما حفلت به من صنوف الطعام والشراب.

ومن الناحية الموسيقية سيطرت الأوزان الخفيفة والمجزوءات على جزء من هذا الغرض وجاء معظم الشعر على أوزان الرجز والخفيف والمنسرح والكامل والبسيط كما ظهرت المزدوجات والرباعيات والخمسات والشعر المصروع فيه، وإن كانت المقطوعات أكثر تلبية لرغبة الشاعر من القصائد المطولة.

وغالباً ما تسيطر عاطفة الإعجاب والرغبة في اللذة على شعراء وصف الطعام والشراب، وإن كانت هذه العواطف تبدو فاترةً مرهونةً بأجواء مشاهدة الثمار أو طعام المائدة، فهي عبارة عن انفعالات مؤقتة غير عميقة.

وأما لغة هذا الشعر فسهلة قريبة إلى الفهم، ولا تحتاج إلى معجم لغوي، باستثناء أسماء الطعام وأدواته، فهي فصيحة غير متقكرة وألفاظها تتناسب ارتجالاً دون إعداد مسبق، ولا تكلف ممقوت.

(1) عرقلة الكلبي الدمشقي، الديوان، ص 61.

وقد جاءت المحسنات البديعية عفوية غير متكلفة في الغالب، لأن الشاعر كان يقول المقطوعة على السجية والفطرة متفاعلاً مع ما يراه من الثمار والطعام. والخلاصة أن شعر وصف الطعام والشراب هو لوحة فنية معبرة عن جمال الشام ومصر ناطقة بعبادات أهلها وتقاليدهم وبمجتمع مصر والشام في فترة هي من أكثر الفترات في تاريخهما إثارة للجدل.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630هـ / 1232م) **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1966.
- 3- الأصفهاني، محمد بن صفى الدين (ت 597هـ / 1200م).
أ- **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء الشام، الأجزاء 1-6، تحقيق شكري فيصل، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- ب- **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء مصر، الأجزاء 9-12 تحقيق ونشر أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1951م.
- ج- **الديوان**، جمع وتحقيق ناظم رشيد، مطبعة الجامعة، الموصل، 1983م.
- 4- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 663هـ / 1264م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965.
- 5- الأعشى، قيس بن ميمون (ت 8هـ / 659م)، **الديوان**، شرح عمر الطباع، بيروت: دار القلم د.ت.
- 6- الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ / 1066م)، **تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي** ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت، 2002.
- 7- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ / 869م)، **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية الأردن، 2000.
- 8- البيهقي، عبد الرحيم بن علي (القاضي الفاضل) (ت 596هـ / 1199م)، **الديوان**، تحقيق احمد احمد بدوي ومراجعة إبراهيم الأبياري، ط1، دار المعرفة، بيروت.
- 9- ابن تغري بردي (ت 874هـ / 1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 10- التتيسي، ابن وكيع الحسن بن علي الضبي (ت 393هـ / 1002م) **الديوان**، تحقيق هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

- 11- ابن ثابت، حسان (ت54هـ/ 673م)، الديوان، بيروت: دار صادر ودار بيروت، 1966.
- 12- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ/ 1038م) يتيمة الدهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة دار السعادة، القاهرة، 1956م.
- 13- جرير، بن عطية الخطفي، الديوان، شرح محمد إسماعيل الصاوي، دار الحياة، بيروت.
- 14- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت 539هـ/ 1144م) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق ف، عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990.
- 15- حاتم الطائي، (ت 15 ق.هـ/ 606م)، الديوان، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1406هـ- 1986م.
- 16- الحداد، ظافر، (ت529هـ/ 1134م)، الديوان، تحقيق حسين نصار، القاهرة: دار مصر للطباعة والنشر 1969.
- 17- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت 562هـ/ 1167م)، التذكرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996.
- 18- الحموي، ياقوت (ت626هـ/ 1229م)، إرشاد الأريب إلى حومة الأديب، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، دار المأمون، القاهرة.
- 19- ابن خردذابة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت. 1984.
- 20- خسرو، ناصر، (ت481هـ/ 1088)، سفرنامه، (رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري) ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1970.
- 21- ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح (ت533هـ/ 1138)، الديوان، تحقيق السيد مصطفى غازي، الإسكندرية، 1960.
- 22- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/ 1406) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت. 1999.
- 23- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت681هـ/ 1282)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1990.
- 24- الخنساء، تماضر بنت عمرو (ت24هـ/ 644) الديوان، شرح عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت.
- 25- ابن الخياط، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت517هـ/ 1123)، الديوان، تحقيق خليل مردم بك، دمشق، منشورات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1958.

- 26- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م)،
أ - سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوس ي، بيروت،
مؤسسة الرسالة، 1405-1986.
- ب - العبر في خبر من غير، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ط 1،
1985.
- 27- الرفاء، السري (ت 362هـ / 973).
أ - الديوان، عن نسختي تيمور باشا والبارودي باشا، دار الجيل، بيروت، د.ت.
ب - المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق مصباح غلاونج ي، دمشق،
1986م.
- 28- ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج (ت 284هـ / 897)، الديوان، شرح أحمد حسن
بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- 29- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط10، 1990.
- 30- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت 538هـ / 1143)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم
الأقوال في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- 31- ابن الساعاتي، علي بن رستم الخراساني (ت 604هـ / 1207)، الديوان، تحقيق أنيس
المقدسي، بيروت، 1938.
- 32- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ / 1505م).
أ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة، مطبعة السعادة
1959م.
- ب - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم،
القاهرة، 1967م.
- 33- الصفدي، صلاح الدين بن أبيك (ت 764هـ / 1363).
أ - الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، تحقيق هلال ناجي ووليد بن أحمد الحسين
(عبد الله الزبيري)، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط1 1999.
- ب - التوافي بالوفيات، الأجزاء 1-18، تحقيق عدة محققين، المعهد الألماني، بيروت،
1408هـ - 1988م.
- 34- ابن ظافر، علي (ت 613هـ / 1216م)
أ - أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، ط1، 2001.
- ب - بدائع البدائه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت،
1992.

- ج- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة، 1971.
- 35- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت 1987.
- 36- العسكري، أبو هلال (ت 395هـ/1004م)، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1966.
- 37- العقيلي، الشريف (ت 1058/450)، الديوان، تحقيق زكي المحاسني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- 38- العنابي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 776هـ/1374)، نزهة الأبصار في محاسن الأشعار، تحقيق مصطفى السنوسي وعبد اللطيف احمد لطف الله، دار القلم الكويت، 1986.
- 39- الفرزدق، همام بن غالب (ت 114هـ/732)، الديوان، دار صادر، بيروت، 1966.
- 40- ابن الفوطي، كمال الدين بن عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت 723هـ/1323) مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، طهران، 1416.
- 41- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م) القاموس المحيط، ط2، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1952.
- 42- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، ت(276هـ/899)، عيون الأخبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1974.
- 43- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت 671هـ/1272) الجامع الأحكام القرآن، ط2، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ/1952م.
- 44- ابن قلاقس، أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله اللخمي السكندري (ت 567هـ/1171)، الديوان، تحقيق سهام الفريح، ط1، مكتبة المعلا، الكويت، 1988.
- 45- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418).
- أ -صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938.
- ب مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1964.
- 46- ابن القيسراني، محمد بن نصر المخزومي (ت 548هـ/1153)، الديوان، جمع وتحقيق ودراسة عادل جابر، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، 1991.
- 47- الكتاني، أبو عبد الله بن الحسن الطبيب (ت 420هـ/1029) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1966.

- 48- الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362)، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973.
- 49- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1373)، البداية والنهاية ، ط2، بيروت، مكتبة المعارف .1977
- 50- كشاجم، محمود بن الحسين (ت 360هـ/970) الديوان، تقديم وشرح مجيد طراد، دار صادر، بيروت.
- 51- الكلبي، عرقلة (حسان بن نمير)، (ت 567هـ/1171)، الديوان، تحقيق احمد الجندي، دار صادر، بيروت.
- 52- ابن كلثوم، عمرو (ت 39ق.هـ/584)، الديوان، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر الغربي، بيروت، د.ت.
- 53- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961) ملحق أخبار الولاة والقضاة ، بيروت 1908م.
- 54- ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى البطائحي (ت 588هـ/1192) نصوص من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة .1983
- 55- المبرد، أبو العباس محمد بن زيد، (ت 285هـ/898) الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- 56- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 374هـ/ 993)، الموشح ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965.
- 57- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله (ت 296هـ/908)، الديوان، شرح د. يوسف شكري فرحات، ط1، بيروت، دار الجيل، 1995.
- 58- ابن المعز الدين الله الفاطمي، تميم، (ت 374هـ/985)، الديوان، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، 1970.
- 59- المقدسي، أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/ 1266) الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، 1962.
- 60- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر (ت 380هـ/990) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- 61- المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ-1631) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- 62- المقرئ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ/1441).

- أ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، تحقيق جمال الشيال ومحمد حلمي محمد احمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967.
- ب - إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940.
- ت - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرئية)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- 63- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري (ت711هـ/1311) لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط 2، بيروت، 1992.
- 64- ابن منقذ، أسامة (ت 584هـ/1188) الديوان، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، د.ت.
- 65- ابن منير الطرابلسي، أبو الحسين احمد بن منير بن أحمد بن مفلح (ت 548هـ/1153) الديوان، جمع وتقديم عمر عبد السلام التدمري، ط1، دار الجيل، بيروت. 1986.
- 66- ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ/ 1278) أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، 1981.
- 67- النواجي، شمس الدين محمد بن الحسن (ت 859هـ/1454) حلبة الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات، القاهرة، 1938.
- 68- النويري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ/1333) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عدة محققين، الأجزاء من 11-18، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1968.
- 69- النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ/1277)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2002.
- 70- ابن هانئ الأندلسي، (ت362هـ/973)، الديوان، شرح أنطوان نعيم، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1996.
- 71- ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري، (ت761هـ/1359) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- 72- الوأواء، الدمشقي، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، (ت 385هـ/ 995)، الديوان ، تحقيق سامي الدهان، دار صادر، بيروت، 1993.
- 73- ابن الوردة، عروة (ت30ق.هـ/593)، الديوان، شرح سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ب- المراجع

- 1- الألوسي، محمود شكري، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، دار صعب بيروت، د.ت.
- 2- البستاني، (بطرس)، محيط المحيط طبعة 1870، مكتبة لبنان، بيروت.
- 3- الجندي، علي، فن التشبيه، ط2، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1966.
- 4- حسن، إبراهيم حسن،
أ- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965.
ب- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1964.
- 5- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1970.
- 6- الزاوي، الطاهر احمد الطرابلسي، تاريخ الفتح في ليبيا، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- 7- سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964.
- 8- سلطان، عبد المنعم، الأسواق في العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
- 9- سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد) ، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992.
- 10- شلق، علي، الطعم في الشعر العربي، ط1 دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1984م.
- 11- شيخو، لويس، مجاني الأدب من حقائق العرب ، ج6، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1938.
- 12- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، 1980.
- 13- ضيف، شوقي:
أ- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط2، دار المعارف، مصر.
ب- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط2، دار المعارف، مصر.
- 14- عتيق، عبد العزيز
1. علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

2. علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
3. علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
- 15- العقاد، عباس محمود، فاطمة الزهراء والفاطميون، دار الهلال، القاهرة، 1953.
- 16- القطب، محمد علي، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط1، المكتبة
العصرية صيدا، بيروت، 2002.
- 17- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ط2، 1985.
- 18- كاشف، سيدة، مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، 1970.
- 19- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 20- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريذة
دار التونسية للنشر، 1986.
- 21- مصطفى، محمود
أ. اهدي السبيل إلى ما علمني الخليل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1994.
ب. العروض والقافية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1994.
- 22- نصار حسين، ابن وكيع شاعر الزهر والخمر ، جمع شعره هلال ناجي، دار المعارف،
القاهرة.
- 23- نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف
القاهرة.
- 24- ياقوت، محمود سليمان، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقمها واسم السورة	رقم الصفحة
"فليُنظر الإنسان إلى طعامه..."	24 / عبس	د، 24
"انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه..."	99 / الأنعام	د
"وهو الذي أنشأ جنات معروشات..."	141 / الأنعام	24
"وفي الأرض قطع متجاورات..."	4 / الرعد	24
"إذ قال الحواريون يا عيسى..."	112-114 / المائدة	24
"فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين..."	26 / الذاريات	25
"فما لبث أن جاء بعجل حنيذ..."	69 / هود	25
"وظللنا عليكم الغمام....."	57 / البقرة	25
"وإذ قلتم يا موسى لله نصبر....."	61 / البقرة	25
"حرمت عليكم الميتة والدم....."	2 / المائدة	25
"مثل الجنة التي وعد المتقون...."	15 / محمد	25
"وفاكهة مما يتخيرون...."	21 / الواقعة	26
"ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً...."	17 / الإنسان	26
"ولا طعام إلا من غسلين...."	36-37 / الحاقة	26
"وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم..."	15 / محمد	26
"ثم إنكم أيها المكذبون الضالون....."	45-51 / الواقعة	26
"طلعها كأنه رؤوس الشياطين...."	62-66 / الصافات	26
"لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً...."	24-25 / النبأ	26
"ونزلنا من السماء ماءً مباركاً...."	10 / ق	31
"يعملون له ما يشاء من تماثيل...."	13 / سبأ	31
"ودانية عليهم ظلالها..."	14 / الإنسان	44
"والتين والزيتون وطور سينين...."	1 / التين	55
"وتأكلون منه لحماً طرياً...."	16 / النحل	84
"يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم..."	172 / البقرة	95
"فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً...."	82 / التوبة	149

170	96 / البقرة	"ولتجدنهم أحرص الناس على حياة...."
رقم الصفحة	رقمها واسم السورة	طرف الآية
170	113 / الأعراف	"قالوا أين لنا لأجراً...."
170	18 / المؤمنون	" وأنزلنا من السماء ماء بقدر..."
170	30 / الملك	"فمن يأتيكم بماء معين..."
173	23 / القصص	" ووجد عليه أمة من الناس يسقون..."

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	تخرجه	طرف الحديث
42، 27	البخاري / فضائل القرآن 58/9	"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن..."
27	البخاري / الرقاق 116/8	"يذهب الصالحون الأول فالأول...."
27	البخاري / كتاب المرضى	"مثل المؤمن كمثل خامئة الزرع...."
27	مسلم / كتاب الأشربة 2041	"إن خياطاً دعا رسول الله...."
27	مسلم / كتاب الأشربة 2042	"رأيت رسول الله يأكل القثاء بالرطب..."

فهرس الشعراء

اسم الشاعر	رقم الصفحة
أ	
أسامة بن منقذ	22، 56، 59، 129، 131، 152، 154، 158، 161
الأعشى	29
ب	
أبو بكر بن نعيم الدمشقي	61
ابن البواب	9
ت	
تميم بن المعر لدين الله الفاطمي	21، 46، 54، 56، 57، 60، 62، 66، 68، 76، 84، 114، 123، 126، 137، 140، 142، 143، 145، 152، 154، 155، 157، 159، 171، 174، 176، 180
ج	
جرير بن عطية	30، 31
جعفر بن دواس المصري	51، 128
ح	
حاتم الطائي	28
حسان بن ثابت	30
الحسن بن بشر الدمشقي	9
خ	
ابن خفاجة	36
الخنساء	30
ابن الخياط	ث، ذ، 58، 66، 70، 115، 1223، 125، 127، 141، 158، 166

اسم الشاعر	رقم الصفحة
د	
ابن دريد	34
ر	
ابن رشيق القيرواني	136، 45
رضي الدولة أبو سليمان	174، 151، 142، 83، 62
ابن رفاعة المصري	92
أبو الرقعق	21
ابن الرومي	136، 107، 35
س	
ابن الساعاتي	144، 143، 126، 97، 52، 183، 177
السري الرفاء	71، 58، 57، 45، 44، 39، 133، 127، 125، 124، 88، 155، 147، 146، 137، 136، 174، 167، 161، 160
سليمان بن حسان النصيبي	144، 86
ش	
شجاع المغربي	41
ابن شرف الأندلسي	36
الشريف العقيلي	72، 68، 54، 42، 22، ذ، ث، 100، 87، 84، 81، 75، 73، 105، 104، 103، 102، 101، 130، 128، 118، 111، 110، 149، 147، 144، 139، 134، 155، 154، 152، 151، 150، 174، 164، 161، 159، 158، 177، 175

اسم الشاعر	رقم الصفحة
أبو الشمقمق	32
ص	
صالح بن مؤنس	129، 128، 115، 83، 78
الصنوبري	136، 39
ط	
طرفة بن العبد	29
الطغرائي	34
ظ	
ظافر الحداد	ث، ذ، 22، 38، 40، 65، 66، 67، 71، 74، 75، 81، 82، 85، 89، 93، 94، 96، 117، 118، 124، 130، 133، 135، 136، 137، 141، 150، 151، 154، 156، 159، 162، 163، 164، 167، 171، 172، 175، 177، 180، 182، 183، 184
ع	
أبو العباس الكحال	178، 167، 164، 151، 86
عبد الرحمن الواعظ المعري	179، 132، 53
عبد المحسن الصوري	22، 63، 117، 118، 124، 131، 158، 170، 172، 182
عبد الوهاب بن ناصر المالكي	21
عرقلة الدمشقي	61، 88، 91، 153، 173، 187
عروة بن الورد	29
أبو العلاء المعري	22
علي بن المنجم	41

اسم الشاعر	رقم الصفحة
العماد الكاتب	22، 45، 69، 120، 125، 146
عمرو بن كلثوم	29
ف	
الفرزدق	31
ق	
أبو القاسم الواساني	42، 106، 107، 108، 112، 138، 148، 166، 168
ابن قسيم الحموي	58، 91، 160، 180
ابن القطاع الصقلي	60، 73، 88، 115، 158، 161
ابن قلاقس السكندري	41، 52، 74، 75، 90، 92، 130، 149، 171
ابن القيسراني	65، 129، 162
ابن قيس الرقيات	31
ك	
كشاجم	ث، ذ، 39، 44، 46، 50، 51، 55، 56، 59، 62، 64، 66، 71، 74، 78، 79، 80، 90، 91، 96، 97، 111، 115، 116، 117، 118، 120، 122، 126، 127، 128، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 142، 144، 145، 146، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 159، 160، 161، 162، 163، 167، 172، 173، 180، 181
م	
المأموني	33، 52

اسم الشاعر	رقم الصفحة
ابن مؤمن	133 ، 44 ، 41
أبو المحاسن الشوّاء	123 ، 54
محمد بن أبي الجوع	181 ، 156 ، 153 ، 120 ، 74
أبو المخفف	32
المشتهى الدمشقي	157 ، 64 ، 43
ابن المعتز	43 ، 33
ابن منير الطرابلسي	179 ، 135 ، 77
ن	
النابعة الجعدي	31
ابن نفادة	64 ، 53
هـ	
ابن هانئ الأندلسي	20 ، 11
هبة الله بن وزير	61
ابن هذيل الأندلسي	36
و	
الوأواء الدمشقي	ث ، 52 ، 71 ، 72 ، 128 ، 134 ، 174 ، 159
ابن وكيع التنيسي	ذ ، 22 ، 39 ، 46 ، 49 ، 60 ، 63 ، 68 ، 72 ، 73 ، 74 ، 77 ، 86 ، 99 ، 109 ، 116 ، 118 ، 122 ، 123 ، 124 ، 134 ، 136 ، 138 ، 140 ، 143 ، 144 ، 150 ، 152 ، 153 ، 157 ، 159 ، 161 ، 166 ، 172 ، 181 ، 182

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	الإقرار
ت	شكر و عرفان
ث-ج	ملخص الدراسة (العربية)
ح-خ	ملخص الدراسة (الانجليزية)
د-ذ	المقدمة.
	التمهيد:
1	1- نسب الفاطميين؟
5	2- قيام دولة الفاطميين.
10-7	3- الأحوال السياسية في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي.
7	أ- موقف الفاطميين من أهل السنة في مصر.
8	ب- الاستعانة بالعناصر الأجنبية.
9	ج- موقف الفاطميين من اليهود والنصارى.
10	د- سقوط فلسطين والشام في أيدي الصليبيين في أواخر العهد الفاطمي.
14-10	4- الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي:
10	أ- الطبقات الاجتماعية.
11	ب- أجناس وأعراق المجتمع المصري.
11	ج- شيوع مظاهر الفخامة والعظمة.
12	د- الموائد والأسمطة.
12	هـ- كثرة الأعياد.
13	و- المرأة في العصر الفاطمي.
18-14	5- الحياة الاقتصادية:
20-18	6- الحياة الثقافية:
23-20	7- الشعر في العصر الفاطمي:

الصفحة	الموضوع
37-23	الفصل الأول:- وصف الأطعمة والأشربة: النشأة والتطور
24	1- في القرآن الكريم.
27	2- في الحديث الشريف.
	3- في الشعر من العصر الجاهلي الى الفاطمي:
28	أ- الجاهلي
30	ب- الأموي
32	ج- العباسي
34	د- كثرة وصف الطعام والشراب عند ابن الرومي.
35	هـ- في شعر الأندلسيين
111-37	الفصل الثاني:- وصف الطعام والشراب في العصر الفاطمي في مصر وبلاد الشام (الدراسة الموضوعية)
	أولاً: عوامل ازدهاره وتنوعه:
38	1- توسع فن الوصف.
39	2- ازدهار الحياة الاقتصادية في مصر وبلاد الشام.
40	3- كثرة الأعياد والمناسبات الدينية والسياسية.
40	4- اختلاف المعايير النقدية في العصر الفاطمي
	ثانياً:- موضوعاته:
75-43	أ- وصف الثمار والفواكة
	1- الإبنج 2- الأترج 3- الإجاص 4- الباقلاء 5- البصل 6- البطيخ 7- البندق 8- التفاح 9- التوت 10- التين 11- الثوم 12- الخوخ 13- الخيار 14- الدستبنويه 15- الرمان 16- الزيتون 17- السفرجل 18- الشعير 19- العنب 20- الفستق 21- قصب السكر 22- القمح 23- الكمثرى 24- اللوز الأخضر 25- المشمش 26- الموز 27- النارنج 28- النخيل والبلح.
89-75	ب- وصف الأطعمة المطبوخة:
	1- الجبن 2 الخبز 3- الخروف المحشي 4- الدجاج 5- الرؤوس 6- السمك 7- العجة 8- الملوخية .

الصفحة	الموضوع
94-90	ج- وصف الحلويات:
	1- البسندود 2- الخشكناج 3- القطائف 4- الكنافة.
96-95	د- وصف الشراب ما خلا الخمر.
111-97	هـ- وصف مجالس الطعام:
97	1- كشاجم.
99	2- ابن وكيع التتيسي.
100	3- الشريف العقيلي.
106	4- أبو القاسم الواساني.
109	و- تقاليد المائدة وأخلاق الأكلة.
186-113	الفصل الثالث:- الدراسة الفنية
119-114	أولاً:- المستوى الموسيقي
114	أ- البحور الخليلية.
114	ب- الرباعيات.
115	ج- الخمسات.
115	د- الشعر التعليمي.
116	هـ- التدوير.
118	و- الضرائر الشعرية.
156-121	ثانياً: المستوى البلاغي
	التشبيه وفق تصنيف أبي هلال العسكري
122	أ- تشبيه المحسوس بالمحسوس لوناً وشكلاً ورائحةً ولمساً ومذاقاً.
130	ب- تشبيه المحسوس بالمعقول.
131	ج- بدائع التشبيهات.
133	د- التشبيهات الرديئة.
134	هـ- المعاني المشتركة.
135	و- المبالغة والكذب
	التشبيهات وفق التصنيف التقليدي
137	1. التشبيه المفرد
138	2. التشبيه التمثيلي

الصفحة	الموضوع
139	3. التشبيه المقلوب
139	4. الاستعارة التصريحية
140	5. الاستعارة المكنية
	الفنون البديعية:
141	1- المحسنات البديعية اللفظية:
141	- الجناس.
143	- لزوم ما لا يلزم.
143	- رد العجز على الصدر.
144	- التصريع.
146	2- المحسنات البديعية المعنوية:
146	- الطباق.
147	- حسن التعليل.
147	- التقسيم.
149	- المقابلة.
	الأساليب الإنشائية:
150	1- الإنشاء الطلبي:
150	- الأمر.
151	- النهي.
152	- الاستفهام.
153	- النداء.
155	- التمني.
	2- الإنشاء غير الطلبي:
155	- المدح والذم.
155	- التعجب.
156	- القسم.
156-169	ثالثاً: - المستوى التركيبي:
157	1- البنية التركيبية للمقطوعات.
163	2- البنية التركيبية للقصائد.

الصفحة	الموضوع
165	3- حشد أسماء الطعام والشراب في القصيدة.
166	4- الترادف اللفظي.
166	5- التكرار.
176-169	رابعاً: - المستوى النحوي:
169	أ- تكثير المسند إليه.
171	ب- الفصل.
172	ج- الحذف.
175	د- الاعتراض.
175	هـ- أنماط تركيب الجملة الفعلية.
176	و- الأسماء المشتقة.
186-177	خامساً: - المستوى الدلالي والمعجمي
177	المستوى الدلالي: 1- خروج الوصف إلى معانٍ ودلالات أخرى
177	أ- الوصف والمديح
179	ب- الوصف والهجاء.
179	ج- الوصف والغزل.
180	د- الوصف والتلغيز.
181	2- أخطاء المعاني والدلالات.
182	3- التضمين.
183	4- التكلف في طلب القافية.
184	المستوى المعجمي: الحقول المعجمية
184	أ- حقل الطبيعة.
185	ب- أدوات الزينة.
185	ج- الألوان.
185	د- المرأة.
185	هـ- الأكل والشرب.
186	و- الطعام المطبوخ.
186	ز- الأماكن الجغرافية.
187	الخلاصة.

الموضوع	الصفحة
المصادر والمراجع.	189
الفهارس.	195